



فتوح رسل البرية

بخط ابو ذر رسل الهجرة النبوية

تأليف

السيد راسل

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المكتبة المرادية

فتح رب البرية

بخط أبوفهد ربيع الهجرة النبوية

تأليف

السيد رشاد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " . [آل

عمران/ ١٠٢]

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "

[النساء/ ١] .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " . [الأحزاب/ ٧٠ - ٧١] .

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ... وبعد.....

أخي القارئ الكريم : مع إشراقة كل عام هجري جديد، نعود بقلوبنا إلى صفحات الهجرة

النبوية لتأمل معانيها العظيمة، فنجد فيها نورًا يهدينا، وعبرًا توقظ أرواحنا، وأملًا يتجدد،

يعلمنا الصبر في الشدة، والثبات عند المحن، ويؤكد لنا أن مع كل عسر يُولد اليسر، وأن

النصر يولد من رحم المعاناة، فتبقى الهجرة نبراسًا يهدي كل من سار على درب الإيمان والعزيمة.

إنَّ هذا الحدث الذي غير مجرى التاريخ، الحدث الذي يحمل في طياته معاني الشجاعة والتضحية والإباء، والصبر والنصر والفداء، والتوكل والقوة والإخاء، والاعتزاز بالله وحده مهما بلغ كيد الأعداء، إنه حدث الهجرة النبوية الذي جعله الله سبحانه طريقًا للنصر والعزة، ورفع راية الإسلام، وتشيد دولته، وإقامة صرح حضارته، فما كان لنور الإسلام أن يشع في جميع أرجاء المعمورة لو بقي حبيسا في مهده، ولله الحكمة البالغة في شرعه وكونه وخلقه.

فمن رحم البلاء يولد العز، ومن جوف المحن تكون المنح الربانية، فإذا كان أهل مكة قد ضايقوه وعذبوه فقد أبدله الله بهم أهل المدينة، فاحتفوا بمقدمه، واحتضنوا دعوته، وإذا كان أهل الطائف قذفوه بالحجارة الدامية فقد استقبلته الملائكة بالقبلات الحانية.

وها أنا أضع بين يدي كل داعية عصارة و خلاصة حياة عشتها مع هجرة النبي صلى الله عليه وسلم – في تسعة وعشرين سنة كنت أقف كل عام مع تلك الملحمة لأستلهم منها الدروس والعبر، وأنهل من معينها الصافي لأروي النفوس العطشى، وأنير للسالك الدروب المظلمة، وأخذ بأيدي الحيارى إلى رب البرايا حتى لا تياس القلوب من نصرة علام الغيوب، أحيي بها الأمل في النفوس وأوقظ بها الهمم للصعود إلى القمم، ليجد المظلوم فيها أن الله لا يضيع أوليائه، و ليجد فيها الداعية الأكسير الذي يشحذ همته و يقوي عزيمته

فجمعت تلك الخطب في ذلك الكتاب وسميته (فتح رب البرية بخطب ودروس الهجرة النبوية) والله اسأل أن ينفع بها المسلمين و المسلمات و أن تكون هذه المادة العلمية زادا لكل خطيب و داعية يسلك طريق الدعوة و الهداية

المؤلف

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

عام الحزن دروس وعبر

الخطبة الأولى

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين العباد حائل.
 جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لامحالة زائل.
 حذر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل.
 فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيس العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل.
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزه عن الشريك وعن الشبيه وعن المشاكل.
 من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرفع
 الجنين

في بطن الحوامل؟

من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟
 من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجْدُ!
 وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ!
 أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا مَا لِي عَلَى حِمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ!
 وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضَّرِّ مُبْتَهَلًا إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ!
 فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبِّ! خَائِبَةٌ فَبَحْرُ جُودِكَ يَرُوي كُلَّ مَنْ يَرُدُّ!

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلهي لا تعذبني فإني مقرر بالذي قد كان مني
 ومالي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني
 فكم منزلة لي في البرايا وأنت علي ذو فضل ومن
 إذا فكرت في ندمي عليها عضضت أنا ملي وقرعت سني

يظن الناس بي خيراً وإنّي لشر الناس إن لم تعف عني

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) } [آل

عمران/ ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) }

[النساء/ ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/ ٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الاخوة الكرام: هو العام العاشر من بعثته - ﷺ - ، فقد توفيت فيه أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - بعد وفاة عمه أبي طالب ، فابتلي رسول الله - ﷺ - في حياته العامة والخاصة، إذ كانت خديجة - رضي الله عنها - من نعم الله الجليلة عليه - ﷺ - ، فقد آزرته في أخرج الأوقات، وأعانت على إبلاغ رسالته، وشاركته آلامه وآماله، وواسته بنفسها ومالها، وبقيت ربع قرن تحمل معه كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول - ﷺ - في الخمسين من عمره وهي في الخامسة والستين، فحزن النبي - صلى الله عليه وسلم - عليها حزنا شديدا .

وكذلك حزن لموت عمه أبي طالب ، فقد كان الحصن الذي تحمى به الدعوة من هجمات الكبراء والسفهاء، وكان يحوط النبي - ﷺ - ويغضب له وينصره، ومما زاد حزن النبي - ﷺ - لموته أنه مات على الكفر .

لماذا حزن النبي ﷺ -؟

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قَرِيشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ -فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعُهُ وَشَكَّوهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا تَرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟

قال: "كلمة واحدة، قال: ياعم، يقولوا: لا إله إلا الله". فقالوا: إلهاً واحداً؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة. إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ عَلَيْنَا أَنْ أَجَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْإِلَهِاتِ إِلَّا هَآ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ { (١) .»

 $\sim \wedge \sim$

يقول ابن هشام: «فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفينة من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً.

ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك»^١.

«تري، ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله تعالى في استلاب أبي طالب من الحياة، قبل أن يشتد ساعد المسلمين في مكة ويتكون لهم شيء من المنعة؟ ومعلوم أنه قد كان يحمي الرسول - قدر الإمكان - من كثير من المصائب والشدائد، وما الحكمة في أن يتعجل القضاء باستلاب زوجته خديجة رضي الله عنها، وقد كان يجد عندها أنسه وسلواه، وينفض بمساعدتها عن كاهله كثيراً من أحاسيس الشدائد والآلام؟

تبرز هنا ظاهرة هامة تتعلق بأساس العقيدة الإسلامية.

فلو أن أبا طالب بقي إلى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة وريثما ينجو الرسول من أذى المشركين وقبضتهم، لكان في ذلك ما قد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، وأنه هو الذي كان يدفعها إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه، وإن لم يظهر الإيمان بها والانضواء تحت لوائها، ولجاء من يطيل ويطنب في بيان الحظ «الحسن الذي تهيأ للرسول ﷺ أثناء قيامه في الدعوة، بسبب حماية عمه له، بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين من حوله، فأوذوا وهو محفوظ الجانب، وتعذبوا وهو مستريح البال.

التاريخ - باب ذكر الإخبار عن أداء العجم الجزية إلى العرب - رقم الحديث (٦٦٨٦) - وابن إسحاق في السيرة (٢/ ٣١) - وإسناده ضعيف - وأخرجها الحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - باب سورة ص - رقم الحديث (٣٦٧٠) - وإسناده حسن.

١ - «فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة» (ص ٩٧) «رواه ابن إسحاق، وانظر تاريخ الطبري: ٢/ ٥٤٤»

لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبا طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، ويفقد من حوله من كان في الظاهر حاميا له ومؤنسا، حتى تتجلى حقيقتان هامتان:

أولاهما: أن الحماية والعناية والنصر، إنما يأتي كل ذلك من الله عز وجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء كان ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن، فهو معصوم من الناس وستبلغ دعوته منتهاها من النصر والتوفيق.

ثانيتها: ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذابا أو اضطهادا، وإنما معنى العصمة التي تعهد بها الله عز وجل بقوله: **{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}** [المائدة ٥/ ٦٧] العصمة من القتل ومن أي صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يذوق الأنبياء من ذلك قدرا غير يسير، وذلك لا ينافي العصمة التي وعد بها أنبياءه ورسوله.

ولذلك يقول الله عز وجل لنبيه بعد قوله: **{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، يَقُولُ لَهُ: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** [الحجر ١٥ / ٩٧، ٩٨].

ومن الحكم الجليلة لما قضت به سنة الله عز وجل، من أن يلاقي الرسول ما لاقي من المحنة في طريق الدعوة، أن يستسهلها ويستخف بها عامة المسلمين في كل عصر ممن أنيطت بهم مسؤولية الدعوة الإسلامية.

فلو أن النبي ﷺ نجح في دعوته بدون أي مشقة أو جهد، لطمع أصحابه والمسلمون من بعده بأن يستريحوا كما استراح، ولا تستقلوا المصائب والمحن التي قد يجدونها في طريقهم إلى الدعوة الإسلامية.

أما، والحالة هذه، فإن مما يخفف وقع المحنة والعذاب على المسلمين شعورهم أنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله ﷺ وأنهم يسرون في الطريق ذاتها التي أوذي فيها رسول الله.

ومهما أصابهم من ألم السخرية بهم وإهانة الناس لهم، فإن ذلك لا يفتّ في عضدهم بعد أن رأوا رسول الله ﷺ قد ألقى التراب في السوق على رأسه حتى اضطر أن ينقلب إلى بيته لتقوم إحدى بناته فتغسل عن رأسه التراب، مع أنه حبيب الله وصفوته من خلقه. وسنجد في هجرته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما لاقاه إذ ذاك ما يجعل المسلمين يستسهلون كل محنة وعذاب في سبيل أن يضربوا مع رسولهم بنصيب مما قاساه وعاناه في سبيل الدعوة الإسلامية.

هذا شيء»

«والشيء الآخر، الذي يتعلق بهذا المقطع من سيرته عليه الصلاة والسلام هو أن بعض الناس يحسبون أن سبب تسمية الرسول لهذا العام عام الحزن إنما هو مجرد فقدته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، وربما استساقوا إقامة علائم الحزن والحداد على موتاهم مدة طويلة من الزمن مستدلين بهذا.

والواقع أن هذا خطأ في الفهم والتقدير.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يحزن على فراق عمه وفراق زوجته ذلك الحزن الشديد، ولم يطلق على تلك السنة: عام الحزن، لمجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدتهم. بل سبب ذلك ما أعقب وفاتهما من انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه، فقد كانت حماية عمه له تترك مجالات كثيرة للدعوة وسبلا مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم.. وكان يرى في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمره به ربه.

أما بعد وفاته، فقد سدّت في وجهه تلك المجالات، فمهما حاول وجد صدا وعدوانا، وحيثما ذهب وجد السبل مغلقة في وجهه، فيعود بدعوته كما ذهب بها؛ لم يسمعها أحد ولم يؤمن بها أحد، بل الكل ما بين مستهزئ ومعتد، ومتهمك به، فيحزنه أن يعود وهو لم يأت من الوظيفة التي كلفه الله بها بنتيجة، فمن أجله سمى ذلك العام عام الحزن.

بل، لقد كان حزنه على أن لا يؤمن الناس بالحق الذي جاء به، شيئا غالبا على نفسه، في أكثر الأحيان. ومن أجل تخفيف هذا الحزن عليه كانت تنزل الآيات مواسية له ومسلية،

ومذكّرة إياه بأنه ليس مكلفاً بأكثر من التبليغ، فلا داعي إلى أن يذهب نفسه عليهم حسرات إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا. استمع مثلاً إلى هذه الآيات: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِإِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام ٦ / ٣٣-٣٥] (١)

أقول قولي ها و استغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه غنه هو الغفور الرحيم.

الخطب الثانية

أما بعد أيها الأحباب أحباب النبي الأواب -صلى الله عليه وسلم:

دروس وعبر من عام الحزن:

١- الموت حق ما منه مهرب: مات أبو طالب الذي كان يدافع عن النبي ﷺ، ثم ماتت زوجته خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، فحان الفراق، وحزن الحبيب لموتهما، فهل من معتبر؟ يأتي الموت على حين غرة، فتفجع في أحبابك وأقاربك، إنه هادم اللذات، ومُفرِّق الجماعات، يأتي بلا استئذان، وسيذوقه كل إنسان، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار

الدار جنة خلد إن عملت بما يرضي الإله، وإن قصرت، فالنار

ودّع قبلهما ابنيه القاسم وعبد الله، وودّع بعدهما ابنه إبراهيم وبناته الواحدة تلو الأخرى ولم يعيش بعده إلا فاطمة رضي الله عنها، وودّع عمّه حمزة بن عبد المطلب كما ودّع

١- «فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة» (ص ٩٨-٩٩)

الكثير من أصحابه وصلى عليهم، وكان يزورهم بين الفينة والأخرى، إلى أن جاءت أم المصائب بفقده صلى الله عليه وسلم.

الموت حق وليس الدمع مبطله ولو بكت أسفاً فقد امرئ أمم

لو كان يسلم حي من مصيبته لجنب المصطفى ما خطه القلم

إن تبك فابك عليه فهي فاجعة كل الفواجع مما بعدها لمم

الطبيعي لا ينافي الرضا بالقضاء والقدر: حزن النبي ﷺ لفقد عمه وفقد زوجته راضياً بقضاء الله وقدره، عالمًا علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، حزنًا طبيعيًا على عمه الذي كان سندًا له ومدافعًا عنه، فحزن لموته على غير الإسلام، وحزنًا طبيعيًا على زوجته خديجة التي أحبها وأحبته، فكانت نعم المعين له في دعوته، فاجتمعت عليه مصيبتا فقد السند الداخلي والسند الخارجي ولسان حاله: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقكما لمحزونون"، فلم يصدر منه ﷺ ما يُنافي الرضا بالقضاء والقدر.

٣- إنك لا تهدي من أحبيت: آمنت خديجة بالنبي ﷺ وكانت أول من آمن به من النساء، فكانت للنبي ﷺ زوجةً صالحةً حتى لقيت ربها مؤمنةً محتسبةً، لكن عمه على النقيض من ذلك كان للنبي ﷺ كالأب الحنون الرؤوف المدافع، فكان مما قال له: "أذهب يا بن أخي، فقل ما أحبيت، فوالله، لا أسلمك لشيء أبداً"، ورفض أن يقدم النبي ﷺ إليهم ليقتلوه ويعطوه ولدًا غيره قائلًا لهم: "والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً"، واعتزل معه في الشَّعب كما رأينا، لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ، وعزَّ عليه أن يترك دين آبائه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: "يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان

بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: "أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. (١)

فما علينا إخواني سوى أن نجتهد فيمن نحب ونأخذ بالأسباب، فنهدي الناس إلى الصراط المستقيم، ولكن لنعلم علم اليقين أن هداية التوفيق بيد الله.

٤- اعمل واحصد ثمرات عملك في الآخرة: مات أبو طالب ولم يربح في الآخرة رغم موته على الكفر إلا تخفيف العذاب عنه يوم القيامة، عن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: "نعم، هو في ضحضاح من النار (أي: ليس في أسافل جهنم)، ولولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار"، وفي رواية البخاري: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماغه". (٢)

أما خديجة رضي الله عنها فقد جاهدت في الله حق الجهاد ولم تنتظر جزاءً ولا شكوراً من أحد، وماتت ولم تر الدعوة تنتشر، ولم تر الوفود تدخل في دين الله أفواجا، بل ماتت والدعوة مستضعفة، لكنها ساهمت في التأسيس والبناء، وكان حصاها في الآخرة البشارة على لسان جبريل عليه السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي

١ - «صحيح البخاري (١١٩ / ٢)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣٩)، طبقات ابن سعد (١ / ١ / ٧٧)، تفسير ابن كثير (٦ /

٢٥٦)، الدر المنثور للسيوطي (١٣٤ / ٥)، تفسير القرطبي (٨ / ٢٧٢)، تفسير الطبري (١١ / ٣٠)».

٢ - روى أحمد في مسنده (١٧٦٨) البخاري (رقم: ٣٨٨٥)

أَتَتْكَ فَاقِرًا عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِي وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ،
وَلَا نَصَبَ". (١).

رحلة النبي ﷺ إلى الطائف بين المحنة واللطائف

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل القرآن هدايةً للمقبلين، وجعل تلاوته بخضوع تهل دمع الخاشعين،
وأنزل فيه من الوعيد ما يهز به أركان الظالمين، وأخبر فيه أن الموت نهايةً لعالمين، وأنا
بعد الموت للحساب مبعوثين وأنا سنحاسب عما كنا فاعلين، وسنقف بذل وخضوع بين
يادي رب العالمين، [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] [الفجر: ٢٣] [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ] [إبراهيم: ٤٩] ليس هناك فرق بين ملك معظم وإنسان مهين، هذا جزاء من
أخلص العمل لله رب العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه من إله عظيم أعز الحق وأخرس المبطلين سبحانه عدد

ما دعاه عباده المساكين سبحانه عدد ما انهمرت دموع المنيين سبحانه جواد كريم قوي
متين

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمدًا رسول الله ما جرا أثواب الحرير وما
مشى التاج من فوق الجبين مرصعًا القميص مرقعًا

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) } [آل

عمران/ ١٠٢}

١ - أخرجه البخاري في صحيحه (رقم: ٣٨٢٠)

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

[النساء / ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب / ٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تعتبر رحلة النبي ﷺ إلى الطائف من أهم فصول السيرة النبوية التي تجسد معاني الصبر والثبات واللجوء إلى الله في أشد المحن. لم تكن مجرد بحث عن ملاذ جديد للدعوة، بل كانت اختباراً إلهياً عظيماً أظهر للعالمين معدن النبوة الخاتمة.

سبب خروجه - ﷺ

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياته، خرج إلى الطائف وحده - وقال ابن سعد: ومعه زيد بن حارثة - يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله.

خروج النبي ﷺ إلى الطائف:

ففي شوال من السنة العاشرة بعد بدء نزول الوحي خرج النبي ﷺ - إلى الطائف التي تبعد عن مكة ستة وتسعين كيلو متر - ماشياً على قدميه الشريفتين - ذهاباً وإياباً، وأقام الرسول ﷺ - في الطائف عدة أيام، ولم يترك أحداً إلا دعاه إلى الإسلام، فتناولوا عليه وطرده، ثم أغروا به سفهاءهم فلاحقوه وهو يخرج من الطائف يسبونه، ويرمون به بالحجارة، حتى دميت قدماه الشريفتان، وحاول زيد بن حارثة - رضي الله عنه - أن يحمي

الرسول - ﷺ - حتى أصيب في رأسه، ولم يزل السفهاء يرمونهما بالحجارة حتى لجأ الرسول - ﷺ - وزيد - رضي الله عنه - إلى حائط - بستان - لعبة وشيبة ابني ربيعة على بعد ثلاثة أميال من الطائف، فرجعوا عنهما .

فقد سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله - ﷺ - قائلة: (يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال - ﷺ - : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (مقات أهل نجد)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، ولقد أرسل إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت؟، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبلين)، فقال رسول الله - ﷺ - : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) رواه البخاري (١)

المنح و اللطائف الإلهية: إسلام عداس :

وبعد العسر يأتي اليسر، ومع الهم يأتي الفرج، ففي طريق عودة رسول الله - ﷺ - إلى مكة جلس في بستان لعبة وشيبة ابني ربيعة من سادات أهل الطائف ليستريح قليلاً، فأرسل غلاماً لهما نصرانياً - يقال له عداس - بقطف من عنب إلى رسول - الله - ﷺ -، فلما وضعه بين يديه - ﷺ -، مد يده قائلاً: (بسم الله ثم أكل، فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال - ﷺ - : من أي البلاد أنت وما دينك؟، فقال عداس : أنا نصراني من أهل نينوي، فقال - ﷺ - : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟، فقال عداس : وما يدريك ما

١ - «أخرجه البخاري (٣٢٣١) في بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (١٧٩٥) في الجهاد والسير، باب: ما لقى النبي - صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.»

يونس بن متى؟، فقال - ﷺ -: ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي، فأكب عداس على رأس رسول الله - ﷺ - ويديه ورجليه يقبلهما وأسلم)، (١) ثم رجع النبي - ﷺ - إلى مكة - ليستأنف الدعوة إلى الله، وعرض الإسلام وإبلاغ الرسالة للوفود والقبائل والأفراد .

إسلام طائف من الجن:

وفي مشاهد من مشاهد هذه الرحلة: بلغ عليه الصلاة والسلام " وادي نخلة " ، بعد رجوعه للطائف وأقام فيه أيامًا .

يلتجئ إلى ربه ويقوم الليل يصلي ويتلو كتاب الله سبحانه ، لقد قام ﷺ يصلي وهو في سفر وعناء ومشقة وإيذاء وهذا يدعونا إلى أن نتذكر قيام الليل فلا نغفل عنه فهو شرف المؤمن فمن ثمراته . الشعور بمعية الله تعالى ، واستحضار أنه في كنف قوي عزيز لا يضام من لجأ إليه ولاذ به ، وهو ما يعطي الداعية قوة روحية و طاقة نفسية يتزود منها في طريقه .

قال مالك بن دينار: "إذا قام العبد يتهجّد من الليل قُرب منه الجبار عز وجل . وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب " .

هنا بعث الله تعالى إليه نفرًا من الجن آمنوا به : «ثم لما كان النبي ﷺ في طريق الرجوع إلى مكة، ونزل بوادي نخلة القريب «مكة يصلي ويقرأ القرآن، نزل عليه مجموعة من الجن فلما سمعوه أنصتوا، قالوا: صه، وكانوا تسعة: أحدهم زوبعة، فأنزل الله - عز وجل: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) }** [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢] (٢) .»

١ - «السيرة النبوية لابن هشام ٤٢١ / ١ .»

٢ - «صحيح: أخرجه الحاكم ٤٥٦ / ٢ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وصححه الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (٢٥٢) .»

وهكذا أسلم الجنّ ونصروا دين الله في وقت كان أكثر البشر فيه ضالون لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون !!

وهي ثمرة من ثمرات الرحلة للطائف والدعوة إلى الله فكأن الله تعالى يثبت فؤاد الحبيب بعدما حدث له في الطائف، ولسان الحال يقول : لئن خذلك البشر فإن ربهم ورب كل شيء معك ، يؤيدك بمن وبما يشاء من خلقه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وأي إنجاز أو نجاح أعظم من إسلام الجن وتأيد الملائكة؟! .. وهل هذا قليل؟؟!!

إجارة المطعم بن عدي

«ونبصر من مآثر الجاهلية العرف الذي له مكانته في نفوسهم، ويعرف به (حق اللجوء السياسي) وفق مصطلح (الدبلوماسية الحديثة)، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا انصرف عن الطائف .. صار إلى حراء - كما نقل ابن هشام^(١) - ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليحيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يُجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عديّ، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلّح المطعم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ: أن ادخل، فدخل رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله،»^(٢) ولأجل هذه السابقة التي سلفت للمطعم بن عدي، قال رسول الله ﷺ في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التّنيني لتركتهن له»^(٣) أقول قولي ها واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

^١ - «السيرة النبوية: ٢: ٢٤: ابن إسحاق معلقاً، وابن سعد: ١: ٢١٢ من طريق الواقدي، والطبري: التاريخ: ٢: ٣٤٧ - ٣٨ من طريق ابن إسحاق.»

^٢ - «الجامع الصحيح للسيرة النبوية» (٤ / ١٤٢٤)

^٣ - «البخاري: ٥٧ - فرض الخمس (٣١٣٩)، وانظر (٤٠٢٤)، والحميدي (٥٥٨)، وابن الجارود: المتقى (١٠٩١)، وأبو داود (٢٦٨٩)، وأبو يعلى (٧٤١٦)، وأحمد: ٤: ٨٠، والبغوي (٢٧١٣)، والبيهقي: ٦: ٣١٩، ٣٢٠، ٦٧: ٩، والشعب (٩١٢٤)، والطبراني: الكبير (١٥٠٥، ١٥٠٧).»

الخطبة الثانية

أما بعد معاشر الموحدين:

اللطائف والعبر:

منها: أنه ليس أحدٌ أكرمَ على الله من نبيه ﷺ ، ومع ذلك أصابه ما أصابه من كرب وبلاء، وعظيم ألم واستخفاف، وتسلب من ضعاف العقول وأرباب الشهوات، ومع ذلك كان ﷺ راضيًا تمام الرضا عن ربه، لم يجد عتبًا ولا افتئاتًا في نفسه، وحاشاه ﷺ ، بل كان رحيماً صابراً محتسباً، لم يعط الأمر أكثر من دعاء عابر وصلاة ضارعة، ثم بدأ يجهز نفسه للدخول لمعترك جديد؛ لمعترك مكة مرةً أخرى.

ومن العبرِ واللطائف أيضاً: أن حظوظ النفس والثأر لها ليس لها مكانٌ عنده ﷺ: فعندما استسلمت (ثقيف) وخنعت، وجاءت مبايعةً له بعد هذه الحادثة بما يقرب من عشر سنين، يتزعمهم أحد الثلاثة الذين طردوا النبي ﷺ ، لم يتحدث معه ﷺ في تلك الحادثة قط، ولم يعيِّره بأنه أصبح محاصراً ذليلاً في حصنه، بل أكرمه وأحسن وفادته، وأحسن التفاوض والتحاور معه.

ذلك عباد الله غيظ - والله - قليلٌ من فيض كثير، من شخصية عظيمة أنى للبشرية بمثلها أو قريب منها؛ وصدق الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وصدق الله حين فضله على الأنبياء؛ فقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، وصدق الله عز وجل: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، سبحان الله! أي إيمان وحكمة وخشية ملأت جنبي رسول الله ﷺ ، وأي مهابة كست وجهه الشريف حتى يراه (عداس) فيكب عليه يقبل يديه ورجليه، وأي صبر أُعطيه ﷺ وهو أشرف العرب نسباً وأعرقهم حسباً، وأوفرهم مكاناً، وأجملهم وأنضرهم، وهو يرى السفهاء يلاحقونه فيعفون ويصفح.

وصدق الله العظيم إذ يخاطبه ﷺ فيقول له في ذروة العنت والألم: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: ١٢٧، ١٢٨].

الصبر والثبات في الدعوة:

النبي ﷺ واجه في الطائف صدودًا قاسيًا وأذى جسديًا ونفسيًا شديدًا، ومع ذلك لم يتخل عن دعوته، يعلّمنا ذلك أهمية الصبر في مواجهة التحديات والصعوبات، خاصة عندما تكون الغاية سامية.

أهمية البحث عن بدائل وأبواب جديدة

بعد أن لقي معارضة في مكة، حاول النبي ﷺ فتح أبواب جديدة لدعوته بالتوجه إلى الطائف، وهذا يعلّمنا أهمية الاستمرار في البحث عن فرص جديدة وعدم الاستسلام أمام العقبات.

التوكل على الله والتضرع إليه عند الشدائد:

النبي ﷺ بذل جهده ولاقى ما لاقى من أهل الطائف وهنا يلجأ إلى الله بالدعاء والشكوى، فما أحوجنا للركون إلى الله والتضرع إليه خاصة عند الشدائد، وهذا يظهر أهمية التوكل والاعتماد على الله في أشد الظروف، مع الإيمان بأنه لن يخذل عباده الصالحين.

إنما أنا رحمة مهداة ﷺ:

بعد أن عرض عليه ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة الأخشيين (جبلين)، رفض النبي ﷺ وقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا. هذا الموقف يعكس رحمة النبي ﷺ حتى بمن أساءوا إليه، ورؤيته البعيدة لتحقيق الخير للبشرية.

الدعوة ليست مرتبطة بالنتائج الآنية:

لم يحقق النبي ﷺ نجاحًا ظاهريًا فوريًا في الطائف، لكن بذرة الدعوة التي زرعها أثمرت فيما بعد عندما دخل كثيرون في الإسلام، ويعلمنا ذلك أن العمل والإخلاص في الدعوة لا يعتمد على النتائج الفورية، بل على النية والمثابرة.

الأمل رغم المحن:

لم يفقد النبي ﷺ الأمل، وظل يعمل ويجتهد رغم الظروف القاسية، مؤمنًا بأن النصر من عند الله، يعلمنا ذلك أن الفرج قد يأتي بعد أشد اللحظات صعوبة، وأن المسلم يجب أن يبقى متفائلًا مهما بلغت التحديات.

الدعاء

أسباب الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بنار

تلظى بدوام الوقيد، المكرم سبحانه وتعالى لمن أطاعه واتفاه بجنات لا ينفذ نعيمها ولا

يغيب، فسبحان الذي قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد [مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] [فصلت: ٤٦] ونشهد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، لا مغيث غير الله،

ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله، ولا مفرج لهمومنا وكروبنا إلا

الله

فإذا أصابك همٌّ فقل يا الله

وإذا أصابك حزنٌ فقل يا الله

وإذا واجهتك المشكلات فقل يا الله

وإذا اجتمعت عليك الدنيا بأسرها فقل الله، فإنه لا مفرج لكل ذلك إلا الله

الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الطَّيْرُ سَبَّحَهُ وَالْوَحْشُ مَجَّدَهُ

وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصَّمَّ قَدَّسَهُ وَالنَّاسُ يَعْصُونَهُ جَهْرًا فَيَسْتُرُهُمْ

ونشهد أن محمد رسول الله النبي المصطفى والرسول المجتبي الرحمة المهداة والنعمة
المسداة، صاحب المقام المحمود والحوض المورد الشفاعة العظمى، سيد الأولين
والآخرين على الله ولا فخر،

يا مصطفى ولأنت ساكن مهجتي رuchi فداك وكل ما ملكت يدي

إني وقفت لنصر دينك همتي وسعادتي ألا بغيرك اقتدي

لك معجزات باهرات جُمةً وأجلّها القرآن خير مؤيد

آياته يشفي السقيم رحيقها وبها تصدّع كل قلب ملحد

ما غيرت أو حُرِفَت كلماته شلت يدا الجاني وشاه المعتدي

ولد الحبيب وبين عينيه الهدى ترنو له العليا بقلب شاهد

قد لآمني فيه العزول، ولو درى نعم الغرام به لكان مساعد غدا

اللهم صل عليه وسلم على أله وأصحابه الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم رحماء

فرضى عنه رب الأرض والسموات وعن التابعين وتابعين بإحسان إلى يوم الدين

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) } [آل

عمران/ ١٠٢}

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) }

[النساء / ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب / ٦٩-٧١] }

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

في هجرة المصطفى مغزى لمذكر لا تجهلوا مجدكم يا قوم وادكروا
لو كان للمال أو للجاه قد خرجوا أو للرياسة أو للفخر ما انتصروا
الله يعلم أن القوم تحفزهم عقيدة ولها الأرواح قد نذروا
فبالعقيدة قام القوم وائتلفوا وبالعقيدة يرمى القوس والوتر
وبالعقيدة ذل الشرك وارتفعت منارة بسنا التوحيد تفتخر
وبالعقيدة كان النصر وانهزمت جيوش كسرى فلا تاج ولا سرور
وبالعقيدة راج العلم وازدهرت رياضته فله الأزهار والثمر
ضعف العقيدة داء الشرق فانتبهوا قووا العقيدة فالإيمان يختصر الأساس
أيها الإخوة الكرماء:

اعلموا أنه من أول يوم في الدعوة الإسلامية المباركة والرسول - ﷺ -

- يعلم أنه سيخرج من بلده مهاجرًا؛ ففي حديثه مع ورقة بن نوفل عندما اصطحبته زوجته خديجة - رضي الله عنها - إلى ابن عمها، عندها قال له ورقة: "هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله

- ﷺ -: ((أَوْمُخْرِجِيْ هَمْ؟!))، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي، وإن يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نصرًا مُّؤَزَّرًا، ثم لم ينشَبْ ورقةً أنْ تُوفِّي" (١).

ومن سَاعَتِهَا عَلِمَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنَّ الطريقَ غيرَ ممهَّد، وليس مَفْرُوشًا بالورود، بل محفوفٌ بالمخاطر والمهالك، وأَنَّهُ مُخْرَجٌ من مَكَّةَ حَتْمًا لا مَحَالَةَ.

إن الطريقَ شاقَّة، إن الطريقَ ليست مفروشةً بالزهور والورود، إن الطريق مليئةٌ بالأشواك.. لا.. بل إنها مفروشة بالأشلاء والجماجم، مزينةٌ بالدماء، غير مزينةٍ بالورود والرياحين.. إن سالكه لن يفوته المنصب وحده، ولن يفوته الجاه وحده، ولن تفوته السيادة وحدها في هذه الأرض، ولكن سيتحمل قولاً ثقیلاً، وسيتحمل جهداً ثقیلاً، وسيجتاز طريقاً ثقیلاً.]

بين يدي الهجرة الكبرى:

اعلموا عباد الله: أنه قد سَبَقَتْ تلك الهجرة المُبَارَكَة عدة هِجَرَات؛ منها: الهجرة الأولى إلى الحبشة؛ والتي هاجرَ فيها عَشْرَةُ رِجَالٍ وخمُسُ نِسْوَةٍ، وكذا الهجرة الثانية إلى الحبشة؛ وقد هاجرَ فيها بضعٌ وثمانون نَفْسًا، وكذا الهجرة إلى الطائف؛ وكان فيها النَّبِيُّ - ﷺ - وحده.

أَمَّا عن أهمِّ أسباب الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة فهي كما يلي:

١ - عدم تقبُّل مكة للإسلام ابتداءً:

كان النَّبِيُّ - ﷺ - حَرِيصًا أَشَدَّ الحِرْصِ على هِدَايَةِ قَوْمِهِ ودخولهم دين التوحيد، فاستعمل - صَلَّى الله عليه وسلَّم - معهم كُلَّ أساليب الرِّفْقِ في الدَّعْوَةِ إلى الله - عزَّ وجلَّ - بشَتَّى صُورِهَا، وبالحكمة والموعظة الحسنة، وأكبر دليلٍ على ذلك قوله تعالى -

١ - "مسند أحمد" (٤٣ / ٥٣)، "صحيح البخاري" (٧ / ١).

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولكن قريشاً أبَتْ إلا أن تُحارب الله ورسوله، فبحث النبي عن مكان آخر يكون أكثر استعداداً لقبول دعوته، فكان هذا المكان هو يثرب (المدينة المنورة فيما بعد).

٢ - استعداد المدينة المنورة لقبول دعوته - ﷺ :-

لَقِيَ النبي - ﷺ - عند العقبة في موسم الحج ستّة نفرٍ من الأنصار، كلهم من الخزرج، فدعاهم رسول الله - ﷺ - إلى الإسلام، فكان من صنّع الله لهم أنهم كانوا من جيران اليهود، فكانوا يسمعونهم يذكرون أن الله - تعالى - يبعث نبياً قد أطلّ زمانه، فقال بعضهم لبعض: هذا والله الذي تُهدّدكم به يهود، فلا يسبقونا إليه، فآمنوا به وبايعوه، وقالوا: إنّا قد تركنا قومنا بيننا وبينهم حروب، فنصرّف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه؛ فعسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك، فلا أحد أعز منك، وانصرفوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، ولم تبق دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله - ﷺ .

حتى إذا كان العام المُقبل قدم مكّة من الأنصار اثنا عشر رجلاً، منهم خمسةٌ من الستّة السابقين، وكلهم من الأوس والخزرج جميعاً، فبايع هؤلاء رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم

فلما انصرفوا بعث رسول الله - ﷺ - معهم ابن أمّ مكتوم، ومُصعب بن عمير يُعلّم من أسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام، ويدعو من لم يُسلم إلى الإسلام، فنزل مُصعب بن عمير على أسعد بن زُرارة.

وخرج إلى المَوسِمِ جماعةٌ كبيرةٌ ممَّن أسلمَ من الأنصار يُريدون لقاءَ رسولِ الله - ﷺ - في جملة قومٍ كفَّارٍ منهم لم يُسلموا بعدُ، فوافوا مكَّةَ، وكان في جُمليتهم البراء بن معرُور، فرأى أن يستقبل الكعبة في الصَّلاة، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، فصلَّى كذلك طول طريقه، فلَمَّا قَدِمَ مكَّةَ نَدِمَ، فاستفتَى رسولَ الله - ﷺ - فقال له: ((قد كُنتَ على قبلةٍ لو صَبَرْتَ عليها))، مُنكَرًا لفعله.

فواعِدُوا رسولَ الله - ﷺ - العقبةَ من أواسط أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فلَمَّا كانت تلك الليلة دعا كعبُ بن مالكٍ ورجالٌ من بني سلمة عبدَ الله بن عمرو بن حرام - وكان سيِّدًا فيهم - إلى الإسلام، ولم يكن أسلم، فأسلم تلك الليلة وباع. وكان ذلك سرًّا ممَّن حَضَرَ من كفَّار قومهم، فخرَجُوا في ثُلثِ الليلِ الأوَّلِ مُتَسَلِّلِينَ من رِحالهم إلى العقبة، فبايعُوا رسولَ الله - ﷺ - عِنْدَهَا على أن يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأبناءَهُمْ، وأن يَرَحَلَ إِيَّاهُمْ هو وأصحابُهُ (١).

هكذا كانت المدينة أرضًا خصبة للدعوة والدَّولة الإسلامية بما فيها من عناصر الدولة الثلاثة: "الشَّعب، السُّلطة، الدَّولة".

٣ - تعرُّضه - ﷺ - لَصُنُوفٍ من الإيذاء:

لقد تعرَّض - ﷺ - للابتلاء الشَّدِيد والمِحَن العَصِيْبِيَّة؛ فقد آذاه قومه بكلِّ أنواع الإيذاء، واستخدموا معه كلَّ ما استطاعوا لإخماد نور وحيه، والقضاء على دعوته في مهدها، وتمثَّل هذا الإيذاء بنوعيه: بالكلام والفعل.

فبالكلام قالوا عنه: "ساحر وشاعر ومجنون"، ومنه: "لَمَّا نَزَلْتُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ - على الصَّفا، فجعل يُنادي: ((يا بني فهر،

١ - "الدرر في اختصار المغازي والسير"؛ لابن عبد البر الأندلسي (١ / ٦٧ - ٧٠)، بتصرف يسير

يا بني عدي)) - لبطن قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصدّقين؟))، قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: ((فإنني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ))، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١ - ٢] "(١) .

أمّا بالفعل: فقد روى البخاري من حديث عروة بن الزبير، قال: "سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي - ﷺ - قال: بينا النبي - ﷺ - يُصَلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبه بن أبي مُعَيْط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي - ﷺ - قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾ [غافر: ٢٨] الآية" (٢) .

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما أيضاً من حديث عمرو بن ميمون: "أنَّ عبد الله بن مسعود حدّثه أنَّ النبي - ﷺ - كان يُصَلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جُلُوسٌ، إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمدٍ إذا سجّد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجّد النبي - ﷺ - فوضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة! قال: فجعلوا يضحكون ويحِيل بعضهم على بعض، ورسول الله - ﷺ - ساجدٌ لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رسول الله - ﷺ - رأسه ثم قال: ((اللهم عليك بقريش)) ثلاث مرّات، فشقّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدّعوة في ذلك البلد مُستجابة، ثم

١ - "صحيح البخاري" (٦ / ١١١).

٢ - "صحيح البخاري" (٥ / ٤٦).

سَمَّى: ((اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعُتْبَةَ بن ربيعة، وشَيْبَةَ بن ربيعة، والوليد بن عُتْبَةَ، وأمِّيَّة بن خلف، وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط)) وعدَّ السابع فلم يُحفظ، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيتُ الذين عدَّ رسولُ الله - ﷺ - صرعى، في القلبِ قلب بدرٍ^(١).

ومن أواخر المَكِيدَاتِ الفعلية في مَكَّة اتَّفَقَهم على قتلِهِ - ﷺ - في فراشه وهو ما حكاه أهل السَّير؛ حيث اجتمع رجالٌ من قريش ذات يومٍ وتشاكروا وتشاورُوا في أمر النبي - ﷺ - وانتَهَى بهم الأمرُ إلى قتلِهِ - ﷺ - فاقترح عليهم أشقى القوم أبو جهل بن هشام أن يأخذوا من كلِّ قبيلة شابًّا فتياً جليداً نسيباً، ثم يعطوا كلَّ شابٍّ منهم سيفاً فيضربوه - ﷺ - ضربة رجلٍ واحدٍ، فيتفرَّق دمه - ﷺ - بين القبائل فلا يقدر بنو عبدمناف على حربهم جميعاً، فنجاه الله منهم بمنه وكرمه^(٢).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد أيها الإخوة الأحاب :.....

٤ - النِّكَالُ وإيقاع العذاب بكُلِّ مَنْ آمَنَ به - ﷺ - :

عاش المسلمون المؤمنون الفترة التي قَضَوْها في مَكَّة مُعَذِّبِينَ مُضْطَهَدِينَ، والكافرون لا يَرُقُّون فيهم إلَّا ولا ذمَّة، وليس لهم من ظَهَرٍ يَحْمِيهم، ولا جَيْشٍ يُدَافِعُ عنهم، ولا مَنْ يَدُبُّ عن بيضَتِهِم، فكان لا بُدَّ من خلاصٍ لهذا الاضطهاد المستمرِّ، وهذا النِّكَالُ المُفْطَعُ،

^١ - "صحيح البخاري" (٥ / ٤٦).

^٢ - "صحيح البخاري" (١ / ٥٧)، "صحيح مسلم" (برقم ١٧٩٤).

فكانت الهجرة إلى المدينة لإقامة المجتمع الآمن لهؤلاء المؤمنين تمثل لهم ضرورة ملحة حتى يعبدوا ربهم في مآمن من الكفر وأهله.

فهذه عائلة "آل ياسر" قد ساءهم الكفار سوء العذاب من الضرب والإهانة وشدة التعذيب، حتى إن النبي - ﷺ - مر عليهم مرة وهم يُعذَّبون فقال لهم - صلى الله عليه وسلم - : ((صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)) (١).

بل كانت سمية أم عمار - رضي الله عنهما - أول شهيدة في سبيل الله في الإسلام. وبلال الذي أودى إيذاءً شديداً عندما كانوا يكبُّوه - رضي الله عنه - على الرَّمضاء في نهار صيف مكة ويضعون الحجر على ظهره حتى يرجع عن دينه، فلا يزيد إلا أن يقول: أحدٌ أحدٌ، حتى مرَّ به أبو بكر الصديق يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه ممَّا ترى، قال أبو بكر: أفعل، عندي غلامٌ أسودٌ أجلدُ منه وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلتُ، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالاً فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ستَّ رقابٍ، بلالٌ - رضي الله عنه - سابعهم (٢) [٩].

وكذا كان من كيدهم أمر الصحيفة الظالمة والشعب؛ قال ابن سيّد الناس: "ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم واتفق رأيهم على قتل رسول الله - ﷺ - وقالوا: قد أفسد أبناءنا ونساءنا، فقالوا لقومه: خذوا مِنَّا ديةً مضاعفةً ويقتله رجلٌ من غير قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم، فأبى قومه بنو هاشم من ذلك، فظاهرهم بنو المطلب بن عبدمناف،

١ - "السيرة النبوية"؛ لابن هشام (١ / ٣٢٠)، "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية"؛ لابن حجر العسقلاني (١٦ / ٢٩٥).

٢ - "فضائل الصحابة"؛ للإمام أحمد بن حنبل (١ / ١١٩).

فَأَجْمَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَرِيشٍ عَلَى مُنَابَذَتِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّعْبِ، فَلَمَّا دَخَلُوا إِلَى الشَّعْبِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ مُتَجَرِّاً لِقَرِيشٍ، فَكَانَ يُثْنِي عَلَى النِّجَاشِيِّ بِأَنَّهُ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا عَامَّةً مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَدَخَلَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شِعْبَهُمْ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ دِينًا وَالْكَافِرُونَ حَمِيَّةً، فَلَمَّا عَرَفَتْ قَرِيشُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ مَنَعَهُ قَوْمُهُ أَجْمَعُوا عَلَى الْأَيْبَاعِهِمْ، وَلَا يَدْخُلُوا إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الرِّفْقِ، وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْأَسْوَاقَ، وَلَمْ يَتْرَكُوا طَعَامًا وَلَا إِدَامًا وَلَا بَيْعًا إِلَّا بَادَرُوا إِلَيْهِ وَاشْتَرَوْهُ دُونَهُمْ، وَلَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا أَبَدًا، وَلَا تَأْخُذُهُمْ بِهِمْ رَافَةٌ حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - - لِلْقَتْلِ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً وَعَلَّقُوهَا فِي الْكَعْبَةِ، وَتَمَادَوْا عَلَى الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ وَعَلَى كُلِّ مَنْ مَعَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ تَلَاوَمَ قَوْمٌ مِنْ قُصَيٍّ مِمَّنْ وَلَدَتْهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَمِنْ سَوَاهِمٍ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ وَالْبَرَاءَةِ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الْأَرْضَةَ فَأَكَلَتْ وَلَحَسَتْ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ مِيثَاقٍ وَعَهْدٍ" (١) .

٥ - الهجرة وضرورة إقامة الدولة الإسلامية:

"رَأَى النَّبِيُّ - ﷺ - أَنَّهُ مَكْلَفٌ بِرِسَالَةٍ عَالَمِيَّةٍ وَلَيْسَتْ مَحَلِّيَّةً أَوْ قَوْمِيَّةً، وَأَنَّ هَذِهِ الْعَالَمِيَّةَ لِرِسَالَتِهِ لَمْ تَكُنْ طُمُوْحًا خَاصًّا، يَتَطَلَّعُ النَّبِيُّ - ﷺ - إِلَى تَحْقِيقِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ السَّبِيلَ إِلَى ذَلِكَ شَاقٌّ وَعَسِيرٌ قِيَاسًا بِمَا لَقِيَهُ مِنْ مُحَاوَلَاتٍ نَشَرَ الدَّعْوَةَ دَاخِلَ الْمَحِيطِ الضَّيِّقِ الَّذِي لَمْ يَتَعَدَّ قَبِيلَتَهُ أَوْ الْقَبَائِلَ الْمُجَاوِرَةَ فِي مَكَّةَ وَمَا يُحِيطُ بِهَا، بَيَدِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - اسْتَشْعَرَ مَسْئُولِيَّةَ قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

١ - "عيون الأثر"؛ لابن سيّد الناس اليعمرى (١ / ١٤٧ - ١٤٨).

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴿[المائدة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨].

من أجل هذا أحسَّ النبي - ﷺ - أن تحقيق عالمية رسالته لا تأتي إلا من خلال نظام سياسي وكيان اجتماعي يحميها نظام عسكري في موطن أمين، أو بالأحرى من خلال دولة تكفل لهذه الدعوة حق الانتشار والذيع، وتحمي أتباعها وتؤمنهم؛ ومن ثم تطلع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى تحقيق ذلك؛ إذ "سرعان ما نجده - ﷺ - يتحرك صوب الخروج إلى مكان جديد يصلح لصياغة الطاقات الإسلامية في إطار دولة تأخذ على عاتقها الاستمرار في المهمة بخطى أوسع، وإمكانات أعظم بكثير من إمكانات أفراد تتأهبهم شُرور الوثنية من الداخل، وتضغط عليهم قيم الوثنية من الخارج، ويصرف طاقتهم البناء اضطراراً قريش بدلاً من أن تمضي هذه الطاقات في طريقها المرسوم؛ لذلك استمر على بذل الجهد البشري الكامل في البحث والتخطيط للهجرة التي ستعقب دولة، وللدولة التي ستعقب أنصاراً..." (١).

١ - "قضايا ومواقف من السيرة النبوية"؛ د. هاشم عبدالراضي (ص ١٢٥). وخطوات في الهجرة والحركة"؛ د. عماد الدين خليل (ص ١٩-٢٠).

إسلام الأنصار واستجابتهم لله ولرسوله

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقّس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناء وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه

هذا النبي محمد خير الورى ونيهم وبه تشرف آدم

وله البها وله الحياء بوجهه كل الغنى من نوره يتقسم

يا فوز من صلى عليه فانه في جنة المأوى غدا يتنعم

صلى عليه الله جل جلاله ما راح حاد باسمه يترنم

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم

بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

الاتصالات الأولى بالأنصار في مواسم الحج والعمرة:

١ - إسلام سويد بن الصامت:

معاشر الموحدين : كان رسول الله ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما جاء به من الهدى والحق، فقدم

سويد بن الصامت - أخو بني عمرو بن عوف - مكة حاجًا أو معتمرًا، وكان سويد يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده، وشعره، وشرفه، ونسبه، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟

فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة^(١) لقمان، فقال له رسول الله: «اعرضها علي» فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور» فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج، وقد كان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعاث^(٢) وعلى أية حال لا توجد دلائل على قيام سويد بن الصامت بالدعوة إلى الإسلام وسط قومه^(٣)

٢ - إسلام إياس بن معاذ:

إخوتي في الله: لما قدم أبو الحيسر بن رافع مكة ومعه فتیان من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم فجلس إليهم، فقال: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً وأنزل عليّ الكتاب»، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلامًا حدثًا: هذا والله خير مما جئتم له فيأخذ أبو الحيسر كفًا من تراب، فضرب به وجهه، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير

(١) - المجلة: الصحيفة، وتطلق على الحكمة أي حكمة لقمان.

(٢) - سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠) إسناد حسن.

(٣) - السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٩٥).

هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، وقد روي من حضره من قومه أنه ما زال يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع^(١).

عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل وبدء إسلام الأنصار:

أحبتي في الله : كان النبي صلى الله عليه وسلم، خلال هذه الفترة كلها، يعرض نفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل التي تتوافد إلى البيت الحرام، يتلو عليهم كتاب الله ويدعوهم إلى توحيد الله فلا يستجيب له أحد.

يقول ابن سعد في طبقاته: «كان رسول الله ﷺ يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذو المجاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربّه ولهم الجنة، فلا يجد أحدا ينصره، ويقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذلّ لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة»، وأبو لهب وراءه يقول: «لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب»، فيردون على رسول الله أقبح الرد ويؤذونه»^(٢).

وروي ابن إسحاق عن الزهري: «أنّ النبي ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أنني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال

(١) -سيرة ابن هشام (٢/ ٤١) بإسناد حسن.

(٢) -الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ٢٠٠ و ٢٠١، وروي ابن إسحاق نحوه، انظر سيرة ابن هشام: ١/ ٤٢٣

الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء، قال، فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك»^(١)

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على القبائل شأنه كل عام، فبينما هو عند

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يوم بعث يومًا قدمه الله لرسوله - ﷺ -، فقدم رسول الله - ﷺ - وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم وجرحوا، فقدمه الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في دخولهم في الإسلام"^(٢)
قال ابن إسحاق: (فلما أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - إظهار دينه، وإعزاز نبيه - ﷺ -، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله - ﷺ - في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، وهم فيما يزعمون ستة فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب"^(٣) .

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: "لما لقيهم رسول الله - ﷺ - قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج قال: (أمن موالي يهود؟) قالوا: نعم قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.
قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عَزُّوهم ببلادهم^(٤)، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

(١) - سيرة ابن هشام: ١ / ٤٢٥، وتاريخ الطبري: ٢ / ٣٥٠

(٢) - أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مناقب الأنصار حديث رقم: ٣٧٧٧ فتح الباري: ٧ / ١١٠ أحمد في المسند: ٦ / ٦١ وانظر الفتح الرباني: ٢٠ / ٦٧.

(٣) - قال الهيثمي في المجمع: ٦ / ٤٢ رواه الطبراني ورجاله ثقات، السيرة النبوية: ٢ / ٨١.

(٤) - عَزُّوهم: معناه: غلبوهم، ومنه قوله تعالى: {وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ} (ص: آية ٢٣).

فلما كلم رسول الله - ﷺ - أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله - ﷺ - راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا^(١).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة الأكارم

بيعة العقبة الأولى:

أيها الأحباب الكرام: فلما كان موسم الحج العام المقبل جاء إلى الموسم اثنا عشر رجلاً من المؤمنين عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، وهم الستة الأول خلا جابر بن عبد الله - ومعهم معاذ بن الحارث بن رفاع - أخو عوف المتقدم - وذكوان بن عبد قيس -

(١) - أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٤٢٨، ٤٢٩، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٤٣٣، ٤٣٥، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٣٢٣، وإسناده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وابن كثير في السيرة: ٢/ ١٧٦ - ١٧٧، ورواه ابن سعد في الطبقات: ١/ ٢١٨ - ٢١٩، من طريق فيها الواقدي وأسماء بن زيد من غير طريق ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٤٣٣ - ٤٣٥ من طريق ابن إسحاق، ورواه الطبراني مرسله وفي سندها ابن لهيعة وفيه ضعف، وهو حسن الحديث، وبقية الرجال ثقات انظر المجمع: ٦/ ٤٠ - ٤٢ ورواه أبو نعيم في الدلائل ص: ١٠٤.

وعباد بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، فهؤلاء عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، وهما مالك بن النيهان، وعويمر بن ساعدة

عن عباد بن الصامت رضي الله عنه قال: (كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله إن شاء عذبکم، وإن شاء غفر لکم" (١) .

إرسال الرسول مصعباً إلى المدينة وانتشار الإسلام فيها:

عن عاصم بن عمر بن قتادة: "أن رسول الله - ﷺ - إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضي الله عنهم أجمعين" (٢) .

قال ابن إسحاق: حدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زبير بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد ابن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر يقال لها: بئر مرق. فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يومئذ سيذا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به

(١) - أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب وفود الأنصار وبيعة العقبة رقم: ٣٨٩٣ فتح الباري: ٧ / ٢١٩، مسلم كتاب الحدود

باب الحدود كفارات لأهلها رقم الحديث: ١٧٠٩

(٢) - أحمد في المسند: ٥ / ٣٢٣، وانظر الفتح الرباني: ٢٠ / ٢٦٩، وابن هشام في السيرة: ١ / ٤٣٣ عن ابن إسحاق بسند صحيح

قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجيين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وأنهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهيله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك.

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتاً، ثم قال لأسعد ابن زرارة: يا أبا أمامة، (أما والله) لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره -وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان- قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهيله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير. قال: فلما رآه قومه مقبلاً: قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمه، ووائل، وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنهم

كان فيهم أبو قيس ابن الأسلت، واسمه صيفي، وكان شاعرًا لهم قائداً يستمعون فيه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق" ^(١).

فوائد ودروس وعبر

١ - اتجه التخطيط النبوي للتركيز على يثرب بالذات، وكان للنفر الستة الذين أسلموا دور كبير في بث الدعوة إلى الإسلام خلال ذلك العام.

٢ - كانت هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار الإسلام في المدينة منها:

٣ - ما طبع الله عليه قبائل الخزرج والأوس من الرقة واللين، وعدم المغالاة في الكبرياء وجحود الحق، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين وفد وفد من اليمن بقوله: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً» ^(٢) وهما ترجعان في أصليهما إلى اليمن، نزع أجدادهم منها في الزمن القديم ^(٣) فيقول القرآن الكريم مادحاً لهم: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [الحشر: ٩].

٤ - ومنها التشاحن والتطاحن الموجودان في قبيلتي المدينة، الأوس والخزرج، وقد قامت بينهما الحروب الطاحنة كيوم بُعث وغيره، وقد أفنت هذه الحرب كبار زعمائهم ممن كان نظراؤهم في مكة والطائف وغيرها، حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبق إلا القيادات الشابة الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة معروفة

^(١) - أخرجه ابن إسحاق في السيرة انظر سيرة ابن هشام: ١ / ٤٣٥ - ٤٣٧ والطبري في التاريخ: ٢ / ٣٥٧، ٣٥٩، وسنده حسن،

وهو مرسل، وانظر ابن كثير في السيرة: ٢ / ١٨١ - ١٨٥، السيرة النبوية للذهبي: ١٩٨ - ٢٠٠،

^(٢) - البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعرين، رقم ٤٣٨٨.

^(٣) - السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص ١٥٤

يتواضع الجميع على التسليم لها، وكانوا بحاجة إلى من يأتلفون عليه، ويلتئم شملهم تحت ظله، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان يوم بُعث يومًا قدمه الله تعالى لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم^(١) وجُرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام»^(٢).

٥- ومنها مجاورتهم لليهود مما جعلهم على علم -ولو يسير- بأمر الرسالات السماوية، وخبر المرسلين السابقين، وهم في مجتمعهم يعيشون هذه القضية في حياتهم اليومية وليسوا مثل قريش التي لا يساكنها أهل كتاب وإنما غاية أمرها أن تسمع أخبارًا متفرقة عن^(٣)

٦- استطاع سفير رسول الله ﷺ أن يفعل في عامٍ واحدٍ الكثير، وما ذلك إلا بتوفيق الله تعالى، ثمَّ بصدق ذلك الدَّاعية وإخلاصه، فأين سفراء دول المسلمين اليوم من سفير رسول الله ﷺ، فعلى ولادة الأمر أن يختاروا السَّفير المؤمن الملتزم الموهوب؛ الذي يستطيع أن يمثل بلاده، ودينه قولاً وعملاً، وخُلُقاً وسلوكاً، فيرى النَّاسُ، ويسمعون من خلاله.

٧- استطاع السَّفير مصعب رضي الله عنه أن يهيئ البيئة الصَّالحة، لانتقال الدَّعوة والدَّولة إلى مقرِّها الجديد؛ حيث استطاع ترجمة روح بيعة العقبة الأولى عملياً وسلوكياً، والتي تعني الالتزام التَّام بنظام الإسلام.

(١) - السروات: الأشراف

(٢) - البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار (٤ / ٣٦٧)، رقم ٣٧٧٧.

(٣) - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ٢٤٢)

٨-- أن الإسلام يذهب جميع الفوارق والعداوات ويصهر أتباعه في وحدة واحدة من أول لحظة يعتنقه أتباعه إذا كانوا على الفطرة، فهذا هو قد أذهب الشحناء بين الأوس والخزرج في أول سنة فيقدم وفد العقبة من الأوس والخزرج.

٩- أن هذا الدين ما إن تخالط بشاشته القلوب حتى يصبح معتنقه نشطاً في الدعوة، فالأنصار لما رجعوا إلى أهلهم - ومع أنهم لم يجلسوا مع صاحب الرسالة إلا مرة واحدة - إلا أنهم حملوا مشعل هذا الدين واعتبروا أنفسهم الدعاة المناط بهم تبليغه ونشره؛ فلهذا أسلم على أيديهم أعداد كثيرة.

١٠- العناية التامة باختيار الداعية فقد توفر بمصعب عدة صفات، فإلى جانب حفظه للقرآن ومعرفته بالإسلام، فهو يتميز بالذكاء والفطنة وحسن التصرف، وجودة العرض، والقدرة على الإقناع

بيعة العقبة الثانية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، شهادة أدخرها لي ولكم إلى يوم المصير {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ... إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، فشرح به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

لما كثرت أعداد المسلمين في يثرب خرجت مجموعة كبيرة من حُجَّاج يثرب مسلمين ومشركين إلى مكة، واتفق المسلمون منهم على المسير إلى النبي ﷺ مستخفين لا يشعر بهم أحد، وكان هذا في الموسم التالي للبيعة الأولى، وواعدوا النبي ﷺ عند العقبة ثاني أيام التشريق، فلما كان الليل تسللوا إلى القبة سرّاً، وكانوا سبعين رجلاً وامرأتين، هما: نسيبة بنت كعب المازنية وأسماء أم عمرو بنت عدي - وذكر ابن حجر أنهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان - وحضر رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس، حيث أحب أن يستوثق منهم لابن أخيه

عَنْ جَابِرٍ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشَرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ وَمَجَنَّةَ وَعُكَاطَ يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلَا يُؤْوِيهِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ الْيَمَنِ إِلَى ذِي رَحِمَةٍ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ لَهُ احْذَرِ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثْنَا اللَّهَ مِنْ يَثْرَبَ فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ مِمَّنَا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقِرُّهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسَلِّمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَبَعَثْنَا اللَّهَ إِلَيْهِ فَأَتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَرِّدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَا بَيْعَةَ الْعُقْبَةِ فَقَالَ لَهُ عَمَّةُ الْعَبَّاسِ يَا ابْنَ أَخِي مَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرَبَ فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ هَؤُلَاءِ أَحْدَاثُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ نُبَايَعُكَ؟ قَالَ "تُبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى النِّفَاقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ فَمَنْ نُبَايَعُهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ فَقَالَ رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرَبَ إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعْصِيَكُمْ السِّيُوفُ فِيمَا أَنْتُمْ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِمَّا أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْدَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ فَقَالُوا: يَا أَسْعَدُ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقْبِلُهَا فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ يُعْطِينَا بِذَلِكَ الْجَنَّةَ ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَمُضْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ يُعَلِّمَانِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ

الْقُرْآنَ وَيَدْعُوَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَزَلَا عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ۖ وَكَانَ مُضْعَبُ بْنُ
عُمَيْرٍ يُؤْمِنُهُمْ وَجَمَعَ بِهِمْ لَمَّا بَلَغُوا أَرْبَعِينَ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِمَا بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أُسَيْدُ بْنُ
الْحَضِيرِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
إِلَّا أَصِيرَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ بْنُ وَقْشٍ ۖ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحْدٍ وَأَسْلَمَ حِينَئِذٍ وَقَاتَلَ
فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً فَأُخْبِرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ " (١) .

من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وسياقه أطول وتفصيله أكثر: وكان ممن شهد
العقبة وبائع رسول الله قال: "خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا،
معنا البراء بن معرور، كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء
لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟ قلنا له: وما ذاك؟
قال: إني قد رأيت أن أدع هذه البنية حتى تظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها، قال: فقلنا
والله بلغنا أن نبينا - ﷺ - يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، قال: فقال: إني
لمصل إليها. قال: فقلنا له: لكننا لا نفعل قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام
وصلى هو إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.
قال: وكنا قد عتبنا عليه، وأبي إلا الإقامة عليه، فلما قدم مكة قال لي: يا ابن أخي انطلق بنا
إلى رسول الله - ﷺ -، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في
نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

(١) - أخرجه أحمد: ٣/ ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٩٤، والبيهقي في السنن: ٩/ ٩، من طريق ابن خيثم عن أبي الزبير ورجاله ثقات، ابن حبان: ١٦٨٦، الحاكم: ٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥ وصححه ووافقه الذهبي، كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٥٦ ورجاله رجال الصحيح، قال
الحافظ في الفتح: ٧/ ٢٢٠ رواه أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم، وقال ابن كثير في السيرة: ٢/ ١٩٦، هذا إسناد جيد على
شرط مسلم، وانظر المطالب العالية باختصار: ٤٢٩٠، وقال رواه أبو بكر بن أبي شيبة وهو صحيح، وأبو يعلى وقال الهيثمي في
المجمع: ٦/ ٤٦ رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح، واللفظ لأحمد.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟

قال: قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس - كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فهذا العباس جالس، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك.

قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الشاعر؟ قال: نعم، فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله - ﷺ -، وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال: وخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله - ﷺ - بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون

حطبًا للنار غداً، ثم دعونه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا.

قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله - ﷺ -، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاث وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبه بنت كعب أم عمارة - إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسما بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله - ﷺ -، حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب، إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله - ﷺ -، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ، ورغب في الإسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله - ﷺ -، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة^(١)، ورثناها كابرا عن كابر.

قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله - ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حباً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال فتبسم رسول الله - ﷺ - ثم قال: (بل الدم الدم، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم).

وقال رسول الله - ﷺ -: (أخرجوا لي اثني عشر نقيباً منكم يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس).

- وأما معبد بن مالك حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك - قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله - ﷺ - البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم، فلما بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباب - المنازل - هل لكم في مذمم والصبابة معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله - ﷺ -: (هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب - أسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك).

ثم قال رسول الله - ﷺ -: (ارفضوا إلى رحالكم). قال: فقال له العباس بن عباد بن فضله: والله الذي بعثك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فنا؟

(١) - الحلقة: السلاح. الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم. مذمم: المذموم جداً، الصبابة: جمع صابئ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صابئ أزب العقبة: اسم شيطان. ارفضوا: تفرقوا.

قال: فقال رسول الله - ﷺ -: (لم نؤمر، بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم).

قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قال: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، لأنه والله ما من حي من أحياء العرب أبغض إلينا، إن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، قال: وقد صدقوا، لم يعلموه.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، ومنهم الحارث بن هشام ابن المغيرة، وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر، وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إلى، وقال: والله لتتعلنهما. قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى، اردد عليه نعليه، قال: فقلت: والله لا أردهما قال: قال والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلمه" (١).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم ل ذلك فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

(١) - أخرجه أحمد: ٣/ ٤٦٠، ٤٦٢، الطيالسي: ٢/ ٩٠ - ٩٤ رقم الحديث: ٢٣٣٣، من طريق ابن إسحاق، السيرة النبوية ابن هشام: ١/ ٤٤٠، ٤٤٨ ابن جرير في التاريخ: ٢/ ٩٠ - ٩٣ بسند صحيح، وصححه ابن حبان كما في الفتح: ٥/ ٤٢٥ الموارد ص: ٤٠٨، السيرة النبوية ابن كثير: ٢/ ١٩٢ - ١٩٤، السيرة النبوية للذهبي: ٢٠٣ - ٢٠٦، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٤٢ - ٤٥: رواه أحمد والطبراني بنحو. ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. ورواه البيهقي في الدلائل: ٥/ ٤٤٥ - ٤٤٩ وفي السنن: ٩/ ٩، والحاكم في المستدرک: ٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

الخطبة الثانية

أسماء النقباء من الأنصار

* نقيب بني النجار:

١ - أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - .

* نقيب بني سلمة:

٢ - البراء بن معرور - رضي الله عنه - ٣ - عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر - رضي الله عنه -

* نقيب بني ساعدة:

٤ - سعد بن عبادة - رضي الله عنه - ٥ - المنذر بن عمرو - رضي الله عنه - .

* نقيب بني زريق:

٦ - رافع بن مالك بن العجلان - رضي الله عنه - ..

• نقيب بني الحارث بن الخزرج:

٧ - عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ٨ - سعد بن الربيع - رضي الله عنه - .

نقيب بني عمرو بن عوف بن الخزرج:

٩ - عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .

* نقباء الأوس:

* نقيب بني عبد الأشهل:

١٠ - أسيد بن حضير - رضي الله عنه -.

*** نقيب بني عمرو بن عوف:**

١١ - سعد بن خيثمة - رضي الله عنه - ١٢ - رفاعه بن عبد المنذر - رضي الله عنه -^(١)

الدروس والعبر من بيعة العقبة الثانية

١ - كانت هذه البيعة العظمى بملاساتها، وبواعثها، وآثارها، وواقعها التاريخي (فتح الفتوح)^٩ لأنها كانت الحلقة الأولى في سلسلة الفتوحات الإسلامية التي تتابعت حلقاتها في صور متدرجة مشدودة بهذه البيعة

٢ - إن حقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس تظهر آثارها في استعداد هذه القيادات الكبرى لأن تبذل أرواحها ودماءها في سبيل الله ورسوله - ﷺ -، ولا يكون لها الجزاء في هذه الأرض كسباً ولا منصباً ولا قيادة ولا زعامة، وهم الذين أفنوا عشرات السنين من أعمارهم يتصارعون على الزعامة والقيادة، إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين عندما يتغلغل في النفوس.

٣ - يظهر التخطيط العظيم في بيعة العقبة، حيث تمت في ظروف غاية في الصعوبة، وكانت تمثل تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك في ذلك الوقت^{١٠} ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة على النحو التالي:

أ - سرية الحركة والانتقال لجماعة المبايعين، حتى لا ينكشف الأمر، فقد كان وفد المبايعة المسلم، سبعين رجلاً وامرأتين، من بين وفد يثربي قوامه نحو خمسمائة، مما يجعل حركة هؤلاء السبعين صعبة، وانتقالهم أمراً غير ميسور، وقد تحدد موعد اللقاء في

(١) - قال ابن هشام في السيرة (٢ / ٥٨): وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعه.

ثاني أيام التشريق بعد ثلث الليل، حيث النوم قد ضرب أعين القوم، وحيث قد هدأت الرّجل، كما تم تحديد المكان في الشعب الأيمن، بعيدا عن عين من قد يستيقظ من النوم لحاجة.

ب- الخروج المنظم لجماعة المبايعين إلى موعد ومكان الاجتماع، فخرجوا يتسللون مستخفين، رجلاً رجلاً، أو رجلين رجلين.

ج- ضرب السرية التامة على موعد ومكان الاجتماع، بحيث لم يعلم به سوى العباس بن عبد المطلب الذي جاء مع النبي - ﷺ - ليتوثق له وعلي بن أبي طالب الذي كان عيناً للمسلمين على فم الشعب، وأبو بكر الذي كان على فم الطريق وهو الآخر عيناً للمسلمين، أما من عداهم من المسلمين، وغيرهم فلم يكن يعلم عن الأمر شيئاً، وقد أمر جماعة المبايعين أن لا يرفعوا الصوت، وأن لا يطيلوا في الكلام، حذراً من وجود عين يسمع صوتهم، أو يجس حركتهم.

د- متابعة الإخفاء والسرية حين كشف الشيطان أمر البيعة، فأمرهم النبي - ﷺ - أن يرجعوا إلى رحالهم ولا يحدثوا شيئاً، رافضاً الاستعجال في المواجهة المسلحة التي لم تنهياً لها الظروف بعد، وعندما جاءت قريش تستبرئ الخبر، موه المسلمون عليهم بالسكوت، أو المشاركة بالكلام الذي يشغل عن الموضوع.

هـ- اختيار الليلة الأخيرة من ليالي الحج، وهي ليلة الثالثة عشر من ذي الحجة، حيث سينفر الحجاج إلى بلادهم ظهر اليوم التالي وهو اليوم الثالث عشر، ومن ثم تضيق الفرصة أمام قريش في اعتراضهم أو تعويقهم إذا انكشف أمر البيعة، وهو أمر متوقع وهذا ما حدث.

٤- كانت البنود الخمسة للبيعة من الوضوح والقوة بحيث لا تقبل التميع والتراخي، إنه السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في اليسر والعسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام في الله لا تأخذهم فيه لومة لائم، ونصر لرسول الله وحمايته إذا قدم المدينة.^(١)



(١) - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ٢٤٧)

أول سفير في الإسلام

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

أيها الإخوة الأحباب نقف اليوم مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة"

مصعب بن عمير رضي الله عنه أنموذجا"

مصعب بن عمير أول من هاجر إلى المدينة.....

وأول سفير في الإسلام.....

اشتهر قبل الإسلام بجماله وارتدائه أفضل الملابس وأغلاها وتعطره بأجمل العطور، فعُرف بـ"أعطر أهل مكة"، وكان من زينة شباب قريش، صارت قصته

في الإسلام درسا من دروس السماء لبني البشر، ليتعلموا حياة الرجال مع مبادئهم، واستعلائهم على الدنيا بما فيها من متاع مبهر.

مصعب بن عمير - رضي الله عنه - أول فاتح بعثه رسو الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ففتحها وما ترك دارا منها إلا ادخلها الإسلام لم يفتحها بالسيف وإنما فتحها بمفاتيح القلوب فتحها بالحكمة والموعظة الحسنة

فتحها بفقهِ الداعي إلى الله سبحانه وتعالى

فمن هو مصعب بن عمير رضي الله عنه؟

وما هي قصة إسلامه؟

وكيف استطاع أن يفتح القلوب المغلقة إلى الدخول في الإسلام

وما هو جهاده وكيف كان استشهاده رضي الله عنه؟

أعيروني القلوب أيها الأحياء:

ترجمته رضي الله عنه:- هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد

الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، كنيته أبو عبد الله،

إسلامه رضي الله عنه-

أسلم ورسول الله - ﷺ - في دار الأرقم، وكنتم إسلامه، خوفاً من أمه، وكان يختلف إلى رسول الله - ﷺ - سرّاً، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري، فأعلم أهله، فأخذوه وحبسوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة، رجع مع من هاجر إلى مكة ثانية، والتقى رسول الله - ﷺ - .

قصته مع الإسلام ومع والدته:

صارت قصة مصعب في الإسلام درساً من دروس السماء الغالية لبني البشر، ليتعلموا حياة الرجال مع مبادئهم، واستعلائهم على الدنيا بما فيها من متاع مبهر أخاذ، بل والأكثر من هذا، أن يتقدم الولاء للعقائد قبل وفوق كل علائق وقرابات الدنيا!

كان مصعب بن عمير فتى مكة المدلل، وكانت أمه من أغنى أهل مكة، تكسوه أحسن الثياب، وأجمل اللباس، وكان أعطر أهل مكة، فلما أسلم انخلع من ذلك كله، وأصابه من التعذيب والبلاء ما غير لونه، وأنهك جسمه،

كانت أمه خناس بنت مالك تتمتع بقوة فذة في شخصيتها فخشيها مصعب، وقرر أن يكتنم إسلامه حتى يقضي الله أمراً، حتى علمت أمه وحبيسته وأرادت أن ترده عن دينه ولكنها واجهت إصرار أكبر على الإيمان من جانب الابن .

فقررت أن تخرجه من بيتها وتحرمه من الأموال . وقالت له وهي تخرجه من بيتها : "اذهب لشأنك، لم أعد لك أمّا".

قال "يا أمّاه أني لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدي بأنه لا اله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله"، فأجابته غاضبة مهتاجة "قسما بالثواقب، لا أدخل في دينك، فيزرى برأيي، ويضعف عقلي".

التغيير التام في حياة مصعب رضي الله عنه -

قد تغيرت حياة مصعب بن عمير - رضي الله عنه - وتبدلت أحواله في ملبسه ومأكله وشأنه كله ، فقد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إنا لجلوس مع رسول الله - ﷺ - في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير - رضي الله عنه - ، وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله - ﷺ - بكى للذي كان فيه من النعمة، والذي هو فيه اليوم، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة، ووضعت بين يديه صحيفة، ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؟» قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذ خير منا اليوم، نتفرغ للعبادة ونكفي المؤنة، فقال رسول الله - ﷺ - : «أنتم اليوم خير منكم يومئذ» (١).

قال رسول الله - ﷺ - : "ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أنعم نعمة، من مصعب بن عمير. (٢)"

١ - الترمذي: سنن الترمذي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ، كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب حديث علي في ذكر مصعب بن عمير ... ، ٤ / ٦٤٧ ، رقم ٢٤٧٦ .

٢ - الاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ١٤٧٣ - ١٤٧٥) .

" انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغدوان
بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون "

وقال سعد بن أبي وقاص: "كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة، وأجوده حلة
مع أبويه، ثمَّ لقد رأيته جهد في الإسلام جهداً شديداً، حتَّى لقد رأيت جلده
يسقط كما يسقط جلد الحية".^(١)

" انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغدوان
بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون "

وعن عروة بن الزبير عن أبيه - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ -
جالساً بقباء ومعه نفر، فقام مصعب بن عمير - رضي الله عنه - عليه بردة ما
تكاد تواريه، ونكس القوم، فجاء فسلم فردوا عليه، فقال فيه النبي - ﷺ - خيراً
وأثنى عليه، ثم قال: «لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه وينعمانه، وما فتى
من فتیان قريش مثله، ثم خرج من ذلك ابتغاء مرضات الله ونصرة رسوله، أما
أنه لا يأتي عليكم إلا كذا وكذا حتى يُفتح عليكم فارس والروم، فيغدوا أحدكم
في حلة ويروح في حلة، ويُغدى عليكم بقصعة ويُراح عليكم بقصعة». قالوا: يا
رسول الله، نحن اليوم خير أو ذلك اليوم، قال: «بل أنتم اليوم خير منكم ذلك
اليوم أما لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت أنفسكم منها»^(٢).

١-، الإصابة: ٣/ ٤٢١-٤٢٢

٢- مستدرک الحاكم: کتاب الإيمان، باب ذکر مصعب بن عمير العبدري - رضي الله عنه -، ٣/ ٧٢٨، رقم ٦٦٤٠.

هجرته للحبشة ، ثم للمدينة - رضي الله عنه - :

إخوة الإسلام لما اشتد الإيذاء عليهم أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة و كان مصعب رضي الله احد هؤلاء المهاجرين فعن ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنها ، قالت: لما اجتمعوا على الخروج جاءنا رسول الله ﷺ - فقال: إن مصعب بن عمير قد حبسته أمه ، وهو يريد الخروج الليلة فإذا رقدوا ، قال عامر بن ربيعة: فنحن ننتظره ولا نغلق بابا دونه فلما هدأت الرّجُلُ جاءنا مصعب بن عمير فبات عندنا وظل يومه حتى إذا كان الليل خرج متسللا ووعدناه فلحقه فيه وأدركناه فاصطحبناه قال: وهم يمشون على أقدامهم ، وأنا على بعير لنا وكان مصعب بن عمير رقيق البَشْرِ ليس بصاحب رِجْلِهِ ولقد رأيت رجليه يقطران دما من الرقة فرأيت عامرا خلع حذاءه فأعطاه حتى انتهينا إلى السفينة فنجد سفينة قد حملت ذُرَّةً وفرَّغت ما فيها جاءت من مَوْرٍ (١) فتكارينا (٢) إلى مَوْرٍ ، ثم تكارينا من مَوْرٍ إلى الحبشة ، ولقد كنت أرى عامر بن ربيعة يَرِقُّ على مصعب بن عمير رِقَّةً ما يَرُقُّها على ولده وما معه دينار ولا درهم وكان معنا خمسة عشر دينارا (٣).

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

١- مـور: قيل: هو اسم موضع، سمي به لِمَوْرِ الماء فيه: أي جريانه. الشيباني، مجد الدين: النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ، ٤ / ٣٧٢.

٢- تكارينا: أي استأجرنا. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ، ٣ / ١٩٢٧.

٣- الآحاد والمثاني، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ، باب ليلى بنت أبي حثمة، ٦ / ٢٣٧، رقم ٣٤٦٩.

أيها الأحاب الكرام: إن من أعظم القصص الدعوية التي ينبغي علينا أن نعيها و
أن نتعلم منها قصة مصعب رضي الله عنه عندما ذهب إلى المدينة معلما و
داعيا و قد جعل دستوره ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه مع النفر
الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى يُفَقِّهُ أَهْلَهَا وَيُقَرِّئَهُمُ الْقُرْآنَ، فكان
منزله على أسعد بن زرارة، وكان إنما يسمّى بالمدينة المقرئ، يُقال: إنه أوّل مَنْ
جمع الجمعة بالمدينة، وأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما
سيّدا قومهما، وكفى بذلك فخرا وأثرا في الإسلام اهـ.

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه، قال: أوّل مَنْ قدم
علينا مصعبُ بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يُقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد،
وعمارُ بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم
قدم النبي ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ،
حتى جعل الإمامُ يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت "سَبِّح اسْمَ
رَبِّكَ الْأَعْلَى" (الأعلى - ١).

اختاره الرسول أن يكون سفيره إلى المدينة، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا
الرسول عند العقبة، ويدخل غيرهم في دين الله، ويعدّ المدينة ليوم الهجرة
العظيم، وقد اختاره الرسول لرجاحة عقله وكريم خلقه وزهده وبها كان أول

سفير للإسلام ، وقد جاءها وليس فيها سوى اثني عشر مسلما ، وفي موسم الحج التالي لبيعة العقبة، كان مسلمو المدينة يرسلون إلى مكة للقاء الرسول وفدا يمثلهم وينوب عنهم ، وكان عدد أعضائه سبعين مؤمنا ومؤمنة، جاءوا تحت قيادة مصعب ابن عمير .

هيا لنرى الحكمة في أجمل صورها لنرى كيف فتح الله تعالى القلوب على يدي مصعب رضي الله عنه -

فاتح المدينة بالحكمة والموعظة الحسنة:

إخوة الإسلام وها هو أول سفير في الإسلام يرسله النبي الهمام ﷺ ليعلم و ينشر الإسلام بين أهله دستوره في ذلك قول ربنا بحانه و تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]

فقد روي أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ فَجَلَسَا فِيهِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رَجُلَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حَضِيرٍ: لَا أَبَا لَكَ انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارِنَا لِيَسْفَهَا ضَعْفَانَا فَأَزْجِرْهُمَا وَأَنْهَاهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارِنَا، فَإِنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا، فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ

جَاءَكَ فَاصْدُقِ اللَّهَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسُ هَذَا أَكَلَّمَهُ، قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مَتَشَمِتًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا، تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا، اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ!

فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ.

قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ:

فَقَالَا فِيمَا يُذَكِّرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ، كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ، قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطْهَرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي، فَقَامَ فَاعْتَزَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَارْكَعَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنْ وَرَائِي رَجُلَانِ إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَخْتَلَفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ وَسَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ فَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَقْبَلًا قَالَ: أَخْلِفْ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ،

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا فَقَالَا نَفْعُلْ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ لِيُخَفِّرُوكَ، فَقَامَ سَعْدٌ مُغَضَّبًا مُبَادِرًا تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ عَنَّا شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ أَنَّ أَسِيدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أَمَامَةَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ مِنِّي هَذَا، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ، وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيُّ مُضْعَبٍ: جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ مِنْ وَرَائِهِ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتْبَعَكَ لَا يَتَخَلَّفَ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُضْعَبٌ: أَوْ تَقْعَدُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتُ أَمْرًا قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ.

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتُ، ثُمَّ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطْهَرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاعْتَاسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ، فَلَمَّا رَأَى قَوْمَهُ مُقْبِلًا قَالُوا:

نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بَغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟

قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا وَأَيَّمُنَا نَقِيبَةً،

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةً إِلَّا مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً. (١)

ونجد مصعب بن عمير وهو مبعوثه صلى الله عليه وسلم للدعوة، يبدأ بتهيئة نفوس مدعويه للسمع، فحينما جاءه كل من زعيمى بني عبد الأشهل، أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما كان يبدؤهما بعرض السماع أولا فيقول: "أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكرهه"

وبهذه الملاطفة والعرض المنصف هيا نفسيهما للسمع، فلما سمعا أسلما، وأسلم أقوامهما

وهذا النص وحده يبين فقه مصعب ورفيقه بالدين وبالواقع، وبكيفية تنزيل الدين على الواقع، مما يضمن النجاح في الدعوة، كما يبين لنا صورا من آداب الحوار في الدعوة إلى الله تعالى، والنجاح الباهر الذي حققه مصعب في

١ - «عيون الأثر» (١ / ١٨٨) «سيرة ابن هشام - ت طه عبد الرؤوف سعد» (٢ / ٥٩)

المدينة، فهو نص حافل بالمعاني والدروس، غني بالفوائد التربوية،
والإرشادات الدعوية، من قبيل العمل الجماعي في مشاريع الخير والدعوة،
وتعدد الاختصاصات لتحقيق التكامل والتآزر، وغير ذلك مما يطول
استقصاؤه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم
وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.
أما بعد:

غزوة أحد واستشهاد مصعب رضي الله عنه :

أيها الآباء: لقد كان مصعب رضي الله عنه مصباحاً من مصابيح الهدى فتح
القلوب بكلام علام الغيوب وبمحبة النبي المحبوب ﷺ لم يكن مصعب رضي
الله عنه فارس الدعوة والكلمة فحسب بل كان فارس الميدان ليكون أهلاً
لحمل راية الإسلام في ميدان المعركة ليسطر أروع البطولات وأعظم
التضحيات

بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب طامحونا

شباب ذللوا سبل المعالي و ما عرفوا سوى الإسلام دينا

تعهدهم فأنبتهم نباتا كريماً طاب في الدنيا غصونا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماً يدكون المعازل والحصونا

شباب لم تحطمه الليالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا

وإن جنّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا

أيها الإخوة الأحباب وها هو الداعية والحكيم والفارس يترجل عن فرسه ليلقى ربه وهو يردد آيات القرآن الكريم

عن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحد فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}** (آل عمران: ١٤٤)، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}** ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فانفذه".^(١)

وقال المباركفوري: "وقاتل مصعب بن عمير بضراوة بالغة، يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم هجوم ابن قميئة وأصحابه، وكان اللواء بيده، فضربوه على يده اليمنى حتى قطعت، فأخذ اللواء بيده اليسرى، وصمد في وجوه الكفار

١ - «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» (١ / ٤٢٦)

حتى قطعت يده اليسرى، ثم برك عليه بصدّره وعنقه حتى قتل، وكان الذي قتله هو ابن قميّة، وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبهه به". (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له ثم قرأ هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا} (الأحزاب: ٢٣)، ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزروهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه). (٢).

فارق مصعب بن عمير رضي الله عنه الدنيا شهيداً، تاركاً المال والجاه والنعيم، وآثر الآخرة وما عند الله تعالى، فعن خباب رضي الله عنه قال: (هاجرنا مع النبي ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوجب أجراً على الله (ثبت أجراً الدنيوي والأخروي عنده سبحانه)، فمنا من مضى أو ذهب (مات) لم يأكل من أجره (الدنيوي) شيئاً كان منهم مصعب بن عمير، قُتِلَ (استشهد) يوم أُحُد فلم يترك إلا نمرة (كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود)، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت (ظهرت) رجلاه، وإذا غُطِّيَ بها رجلاه خرج رأسه، فقال النبي ﷺ: غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر (نبات معروف عندهم)) رواه مسلم. وعن

١ - «الرحيق المختوم مع زيادات» (ص ٢٠٩): «انظر ابن هشام ٢/ ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، وزاد المعاد ٢/ ٩٧.»

٢ - رواه الحاكم (٣ - ٢٢١)،

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتِيَ بطعام وكان صائماً فقال: (قُتِلَ مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّنَ في بردة إنْ غُطِّيَ رأسه بدتْ رجلاه، وإنْ غُطِّيَ رجلاه بدا رأسه. وأراه قال: وقُتِلَ حمزة وهو خير مني، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ - أو قال: أُعْطِينَا من الدنيا ما أُعْطِينَا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام). (١) رواه البخاري. وهذا من تواضع عبد الرحمن بن عوف

إن أعظم درس نتعلمه و نعلمه لأبناء الأمة من قصة مصعب رضي الله عنه أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى هي السبيل الأوحى لنشر دين الله و لرفع راية الإسلام فدين الإسلام ليس دين يحب الدماء بل هو دين يدعو اتباعه الى الرحمة و السماحة و الرفق بالآخرين و صدق الله إذ يقول ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعاء

١ - أخرجه: البخاري ٩٨ / ٢ (١٢٧٥).

هجرة المسلمين إلى المدينة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله إمام المجاهدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ناشري لواء
الدين، وعلى من تبعهم من سلف هذه الأمة وخلفها ممن جاهد وبذل ورافق وناصح في
كل وقت وحين.

معشر الإخوة والأخوات والبنين: حياكم الله وأحياكم، وأطال أعماركم، وأحسن
أعمالكم، وذخراً للأمة أعدكم، تُعلّون صروحها، وتضمّدون جروحها، وتداوون
قروحها، وللملّة تسمّون في سماها، وتحمون حماها، وترمون من رماها.
تحية أنفاس الرياض وشى بها

فجاءت كأن المسك خالط نفحها لها في أنوف الناشقين تَضَوُّعُ

قال الزهري: عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة -
للمسلمين: "قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين"، فهاجر من هاجر
قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض
الحبشة من المسلمين. رواه البخاري

وقال أبو موسى: عن النبي ﷺ: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب".

ورواه مسلم كلاهما: عن أبي كريب، زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبي أسامة، عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، عن النبي ﷺ الحديث بطوله.

أول من هاجر إلى المدينة

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَّلَ لِي بَعِيرُهُ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مَعِيَ ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَنَا هَذِهِ عَلَامَ نَتْرُكَكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَتَزَعُّوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا، قَالَتْ: فَتَجَادَبُوا ابْنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَأَنْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ فِي الْأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي حَتَّى أُمْسِيَ - سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا - حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحَمَنِي، فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ؟ فَفَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا؟ قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ. قَالَتْ: فَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي، قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ، قَالَتْ: وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي

طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ يَا ابْنَةَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قُلْتُ: مَا مَعِيَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَابْنِي هَذَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ. فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي، فَوَاللَّهِ مَا صَحَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ؛ كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرِ، ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى شَجَرَةٍ فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَّاحُ قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَّلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكَبْتُ فَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي، أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَنِي حَتَّى يَنْزِلَ بِي، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُكِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ فَكَانَتْ تَقُولُ: مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ.

أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ هَذَا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَهَاجَرَ هُوَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعًا، وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ أَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ؛ الْحَارِثُ، وَكِلاَبٌ،^(١)

وإن لنا هنا لوقفه عند قصة عثمان هذا، فقد كان يومئذ كافرا، لأنه لم يسلم إلا أوائل عام الفتح، وهي تشهد لما ذكرته من نفاسة معدن العرب، وفضائلهم في الجاهلية، ولا سيما خلق المروءة والنجدة، وحماية الضعيف، فقد أبت عليه مروءته وخلقه العربي الأصيل أن يدع امرأة شريفة تسير واحدها في هذه الصحراء الموحشة، وإن كانت على غير دينه، وهو يعلم أنها بهجرتها تراغمه وأمثاله من كفار قريش!!

(١) - البداية والنهاية ط هجر (٤/ ٤٢٣)

فأين من هذه الأخلاق-يا قومي المسلمين والعرب-أخلاق الحضارة في القرن العشرين، من سطو على الحريات، واغتصاب للأعراض، بل وعلى قارعة الطريق، وما تطالعنا به الصحافة كل يوم من أحداث يندى لها جبين الإنسانية، ومن تفنن في وسائل الاغتصاب، وانتهاك الأعراض، والسطو على الأموال.

إن هذه القصة-ولها مثل ونظائر-لتشهد لما قلته حينما تحدثت عن العرب من أن رصيدهم في الفضائل كان أكثر من مثالبهم ورذائلهم، فمن ثم اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسله، وكانوا أهلاً لحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة.

مواكب المهاجرين

هجرة عامر بن ربيعة وزوجه:

ثم قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، ومعه زوجه السيدة ليلى بنت أبي حثمة، قال الإمام ابن عبد البر: إنها أول طعينة قدمت المدينة، وقال موسى بن عقبة: أول طعينة السيدة أم سلمة، ولكل وجهة، فالسيدة أم سلمة أول من خرجت مهاجرة من النساء، ولولا منع أهلها لها لكانت أول من وصلت المدينة، والسيدة ليلى أول من وصلت إليها من النساء.

هجرة مصعب، وابن أم مكتوم، وبلال، وسعد، وعمار:

ثم تتابع المسلمون سراعاً إلى الهجرة، فهاجر مصعب بن عمير، وعبد الله ابن أم مكتوم، وكانا يقرئان القرآن للأَنْصار، وبلال بن رباح، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم -. روى البخاري في صحيحه بسنده عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا - زاد في رواية الحاكم في الإكليل:

من المهاجرين-مصعب بن عمير وابن أم مكتوم» .

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : ومن مواكب المهاجرين الذين تركوا ديارهم وهاجروا الى الله ورسوله ﷺ :

بنو جحش: ثم هاجر بنو جحش: عبد الله بن جحش بن رياح الأسدي، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمه حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله، ومعه أخوه أبو أحمد عبد بن جحش، وكان أبو أحمد رجلا ضريير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بلا قائد، وكان شاعرا، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكان معهما محمد بن عبد الله بن جحش، وكان منزلهما ومنزل أبي سلمة بن عبد الأسد على مبشر بن عبد المنذر بقباء في بني عمرو بن عوف.

وكذلك هاجر نساؤهم: زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش - زوج مصعب بن عمير - وأم حبيب بنت جحش - زوجة عبد الرحمن بن عوف، فغلقت دار بني جحش بسبب الهجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام، وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يابا(١) ليس بها ساكن، فلما راها كذلك تنفس الصعداء ثم قال:

(١) - قفرا.

كل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحووب (١)

ثم قال عتبة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها، فقال أبو جهل:

وما تبكي من فل ابن فل (٢) ، ثم قال للعباس: هذا من عمل ابن أخيك هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.

وقد عدا أبو سفيان بن حرب على دار بني جحش فتملكها، وقيل: باعها من عمرو بن علقمة العامري، فذكر ذلك عبد الله بن جحش - لما بلغه - لرسول الله ﷺ فقال له: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها» ؟

قال: بلى، قال: «فذلك لك» .

فلما فتحت مكة كلم أبو أحمد عبد بن جحش رسول الله ﷺ في دارهم، فأبطأ عليه الرسول، فقال الناس: يا أبا أحمد إنه - ﷺ - يكره أن ترجعوا في شيء أصيب منكم في الله، فأمسك أبو أحمد عن الكلام في ذلك، وقد سجل أبو أحمد هجرة بني جحش في قصيدة له (٣) .

بنو غنم بن دودان: ثم قدم المسلمون أرسالا، وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة: رجالهم ونسائهم، منهم - غير بني جحش ونسائهم -:

(١) - الحوب: التوجع. وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصيدة له.

(٢) - هكذا في السيرة لابن إسحاق، وفل: فلان، وفي السيرة لابن هشام «من قل» بالقاف، قال ابن هشام: القل: الواحد، واستشهد بيت لبدي بن ربيعة.

(٣) - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٢، ٤٧٣.

عكاشة بن محصن، وشجاع وعقبة ابنا وهب، وأربد بن حميرة (١) ، ومنقذ بن نباتة،
وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش وغيرهم.
ومن نسائهم: جذامة بنت جندل، وأم قيس بنت حصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وامنة بنت
رقيش، وسخبرة بنت تميم (٢)

هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه -

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام،
الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام، القدوس الذي تنزه عن
أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام الغني عن جميع المخلوقات فالكل
مفتقر إليه وهو الغني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال
أين كان فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.
وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء
قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

صلوا على خير الأنام محمد إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى عليه قاعد يغفر له قبل القيام وللمتاب يجدد

(١) - بضم الحاء، وفتح الميم، وتشديد الياء المكسورة، وقال ابن هشام: ويقال: ابن حميرة بإسكان الياء.

(٢) - السيرة ج ١ ص ٤٧٠ - ٤٧٢؛ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٧٠، ١٧١.

وكذلك إن صلى عليه وهو قائما يغفر له قبل القعود ويرشد

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان
إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

إخوة الإسلام : راينا في الدرس الماضي بدء الهجرة إلى المدينة وكيف أن المسلمون
خرجوا إليها سرا تحت جناح الظلام مخافة المشركين الذين يتربصون بهم الدوائر فقد
ترك هؤلاء أموالهم وديارهم فرارا بدينهم و اليوم نقف مع هجرة الفاروق رضي الله عنه
لتتعرف على حقيقة هجرته فقد تعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إسلامه
للإيذاء من قبل مشركي قريش، ولم يكف عنه المشركون حتى أجاره العاص بن وائل
السهمي، فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة كان
رضي الله عنه من المهاجرين الأولين على الرغم من منزلته ومكانته بمكة التي تنكر لها
القرشيون بعد إسلامه.

هجرة عمر بن الخطاب سرًا : قال ابن عمر رضي الله عنهما: لما قدم المهاجرون الأولون
من مكة إلى المدينة نزلوا بالعصبة (من جهات قباء) إلى جنب قباء، فأمرهم سالم مولى أبي
حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنًا، فيهم عمر بن الخطاب، وأبو سلمة بن عبد الأسد^(١).

وهاجر رضي الله عنه مستخفياً (سرًا) كالمهاجرين قبله والمهاجرين بعده ومنهم رسول
الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه وهو يحكي قصة هجرته: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا
وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار

(١) - رواه ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٥٢، ٣/ ٨٧، ٨٨، ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٣٠٢، ٣٠٣، ابن شيه: تاريخ المدينة ١/ ٤٨

(حي على بعد ١٣ كيلو من مكة)، فوق سرف، وقلنا: أينما لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، ففتن فافتن^(١).

ولحق بعمر رضي الله عنه عدد من قرابته وحلفائهم وعددهم عشرون. قال البراء بن عازب رضي الله عنه: أول من قدم علينا -يعني المدينة- مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ.

وممن هاجر مع عمر رضي الله عنه ابنه عبد الله، فلما فرض عمر رضي الله عنه العطاء فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته من أربعة آلاف؟ فقال: إنما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه.

ولما وصل عمر رضي الله عنه المدينة نزل ومن معه العُصبة، وهي من منازل الأوس، وجاء في رواية أنه نزل على رفاعه بن عبد المنذر. ولا تعارض في ذلك فرفاعة من الأوس سكان العُصبة^(٢).

هل هاجر عمر بن الخطاب جهرا وعلانية؟

انتشرت رواية تنص على أن عمر رضي الله عنها لما أراد أن يهاجر أعلنها على الملا ولم يبال وهذا الرواية لم تأت من طرق ثابتة، وفيها أن عمر رضي الله عنه لما همَّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى (استخرج من كنانته) في يده أسهماً، واختصر عنزته

(١) - السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٢٩، ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) - البخاري: الصحيح ٢: ٣٣٥، ٣٣٧، ٣/ ٢١٤ وغيره.

(وهي شبه العكازة) ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المقام فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شأته الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس (الأنوف)، من أراد أن تشكله أمه ويؤتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه^(١).

ومن هنا نعلم ضعف هذه الرواية وعدم ثبوتها كما بينت في الهامش ونجد بعض الذين يتكلمون عن هذه القصة يضعون لها المبررات إذ كيف يهاجر عمر جهراً ويهاجر النبي ﷺ سراً ولو وقفوا على أصل القصة لاستراحوا من تعليقات واجتهادات لا محل لها

وصول عمر بن الخطاب المدينة

وكان وصول عمر رضي الله عنه المدينة قبل وصوله ﷺ، كما في حديث البراء بن عازب المتقدم الذكر حيث ذكر وصوله ﷺ بعد قدوم عمر، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال وهو يصف حال المسلمين بالمدينة قبل مقدم النبي ﷺ إليهم: كنا قد استبطأنا رسول الله ﷺ في القدوم علينا، وكانت الأنصار يغدون إلى ظهر الحرة، فيجلسون حتى يرتفع النهار، فإذا ارتفع النهار وحميت الشمس رجعت إلى منازلها، قال عمر: وكنا ننتظر رسول الله ﷺ إذا رجل من اليهود قد أوماً على أطم من آطامهم، فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا صاحبكم الذي تنتظرون، قال عمر: وسمعت الوجبة في بني عمرو بن عوف

(١) - رواه ابن عساکر: تاريخ دمشق ص ٤٥، ابن الأثير: أسد الغابة ٤ / ٥٨، وفي إسناده عندهما الزبير بن محمد بن خالد العثماني وعبد الله بن القاسم الأيلي وأبيه القاسم لم أجد لهم تراجم وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهؤلاء الثلاثة في عداد المجهولين فإن أحداً من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقاً، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٤٣، ٤٢. وأشار الدكتور أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة إلى ضعف هذه القصة ١ / ٢٠٦. وهذه القصة لم يذكرها ابن إسحاق وابن هشام وابن كثير في السيرة والذهبي في السيرة وابن حجر في الإصابة في ذكرهم لهجرة عمر رضي الله عنه.

فأخرج من الباب، وإذا المسلمون قد لبسوا السلاح، فانطلقت مع القوم عند الظهر، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، حتى نزل في بني عمرو بن عوف^(١).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد عباد الله:

من أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر بن الخطاب؟

وبعد وصول النبي ﷺ المدينة شرع الله له المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في السنة الأولى من الهجرة، وذلك بسبب ما لقيه المهاجرون من فقد أموالهم، وهجرهم لأوطانهم وأهلهم وإصابتهم بالحمى. فأصبح لكل مهاجري أخاً من الأنصار. وترتب على المؤاخاة حقوق خاصة كالمواساة والتعاون على أعباء الحياة بين الاثنين وكذلك توارثهما دون ذوي الرحم. فلما ألف المهاجرون الحياة في المدينة، وعوضهم عن بعض ما فقدوه من أموالهم بعد موقعة بدر ألغى الله تعالى التوارث بنزول قوله تعالى: **{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ**

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأحزاب: ٦].

وقد جاءت روايات متعددة في ذكر من أخى النبي ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فروي أن النبي ﷺ أخى بين عمر رضي الله عنه وبين بعض الصحابة، فروي أنه صلى الله عليه وسلم أخى بين عمر وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وروي أنه أخى بينه وبين عتب بن مالك وقيل بينه وبين عويم بن ساعدة رضي الله عنهما. وقيل

(١) - رواه البزار: المسند ٤٠٦/١.

آخى بينه وبين معاذ بن عفراء رضي الله عنه فالله أعلم^(١) .

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أنه كانت هناك مؤاخاة أولى بين المهاجرين بعضهم بعضاً، لأن بعضهم كان أقوى بالمال والعشيرة، فعلى هذا يحمل ما ورد من مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب مع أبي بكر، وهي مؤاخاة أولى^(٢) .

وأما أخو عمر رضي الله عنه من الأنصار فلم يرد في تحديده نص ثابت. ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين أحد الأنصار، والذي أرجحه -والله أعلم- أنه عتبان بن مالك، لأنه ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه كان له جار من الأنصار يتناوب معه النزول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ووضح العلماء أن هذا الجار هو عتبان بن مالك، وذكر ابن حجر أنه ورد في كتاب الصلاة من صحيح البخاري أن عمر قال: كان لي أخ من الأنصار. وهذا هو الذي رجّحه ابن كثير وتابعه ابن إسحاق فيه^(٣) .

(١) - انظر هذه الروايات في: ابن إسحاق: السيرة النبوية لابن هشام ١٧٣/٢، ٢٧٤/٤، البلاذري: أنساب الأشراف ص: ١٥٧،

ابن سعد: الطبقات ٢٧٢/٣. البخاري: التاريخ الصغير ٦٩/١، ابن شبه: تاريخ المدينة ٢٢٩/٢.

(٢) - ابن حجر: فتح الباري ٢٧١/٧.

(٣) - البخاري في الصحيح ٢٨/١، ٢٥٨/٣. ابن كثير: السيرة النبوية ٣٢٥/٢.

عمل النبي بتجارة أيام المواسم قبل الهجرة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدو سعيهم مشكورا، وحقق آمال الآملين برحمة
فمنحهم عطاء موفورا، وبسط بساط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم مغفورا، وأسبل من
نعمه على الطالبين وابلا غزيرا، سبحانه فتح الباب للطلبين، وأظهر غناه للراغبين، وأطلق
للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين ((ادعوني أستجب لكم إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء
قدير

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيب الذي
سبح نفسه بما أولاه من وده، فقال جل وعلى ((سبحان الذي أسرى بعبده))
يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا فصلوا عليه بكرة وأصيلا

ملئت بنبوته الوجود فأظهرها بحسامه الدين الصحيح فأسفرا

ومن لم يصلي عليه كان بخيلا فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان
إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عن سويد بن قيس، قال: جلبت أنا ومخرقة العبدى بزا من هجر فأتينا به مكة فجاءنا
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يمشي، فساومنا بسرًاويل: فبعناه، وثم
رجل يزن بالأجر، فقال له رسول الله ﷺ: (زن وأرجح).^(١)

عن سويد بن قيس قال: جلبت أنا ومخرقة العبدى بزا من هجر، فأتانا رسول الله ﷺ
ونحن بمني، ووزان يزن بالأجر، فاشترى منا سرًاويل، فقال للوزان: (زن وأرجح).^(٢)
عن سماك بن حرب. قال: سمعت مالكا، أبا صفوان بن عميرة، قال: بعث من رسول الله
ﷺ رجل سرًاويل قبل الهجرة. فوزن لي، فأرجح لي.^(٣)

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وزنتم فأرجحوا).

عن أبي صفوان بن عميرة، قال: أتيت رسول الله ﷺ، بمكة قبل أن يهاجر - بهذا
الحديث - ولم يذكر يزن بأجر.^(٤)

دروس وعبر

أولا: سُمعةٌ تجاريةٌ طيبةٌ:

فالأمانة سبيل نجاح التاجر وأهم رأس مال يستثمره في التجارة، فإذا اجتمع مع الأمانة
الصُّدُقُ، توافرت الأرضية التجارية السليمة، وهو ما اجتمع للرسول صلى الله عليه

(١) - صحيح ابن ماجه ٢٢٢٠.

(٢) - صحيح ابن ماجه ٢٢٢٠.

(٣) - صحيح أحاديث البيوع.

(٤) - صحيح ابن ماجه ٢٢٢١.

وسلم، فقد عُرِف صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة بالصادق الأمين، فسُمِعَتْهُ التجارية الطيبة وَلَقِبَهُ الأَمنِين جَعَلَا السيدة خديجة -رضي الله عنها- تختاره ليتولى القيام بتجارتهما أولاً، ثم تتزوجه صلى الله عليه وسلم .

للسمعة التجارية الطيبة أثر واضح على المجتمع التجاري، وضح ذلك في ضوء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكاء ومهارة في التجارة:

كان ﷺ ذا ذكاء شديد ومهارة في التجارة، وليس أدل على ذلك مما عمله ﷺ في مال خديجة، فروي أنه (لما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً) (١).

أي إنه ﷺ عاد من رحلته في تجارة خديجة بربح مُضَاعَف، ولا شك أن الأسواق التي كان يغشاها رسول الله ﷺ - مثل سوق عكاظ - كانت تمتلئ بالتجار ذوي التجارب ممن يكبرونه سنّاً وخبرة.

إضافة إلى ذلك فقد كان النبي ﷺ يتمتع بالفطنة في المعاملات التجارية وفهم التجار. وقصته صلى الله عليه وسلم مع التاجر الذي يُغَشُّ مشهورة، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- ، أن رسول الله ﷺ «مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ (أي: كومة) طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا»، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!»، قَالَ: «أَصَابَهُ الْمَطَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (٢).

١ - «سيرة ابن هشام - ت السقا ورفاقه» (١ / ١٨٨)

٢ - «صحيح مسلم (١ / ٩٩ رقم ١٠٢)».

فمن النظرة الأولى للطعام بدا فائق الجودة والنضارة، لكن بعد الفحص الدقيق فطن النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما كان خافياً، فقد أدخل النبي صلى الله عليه وسلم يده الشريفة إلى تلك الكومة فإذا بها مبتلة على نحوٍ يوحى بقرب فسادها، فلم يكتفِ بالنظر لظاهر السلعة المعروضة، بل قام بالفحص والتدقيق للتأكد من جودتها ظاهراً وباطناً.

- في العصر الحديث أسلم الملايين في العالم وخاصة في شرق آسيا بسبب امتثال بعض التجار المسلمين لأمر وهدى رسول الله ﷺ، وضح ذلك، واذكر أمثلة من بعض الدول.

- كان رسول الله ﷺ تاجراً وهو مرسل من عند الله، فهل هو في حاجة للتجارة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وما دلالة ذلك؟

سماحته ﷺ في البيع والشراء:

كان من أخلاق النبي ﷺ السماحة في البيع والشراء، يروي لنا عن ذلك ابن عمر -رضي الله عنهما- فيقول: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى نَاقَةٍ صَغِيرَةٍ كَثِيرَةُ النَّفُورِ لِعُمَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «بِعْنِيهِ» قَالَ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بِعْنِيهِ» فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ!» (١).

فأخذها من الأب وأهداها الابن ليفعل بها ما يشاء؛ سماحة منه ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى». (٢).

حثَّ رسول الله ﷺ على السماحة في البيع والشراء، فما آثار تطبيق ذلك اجتماعياً؟

١ - «صحيح: رواه البخاري في البيوع (٢١١٥)،»

٢ - «البخاري ٢١٠/٥ و ٢١١ في البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، والترمذي رقم (١٣٢٠)»

و ذات يوم «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ)». (١)

أقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد عباد الله :.....

وصيته ﷺ بالبرِّ والصدق والصدقة:

أوصى النبي ﷺ التجار في بيعهم بالبر والصدق والصدقة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». (متفق عليه). (٢)

كيف تقتدي به صلى الله عليه وسلم؟

١. كُنْ تاجرًا أمينًا وصادقًا في بَيْعِكَ وشرائك كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

٢. كُنْ سَمَحًا في بَيْعِكَ وشرائك مقتديًا في ذلك بالنبي ﷺ.

٣. لا تغش ولا تخادع مهما كان ذلك جالبًا للمكسب والربح فيما يبدو.

٤. إِيَّاكَ والحلفَ الكاذبَ في بَيْعِكَ؛ فإنه يُدْهَبُ ببركة بَيْعِكَ.

١ - «الترمذي ٣/ ٥١٥ (١٢١٠) وقال: حسن صحيح. ومن طريق ابن خثيم أخرجه ابن ماجه ٢/ ٧٢٦ (٢١٤٦) وصححه الحاكم

والذهبي ٢/ ٦، وابن حبان ١١/ ٢٧٦ (٤٩١٠) وينظر تعليق المحقق. وضعفه الألباني.

٢ - «متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٤/ ٣٠٩، كتاب البيوع (٣٤)، باب إذا بَيْنَ البيعان ولم يكتما ونصحا (١٩)،

الحديث (٢٠٧٩)، ومسلم في الصحيح ٣/ ١١٦٤، كتاب البيوع (٢١)، باب الصدق في البيع والبيان (١١)، الحديث (٤٧)/

١٥٣٢».

٥. إِيَّاكَ واحتكَارَ السِّلْعِ ورفعَ ثمنها مُسْتَغِلًّا حاجاتِ الناس؛ بل ارفق بهم وتجاوز عنهم.

٦. أَكْثَرَ من الصدقة وساعدِ الفقراءَ والمحتاجين فهذا ينمي مالك ويبارك لك فيه.

٧. كن مثلاً للتاجر المسلم الأمين الصادق السمح الرفيق المنفق، تكن تجارتك دعوة

لله، وتكن ممن اقتدى بخير البشر ﷺ.

الدعاء

المؤمرة الكبرى في دار الندوة

الخطبة الأولى

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ بعثه بالهدى ودين الحق، صبر وصابر، وجاهد وهاجر حتى ارتفعت أعلام الدين، وحق القول على الكافرين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

المؤامرة تاريخ من الإجرام والطغيان

اعلم علمني الله وإياك : أن فكر المؤامرة قديم منذ أن خلق الله ادم عليه السلام - فهو صراع بين الهدى والضلال ،بين الحق وحملته والباطل ودعائه ٠٠٠٠ فها هم قوم نح عليه السلام يتآمرون على قتله أو إخراجه من بلده { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَانْفُخْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ { [الشعراء: ١٠٥ -

[١٢٢]

يقول الطنطاوي رحمه الله-: في تفسيره (أي: إذا لم تكف يا نوح عن مجادلتك لنا ، ومن دعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا ، لنكونن من المرجومين منا بالحجارة حتى تموت . وهكذا الطغاة يلجأون إلى القوة والتهديد والوعيد ، عندما يجدون أنفسهم وقد حاصروهم أصحاب الحق من كل جوانبهم ، بالحجة الواضحة ، وبالرأي السديد .

ويؤس نوح - عليه السلام - من إيمان قومه ، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وبعد أن سمع منهم ما يدل على رسوخهم في الكفر والضلال ، تضرع إلى ربه { قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ } واستمروا على ها التكذيب تلك القرون المتطاولة { فافتح بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أي فاحكم بقدرتك العادلة بيني وبينهم حكما من عندك ، تنجى به أهل الحق ، وتمحق به أهل الباطل وسمى الحكم فتحا ، لما فيه من إزالة الإشكال في الأمر ، كما أن فتح الشيء المغلق يؤدي إلى إزالة هذا الإغلاق . ولذا قيل للحاكم فاتح لفتحه أغلاق الحق.

وهاهم قوم صالح - عليه السلام - يتآمرون على قتله يقول سبحانه وتعالى - { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٥٠) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَبَلَكَ بُيُوتَهُمْ
خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
(٥٣){ (سورة النمل: ٤٥-٥٣) }

وقد تعاهد هؤلاء التسعة، وأكدوا ما تعاهدوا عليه بالآيمان المغلظة، على أن يباغتوا نبيهم وأهله ليلا، فيقتلوه جميعا، ثم ليقولن بعد جريمتهم الشنعاء لأقارب صالح - عليه السلام - : ما حضرنا هلاك أهله وهلاك صالح معهم، ولا علم عندنا بما حل بهم وبه من قتل، وإنا لصادقون في كل ما قلناه .

وهكذا المفسدون في الأرض، يرتكبون أبشع الجرائم وأشنعها، ثم يبررونها بالحيل الساذجة الذميمة ثم بعد ذلك يحلفون بأغلظ الأيمان أنهم بريئون من تلك الجرائم. ومن العجيب أن هؤلاء المجرمين الغادرين يقولون فيما بينهم : { تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ } أي : احلفوا بالله ، على أن تنفذوا ما اتفقنا عليه من قتل صالح وأهله ليلا غيلة وغدرا، فهم يؤكدون إصرارهم على الإجرام بالحلف بالله ، مع أن الله - تعالى - برئى منهم ومن غدرهم . وقولهم : { مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ } نفى منهم لحضور قتلهم ، فضلا عن مباشرة قتلهم ، كأنهم أرادوا بهذه الجملة الإتيان بحيلة يبررون بها كذبهم ، أي : أننا قتلناهم في الظلام ، فلم نشاهد أشخاصهم ، وإنا لصادقون في ذلك . ولكن هذا المكر السيء ، والتحايل القبيح قد أبطله الله - تعالى - وجعله يحق بهم وبأشياعهم ، فقد قال - تعالى - { كَرُّوا مَكْرًا } أي : ودبرنا لصالح - عليه السلام - ولمن آمن به ، تدبيرا محمودا محكما { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } أي : وهم لا يشعرون بتدبيرنا الحكيم ، حيث أنجينا صالحا ومن معه من المؤمنين ، وأهلكنا أعداءه أجمعين^(١)

(١) - الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٣٢٢٣)

المؤامرة ضد موسى كليم الرحمن - عليه السلام -

وها هو فرعون وجنده يتآمرون على موسى عليه السلام لقد عانى موسى عليه السلام من أهل مصر ومن قومه عناء شديدا ولقد تأمر به فرعون وقومه لقتله ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

فلما قتل موسى عليه السلام القبطي خطأ شاع الخبر في أرجاء المدينة ووصل الخبر إلى الطاغية وأعوانه فقرروا دون نظر لملبسات القضية قتل موسى عليه السلام يقول الله { وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٢٠، ٢١]

أهل مكة والمؤامرة على اغتيال النبي ﷺ :

أيها الإخوة الأكارم : لقد تحولت قريش في اجتماعاتها الحاسمة إلى حمم من الغضب .. دار الندوة تحولت إلى بركان ثائر يريد رأس رسول الله - ﷺ - بأي ثمن .. فقد أيقنت قريش بأنه لا محالة خارج إلى مدينة الإسلام الجديدة متلحقاً بأصحابه .. الوضع مخيف جداً .. قريش يخيفها مستقبلها المجهول إن انتصر عدوها محمد - ﷺ - .. لذلك اجتمعت في يوم أسمته (يوم الزحمة)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ أَشْرَافِ كُلِّ قَبِيلَةٍ اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَةِ، وَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، سَمِعْتُ بِمَا اجْتَمَعْتُمْ لَهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضَرَكُمْ، وَلَنْ يَعْدِمَكُمْ مِنِّي رَأْيٍ وَنُصْحٌ، قَالُوا: أَجَلْ، فَادْخُلْ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ، قَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُوَاثِبَكُمْ فِي أَمْرِكُمْ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: احْبِسُوهُ فِي وَثَاقٍ ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ الْمُنُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ

مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ؛ زُهَيْرٌ وَنَابِغَةُ فَإِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ، فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ:
 لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللَّهُ لِيُخْرِجَنَّ رَأْيَهُ مِنْ مَحْبَسِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ فليُوشِكَنَّ أَنْ يَشُبُّوا
 عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ فَمَا آمَنَ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ،
 فَانْظُرُوا فِي غَيْرِ هَذَا الرَّأْيِ، فَقَالَ قَائِلٌ: فَأَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَاسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا
 خَرَجَ لَمْ يَضُرْكُم مَّا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ، وَإِذَا غَابَ عَنْكُمْ أَذَاهُ اسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فِي
 غَيْرِكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَلَاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلَاقَةَ لِسَانِهِ
 وَأَخَذَهُ لِلْقُلُوبِ بِمَا يَسْتَمِعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ ثُمَّ اسْتَعَرَضَ الْعَرَبَ لِيَجْتَمِعَنَّ عَلَيْهِ
 ثُمَّ لَيْسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ، قَالُوا: صَدَقَ وَاللَّهِ، فَانْظُرُوا
 رَأْيًا غَيْرَ هَذَا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا شِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مَا أَرَى أَبْصَرْتُمُوهُ بَعْدُ، مَا أَرَى
 غَيْرَهُ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلَامًا سَبَطًا شَابًّا نَهْدًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ غُلَامٍ
 مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ يَعْغِي: ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ
 كُلِّهَا، فَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقُودُونَ عَلَى حَرْبٍ قُرَيْشٍ كُلَّهُمْ، وَأَنْتُمْ إِذَا رَأَوْا
 ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ وَاسْتَرَحْنَا وَقَطَعْنَا عَنَّا أَذَاهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الرَّأْيِ،
 الْقَوْلُ مَا قَالَ الْفَتَى لَا أَرَى غَيْرَهُ، فَتَفَرَّعُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ، قَالَ: فَآتَى جَبْرِيلُ
 رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ، وَأَخْبَرَهُ بِمَكْرِ الْقَوْمِ،
 فَلَمْ يَبِيتْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ
 عَلَيْهِ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ فِي الْأَنْفَالِ، يَذْكُرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَبَلَاءَهُ عِنْدَهُ: **{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ**
كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١) ..

(١) - الدر المشور: ٤ / ٥١، بسند رجاله ثقات، والطبري: ٦ / ٢٢٥. سيرة ابن هشام (٢ / ٩٤) - البداية والنهاية (٣ / ١٨٩) -

الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ١٠٩) - دلائل النبوة لأبي نعيم (١ / ٢٠٢) - دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٤٦٧) - الروض الأنف

(٢ / ٣٠٦) - شرح المواهب (٢ / ٩٤).

إخبار الله تعالى رسوله - ﷺ - بمكر المشركين له:

وقد أخبر الله تعالى نبيه - ﷺ - بهذه المؤامرة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال في قوله تعالى: **{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** [الأنفال: ٣٠].

قال - رضي الله عنه -: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح، فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي - ﷺ -، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه - ﷺ - على ذلك، فبات علي - رضي الله عنه - على فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة^(١).

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى: اتفق زعماء قريش على ارتكاب أكبر جريمة في تاريخ الجنس البشري، وهي قتل الرسول - ﷺ -.

جريمة لو تمت، لما كانت في التاريخ دمشق، ولا بغداد، ولا القاهرة، ولا قرطبة، ولا كانت للراشدين دولة، ولا للأمويين، ولا للعباسيين، ولا فتح بنو عثمان القسطنطينية، ولا بني الأموي، ولا النظامية ولا الحمراء، ولما قامت الحضارة التي قبست منها أوروبا حضارتها من الشام في الحروب الصليبية، ومن الأندلس بعد ذلك، ولبدل التاريخ طريقه، ولكننا اليوم على حال لا يعلمها إلا الله^(٢).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

(١) - انظر كتاب رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى ص ١٥.

(٢) - كتاب رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى ص ١٥.

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

أما بعد أيها المؤمنون عباد الله :.....

الترتيب النبوي للهجرة:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، إِمَّا بُكْرَةً وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْهَجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِي قَوْمِهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْهَاجِرَةِ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا: قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ، تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، وَمَا ذَاكَ؟ فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي! فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ. قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الصُّحْبَةَ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَيْنِ قَدْ كُنْتُ أَعَدَدْتُهُمَا لِهَذَا. فَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْقَطٍ -رَجُلًا مِنْ بَنِي الدُّثَلِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمِ بْنِ عَمْرِو، وَكَانَ مُشْرِكًا- يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرعاهما لميعادهما.

١- اختيار الصاحب المناسب وهو أبو بكر الصديق اختاره من بين جميع الصحابة كما في

البخاري.

- ٢- التعريض له بالخبر، فلم يقطع له النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمر الصحبة في الهجرة وإنما قال: ((لعل الله يجعل لك صاحباً)) كما في البخاري.
- ٣- إعداد راحلتين قبل مدة طويلة من الهجرة، إذ لو اشترى الراحلتين قبيل الهجرة فربما لفت أنظار قريش إلى ذلك، وماذا يريد أبو بكر بهاتين الراحلتين إلا لأمر بيته مع محمد؟ وبخاصة بعد تفاقم الأزمة واشتداد الوحشة بعد بيعة العقبة الثانية، وهذه رواية البخاري.
- ٤- دفع الراحلتين إلى الدليل قبل الهجرة، كما في البخاري.
- ٥- زيارة أبي بكر كل يوم، فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يخطئه يوم أن يأتي أبا بكر غدوة وعشية، وعلى هذا لم يكن الأمر غريباً على قريش في مجيئه إليه وقت التخطيط للهجرة، كما في البخاري.
- ٦- تغيير الوقت المعتاد للزيارة، ولعل ذلك بسبب الرصد من قبل قريش لزياراته في الوقت المعتاد، كما في البخاري.
- ٧- اختيار الوقت المناسب للزيارة وهو وقت الظهيرة حيث يستظل الناس ويكونون في بيوتهم، كما في البخاري.
- ٨- الخروج إلى أبي بكر متنكراً بالقناع حتى لا يعرف، كما في البخاري.
- ٩- الإسراع لأبي بكر بخبر الهجرة، وكتمان ذلك عن أهل بيته في بداية الأمر حيث قال له: أخرج من عندك، كما في البخاري.
- ١٠- الإسراع في إعداد الزاد وتجهيزه، كما في البخاري.

الدعاء.....

ليلة الهجرة والعناية الربانية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إله عزَّ من اعتز به فلا يضام، وذَلَّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفیائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

آيَاتُ أَحْمَدَ لَا تَحْدُ لَوَاصِفٌ وَلَوْ أَنَّهُ أُمْلِي وَعَاشِ دَهَوْرًا

بشراكم يا أمة المختار في يوم القيامة جنة وحريرا

فُضِّلْتُمْ حَقًّا بِأَشْرَفِ مَرَسَلٍ خَيْرِ البرية بادياً وحضوراً

صلى عليه الله ربي دائماً ما دامت الدنيا وزاد كثيراً

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسك بستته، واقتدى بهديه، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

ثم أما بعد: عاد رسول الله - ﷺ - بعدما أخبر أبا بكر بالإذن له في الهجرة ، وبعد أن أعد العدة للهجرة إلى بيته، وكان جبريل - عليه السلام - أمر النبي - ﷺ - أن لا يبيت على فراشه ، فلما كانت عتمة الليل اجتمع فتیان من قريش على بابه ، ويدهم السيوف المرفهة ، ويتطايروا من عيونهم شر الغدر والمكيدة، فلما رأى رسول الله - ﷺ - مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نوم علي في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "شرى علي نفسه، ولبس ثوب النبي - ﷺ -"، ثم نام مكانه: وكان المشركون يرمون رسول الله - ﷺ -، وقد كان رسول الله عليه وآله وسلم ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي - ﷺ -، فجعلوا يرمون علياً، ويرونه النبي - ﷺ -، وقد لبس برده، وجعل علي رضي الله عنه يتضور، فهذا هو علي، فقالوا: إنك للثيم إنك لتتضور، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك" (١).

اجتمع شباب قريش وفتيانها في الليلة التي حددوها لتنفيذ المؤامرة، وأحرقوا بيت رسول الله ﷺ والسيوف في أيديهم تخطف الأبصار ببريقها، ويترقبون خروج رسول الله لينهشوه بتلك السيوف.

وكان على رسول الله أن يخرج من بين هذه الجموع المحتشدة المترقبة، وكان عليه كذلك أن يضللهم حتى لا يفتنوا لخروجه فيتبعوه، ويفسدوا عليه خطته، عندئذ أمر علي رضي الله عنه أن ينام في مكانه، وأن يغطي ببردة الحضرمي الأخضر، فامثل علي لأمره، ونام في مكانه مضحياً بنفسه يفدي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب علي بذلك أروع أمثلة التضحية والفداء.

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣/ ٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة ألفاظ، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد كما في الفتح الرباني: ٢٠ / ٢٧٩.

نام علي على فراش الرسول، ونظر المشركون من خصاصة الباب فاطمأنوا على سلامة خطتهم، وظلوا يتحينون فرصة خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل.»

«وهم الرسول ﷺ بالخروج من بيته، وكانت لحظة جد خطره فالمشركون على باب الرسول وسيوفهم مشرعة في أيديهم كأنها الحيات تتلمظ لتنهش فريستها، وحانت لحظة الوداع، فودع الرسول عليا وطمأنه قائلا: "لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" (١) وأوصاه أن يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس. (٢).

وخرج رسول الله ﷺ على القوم وهو يعلم مكانهم وما جاءوا من أجله ولكنه خرج وكله ثقة في الله عز وجل وفتح باب بيته ليجد فتيان قريش يغطون في نوم عميق، وكأنهم لم يناموا منذ زمن بعيد.

ماذا دهى القوم؟ لقد كانوا منذ لحظات يسمرون، وقد حضر معهم سادة قريش: أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، وربيع بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج. (٣).

لقد حضر هؤلاء السادة ليشجعوا فتيان قريش على أداء مهمتهم وليتشفوا في رسول الله ﷺ، ويمتعوا أبصارهم برؤية دمه الشريف وهو يهراق أمامهم، فما بالهم يغطون في هذا النوم العميق؟

١ - ابن هشام (٩١/٢).

٢ - نفسه ٩٣.

٣ - مختصر ص ١٦٥.

ولقد كان أبو جهل - لعنه الله - منذ لحظات يحدث القوم ساخرا من رسول الله - ﷺ - ويقول: "إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن؛ وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها". (١).

يا سبحان الله!! لقد سمع رسول الله ذلك من أبي جهل وهو في طريقه إلى الباب ليخرج، فأى مصيبة حلت بهم فصرفتهم عن غايتهم؟؟

إنها إحدى المعجزات، لقد أخذ الله أبصارهم، وضرب على قلوبهم حتى خرج عليهم رسول الله ﷺ فلم يروه، وسخر من أبي جهل كما كان يسخر منه قبل لحظات، وقال: "نعم، قلت ذلك، وأنت أحدهم"، وأخذ حفنة من تراب فجعلها على رؤوسهم، وهو يتلو قوله تعالى: {يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}. (٢).

فلم يبق أحد منهم إلا قد وضع على رأسه ترابا (٣).

أي سخرية هذه؟ وأي احتقار للقوم؟

شباب أقوياء وسيوفهم في أيديهم، يخرج عليهم رسول الله ﷺ وحيدا، ولكنه في رعاية الله، ويضع التراب على رؤوسهم متحديا تلك السيوف التي ذبلت في أيديهم كأنها أغصان فصلت عن شجرتها، فلم تغن عنهم شيئا.

١ - ابن هشام (٩١ / ٢) .

٢ - سورة يس الآيات: ١ - ٩ .

٣ - ابن هشام (٩١ / ٢) .

فأتاهم أت فيمن لم يكن معهم، فقال: ما تنظرون ها هنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خبيكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجياً يبرّد رسول الله - ﷺ -، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا، عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا" (١).

أبو بكر يحمل كل ماله:

عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ جَدَّتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، اخْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، قَالَتْ: وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا.

قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ.

(١) - أخرجه ابن هشام في السيرة: ٤٨٣ / ١ وإسناده رجاله ثقات وهو مرسل حسن، وأخرجه الطبري في تاريخه: ٣٧٣ / ٢، وأبو نعيم في الدلائل ص: ٦٤، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وله شاهد من حديث ابن عباس رقم: ١٥٥، ١٥٨، وبه يكون الحديث حسنًا.

قالت: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَغٌ.

قالت: وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ..^(١)

النبي - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه في الغار:

خرج الرسول - ﷺ - وصاحبه وقد تزودوا بالزاد والماء ليلاً من خوخة في ظهر بيت أبي بكر حتى لا يراهما أحد، وسلكا طريقاً غير معهودة، فبدلاً من أن يسيرا نحو الشمال ذهباً إلى الجنوب حيث يوجد (غار ثور) وكان خروجه كما قال ابن إسحاق لهلاً ربيع الأول، وقيل: في أواخر صفر.

عن ابن أبي مليكة قال: لما هاجر النبي - ﷺ - خرج ومعه أبو بكر فأخذوا طريق ثور قال فجعل أبو بكر يمشي خلفه ويمشي أمامه فقال له النبي - ﷺ - مالك؟ فقال: يا رسول الله أخاف أن تؤتى من خلفك فأتأخر، وأخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم، قال: فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر. يا رسول الله كما أنت حتى أقمه. قال نافع فحدثني رجل عن بن أبي مليكة أن أبا بكر رأى جحرًا في الغار فألقمها قدمه وقال: يا رسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي.^(٢)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: ذَكَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ فَكَأَنَّهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَلَّيْلَةُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ

(١) - [درجته: سنده صحيح، رواه من طريقه الإمام أحمد (٦ - ٣٥٠)، والطبراني في الكبير (٢٤ - ٨٨)، والحاكم (٣ - ٦)، هذا

السند: صحيح: ابن إسحاق صرح بالسماع من شيخه يحيى بن عباد، وشيخه يحيى ثقة، انظر التقريب (٢ / ٣٥٠) والتهذيب (١ / ٢٣٤) ووالده: عباد، كان قاضي مكة زمن أبيه وخليفته إذا حج، وهو تابعي ثقة. انظر التقريب (١ / ٣٩٢) والتهذيب (٥ - ٩٨).

(٢) - حسن ورجاله ثقات لكنه مرسل، رواه: رواه البغوي سيرة ابن كثير (٢ - ٢٣٧)، وابن هشام،

عُمَرُ، وَلَيَوْمٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً انْطَلَقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْكَرُ الطَّلَبَ، فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكَرُ الرَّصَدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبُّبْتُ أَنْ يَكُونَ لَكَ دُونِي؟».

قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَانَتْ لِيَتَكُنَ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَحَبَبْتُ أَنْ تَكُونَ لِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا مِنَ الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى اسْتَبْرَأَ لَكَ الْغَارَ فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبِرِ الْجُحْرَةَ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى اسْتَبْرَأَ الْجُحْرَةَ، فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَ فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ " (١)

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد معاشر الموحدين المحبين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم:

دور ذات النطاقين في الهجرة:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: "صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَتْ فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلَا لِسِقَائِهِ مَا تَرْبِطُهُمَا بِهِ فَقُلْتُ

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣/ ٦ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: صحيح مرسل، والحافظ في الفتح: ٧/ ٢٣٧ عن دلائل النبوة للبيهقي من مرسل محمد بن سيرين وقال: وذكره أبو القاسم البصري من مرسل ابن أبي مليكة نحوه، وذكر ابن هشام من زياداته عن الحسن البصري بلاغاً نحوه.

لَأَبِي بَكْرٍ وَاللَّهِ مَا أَجْدُ شَيْئًا أَرْبُطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي قَالَ فَشَقَّيْهِ بِاثْنَيْنِ فَارْبِطْ بِهِ بِوَاحِدٍ السَّقَاءَ
وَبِالْآخِرِ السُّفْرَةَ فَفَعَلْتُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ^(١)

وأصبحت هذه منقبة لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، لا يجحدها إلا حاقدا حاسدا.

هَشَامٌ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ يُعَيِّرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُونَ يَا ابْنَ
ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ يَا بَنِيَّ إِنَّهُمْ يُعَيِّرُونَكَ بِالنِّطَاقَيْنِ هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ النِّطَاقَانِ
إِنَّمَا كَانَ نِطَاقِي شَقَّقْتُهُ نِصْفَيْنِ فَأَوْكَيْتُ قُرْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدِهِمَا
وَجَعَلْتُ فِي سُفْرَتِهِ آخَرَ قَالَ فَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ إِذَا عَيَّرُوهُ بِالنِّطَاقَيْنِ يَقُولُ إِيَّهَا وَالْإِلَهَ تِلْكَ
شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا"^(٢)



(١) - البخاري، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو. (٦ / ١٢٩ فتح).

(٢) - أخرجه البخاري (ج٥٣٨٨)

دور الشباب في هجرة النبي ﷺ

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إله عزَّ من اعتز به فلا يضام، وذَلَّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفیائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

آياتُ أحمدَ لا تحدُّ لوصفٍ ولو أنَّه أُملي وعاش دهوراً

بشراكمُ يا أمة المختار في يوم القيامة جنة وحريراً

فُضِّلتمُ حقاً بأشرف مرسل خير البرية بادياً وحضوراً

صلى عليه الله ربي دائماً ما دامت الدنيا وزاد كثيراً

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسك بستته، واقتدى بهديه، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

طبيعة مرحلة الشباب:

إن مرحلة الشباب هي أخصب مراحل العمر وهي مرحلة العطاء والشباب هم الثروة الثمينة التي لا تعوض وهم تاج وعز الأمة بصلاحتهم تنهض الأمة والشباب في أي مجتمع من المجتمعات عنصر حيوي في جميع ميادين العمل الإنساني والاجتماعي والثقافي والتكويني لهذا المجتمع وهم لبنة من لبنات بناته وعمرائه وأداة فعالة مهمة من أدوات حضارته واستمراره وهم همزة الوصل بين الماضي والمستقبل يحملون الحاضر وأماناته وراياته وقضاياها ليرحلوا بها إلى المستقبل بحرص وعطاء.

أمة الحبيب الأعظم محمد ﷺ - إن الناظر إلى شباب الأمة في الفترة الأخيرة ليرى انحرافا عن مسار الحق وعن مسار الرقي عن مسار الفضيلة والتقدم انشغل كثير من أبناء الأمة بالتفاهات والأفلام والمسلسلات عن طاعة رب الأرض والسموات تراهم في النوادي والملاهي وانشغلوا بالدورات الكروية عن صلاة الجماعة وخلق العلم... لذا ننادي هؤلاء الشباب فنقول:

يا إخوتي يا شباب الحق همتمكم تسمو بكم عن دروب الطيش والصخب

أحبكم يا شباب الحق محتسباً ولن يضيع ربي أجر محتسبي

أدعو لكم بصلاح الأمر في زمنٍ سواد ظلمته يطغى على الشهب

أقول لا تفتحوا باب العقول لمن يدعو إلى اللهو والتفريغ واللعب

لا يجرمنكم شنان من فسقوا على سلوك طريق العنف والشغب

لقد بين التاريخ الإسلامي كله أن صلاح الأمة بصلاح شبابها فإذا التزم الشباب بمنهج الله وساروا على التعاليم الإسلامية الصحيحة فإن الله عز وجل سيجعل لهذه الأمة فرجا وسيهيئ لها من أمرها رشدا

يا أحفاد خالد بن الوليد سيف الله المسلول

يا أحفاد علي بن أبي طالب الغضنفر الجسور

يا أحفاد حبر الأمة وعالمها ابن عباس الصبور

يا أحفاد معاذ بن الجبل أعلم الأمة بالحلال والحرام

أعيروني الأسماع لعلنا نتدارك ما فات ونعمل لما هوأت

مكانة الشباب في شرع رب الأرباب:

شباب الأمل واملها المنشود ودرها المعقود : لقد أعطى الإسلام للشباب المؤمن التقي الصالح مكانة متميزة بحيث عدَّ النبي عليه السلام من السبعة المستظلين في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ - قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا، لَا تَعْلَمُ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١)

فالشباب على مر التاريخ هم النقباء، والحواريون، وهم الأنصار والمهاجرون لنقرأ في سورة الكهف قصة أصحاب الكهف "إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى" ومن مناقب الشباب في الإسلام ما لا يعد ولا يستقصى فما رفعت راية الإسلام الا بسواعد الشباب و اليكم صور مشرقة مشرفة من حياة شباب الأمة

شباب مبشرون بالجنة:

١ - الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣/ ٧٢)

أيها الشباب: من الناظر في لوحة الشرف والتكريم التي منحها النبي الأمين لأصحابه وكانت جائزتها جنة عالية قطوفها دانية ليجد أن الشباب قد عازوا قصب السبق فالعشرة المبشرين بالجنة منهم خمسة شباب، لم ينالوا تلك المكانة بالمحسوبية أو بالرشوة كلا و إنما قدموا أعمالا جليلة و هاكم بيان ذلك

دور الشباب في الهجرة النبوية:

أخوة الإسلام: تجلى في الهجرة دور الشباب كعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه في نصرته هذا الدين ونجاح الدعوة إلى الله فبهمتهم واندفاعهم للتضحية والعمل الدؤوب وبتعلمهم كيف يكونون أعضاء صالحين في مجتمعهم ووطنهم وأمتهم تتقدم الأمة سريعا نحو النجاح والغلبة والتمكين بإذن الله.

دور علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

فأما علي رضي الله عنه: والذي ضرب مثالا للجندي الصادق المخلص لدعوة الإصلاح، والذي يفدي قائده بحياته، حين بات رضي الله عنه ليلة الهجرة على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم، تضحية بحياته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله ﷺ، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأسه انتقاما منه، لأنه سهل لرسول الله ﷺ النجاة، ولكن عليا رضي الله عنه لم يبال بذلك، ولم يرهبه بريق السيوف ولا أخافه لقاء الحتوف، فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة.

هذا البطل الهمام كان يوم الهجرة في العشرين من عمره أو حواليتها.

وقد قرأت لبعض أهل زماننا قوله: "إنني أعتبر أن ابن العشرين من أبنائنا مازال طفلا"!!!..

ولا شك أن الفارق في التربية والنشأة.

دور عبد الله بن أبي بكر - رضي الله عنهما:

وإذا تركنا علياً إلى عبد الله بن أبي بكر الصديق، نجد أنه كان فتى ذكياً أليماً، ذا فطنة نفاذة، وقريحة وقادة، وفهم ثاقب، وقلب واع، وتلق حسن لما يسمعه، فكان يبيت بين أهل مكة يسمع ما يكيدون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، ويعرف الأخبار والأحوال ثم يذهب في الليل ليخبر بذلك رسول الله عليه السلام، فكان كما يقال صاحب المخابرات الصادق، وكاشف تحركات العدو. وكان في ذلك الوقت ابن بضع وعشرين سنة لا غير.

دور عامر بن فهيرة - رضي الله عنه:

وأما عامر بن فهيرة خادم آل الصديق فكان جندياً أيضاً من جنود الهجرة، ولعل كثيراً من المسلمين لا يعرفون عامراً هذا.. مع أنه كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، أسلم وهو مملوك، وكان حسن الإسلام، وعذب في الله، فاشتراه أبو بكر، فأعتقه.

ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار بشور مهاجرين، أمره أبو بكر أن يروح بغنم أبي بكر عليهما، وكان يرعاها، فكان عامر يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلباها، وإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّي عليه، فلما سار النبي ﷺ وأبو بكر من الغار هاجر معهما، فأردفه أبو بكر خلفه.. فعامر كان ضمن ركب الهجرة كما ذكر ذلك صاحب كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة (أسد الغابة ٢/ ٦٣).

وشهد عامر بدرًا وأحداً، وقتل يوم بئر معونة، سنة أربع من الهجرة، وهو ابن أربعين سنة، وقال عامر بن الطفيل لرسول الله ﷺ، لما قدم عليه: من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع

بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه، قال: هو عامر بن فهيرة. (راجع ترجمته في أسد الغابة).

وإذا كان عامر قتل سنة أربع وهو ابن أربعين سنة فقد كان سنه وقت الهجرة بضعا وثلاثين سنة، وبالتحديد ستا وثلاثين سنة.. فأين شبابنا؟!!

والهجرة النبوية المباركة نجحت بفضل الله تعالى ثم بتفاني ثلة من شباب قريش؛ فعلي رضي الله عنه نام في فراش النبي - ﷺ - ليخادع المشركين، ويأخذ أبصارهم عن النبي - ﷺ - ويحميه من مؤامرتهم، مع علمه أنه قد يقتل مكانه.

وحمل الإسلام والقرآن إلى المدينة النبوية بعد بيعة العقبة المباركة مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو دون الثلاثين، فكان قبل الهجرة داعية المدينة ومقرئها، وكان أغنى شباب مكة وأعطرهم، وعلى يديه أسلم سعد بن معاذ سيد الأوس وله بضع وثلاثون سنة، فقام سعد في قومه خطيبا فقال: كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا. فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام.

وعالم الأنصار ومفتيها وقاضيتها معاذ بن جبل رضي الله عنه أسلم وهو ابن ثمانية عشر عاما، وبعثه النبي - ﷺ - إلى اليمن قاضيا ومعلما ومفتيا وهو في العشرين.

أخي الشاب ها هو أول سفير للإسلام فاتح مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإسلام إنه الشاب الهمام مصعب بن عمير شاب من أكثر شباب قريش رقة ووداعة وثراء، نشأ منعما في ظل والديه، في بيت يزخر بالفاخر من الثياب، والنادر من العطور، زينة فتیان قريش، ودرة مجالسه، تنقلب حياته فجأة، فإذا به يرضى بشظف العيش، ويلبس الجلد الخشن من الثياب!! فما الذي غيره وحوله هذا التحول العظيم؟ بهذا الرضا التام؟

إنه الإسلام، ذلك الدين الذي ما إن لامس قلب الشاب الغض اليافع، حتى وجد لديه قبولاً سريعاً، ذلك أنه - منذ صغره - لم يحمل للإسلام ذرة كراهية، وما نشأ ناقماً عليه، بل على العكس، سعى إليه في سر، واستمع إلى رسوله المصطفى في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وسرعان ما أعلن نفسه واحداً من بين المسلمين.

**أنا مسلمٌ أسعى لإنقاذ الوري للنور للإيمان للإسعاد
ويروغني هذا البلاء بأمتي لما تَخَلَّتْ عن طريق الهادي**

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ قَبْلِكَ يَدْعُو النَّاسَ بكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يَتَّبِعَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَتَزَلَّ فِي بَنِي غَنَمٍ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ [سِرًّا]، وَيَفْشُو الْإِسْلَامَ، وَيَكْثُرُ أَهْلُهُ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدَعَائِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ أَقْبَلَ هُوَ وَمَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ حَتَّى أَتَيَا بَثْرَ مَرْقٍ أَوْ قَرِيْبًا مِنْهَا، فَجَلَسُوا هُنَالِكَ، وَبَعَثُوا إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَتَوْهُمْ مُسْتَخْفَيْنَ، فَبَيْنَمَا مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ يَحْدِثُهُمْ، وَيَقْصُصُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، أَخْبَرَ بِهِمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، فَأَتَاهُمْ فِي لَأَمَتِهِ، وَمَعَهُ الرَّمْحُ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: عَلَامَ يَأْتِينَا فِي دُورِنَا بِهَذَا الْوَحِيدِ الْفَرِيدِ الطَّرِيحِ الْغَرِيبِ يَسْفُهُ ضَعْفَاءُنَا بِالْبَاطِلِ وَيَدْعُوهُمْ [إِلَيْهِ]، لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِنَا، فَارْجِعُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا الثَّانِيَةَ بَيْتَ مَرْقٍ أَوْ قَرِيْبًا مِنْهَا، فَأَخْبَرَ بِهِمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الثَّانِيَةَ، فَوَاعَدَهُمْ بِوَعِيدٍ دُونَ الْوَعِيدِ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ مِنْهُ لِينًا، قَالَ: يَا ابْنَ خَالَةٍ اسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنْهُ مَنَكْرًا، فَارْدِدْهُ يَا هَذَا مِنْهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ خَيْرًا فَأَجِبْ اللَّهَ، فَقَالَ: مَاذَا يَقُولُ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ {حَم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فقال سعد: وما أسمع إلا ما أعرف، فرجع وقد هداه الله تعالى، ولم يظهر أمر الإسلام حتى رجع، فرجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام، وأظهر إسلامه، وقال: من شك فيه من صغير أو كبير أو ذكر أو أنثى، فليأتنا

بأهدى منه، نأخذ به، فوالله لقد جاء أمر لتحزن فيه الرقاب، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد ودعائه، إلا من لا يذكر، فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسرها. ثم إن بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة، فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو ويهدي [الله] على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم فكان المسلمون أعز أهلها، وصلاح أمرهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكان يدعى المقرئ. (١)

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

أحبتني في الله :

أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهم - ودورها في الهجرة:

نعيش مع المرأة المجاهدة الزكية الفطنة التي كان لها دوراً فعالاً في نجاح هجرة النبي -

ﷺ -

في الهجرة النبوية: قالت السيدة عائشة في حديث طويل منه: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر، عند الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنغاً^(٢) في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر... إلى أن قالت: ... فجهزناهما أحت الجهاز (من الحثّ وهو الإسراع) ووضعنا لهما سفرة في

١ - الموسوعة في صحيح السيرة النبوية - العهد المكي (ص: ٤٨٨).

٢ - متقنغاً: مغطياً رأسه.

جواب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت بذات النطاقين^(١). فقد أسهمت السيدة أسماء رضي الله عنها في تموين الرسول - ﷺ -، وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله، فقد حدثتنا عن ذلك فقالت: لما خرج رسول الله - ﷺ -، وأبو بكر - رضي الله عنه - أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي قالت: فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً - فلطم خدي لكمة، طرح منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا^(٢)، فهذا درس من أسماء والدة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، تعلّمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل، كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم، وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة، وقد

ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجّعكم بماله ونفسه. قالت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يديك على هذا المال، قالت: ووضع يده عليه فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا، فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن

الشيخ بذلك^(٣).

^١ - البخاري رقم ٣٩٠٥، السيرة النبوية للصّلاحي (١/ ٤٦٣).

^٢ - تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٩، ٣٨٠)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٣١، ١٣٢).

^٣ - السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٢)، إسناده صحيح.

وبهذه الفطنة، والحكمة، سترت أسماء أباهما، وسكنت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباهما قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كومتها، لتطمئن لها نفس الشيخ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلّة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً، وثقة بلا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور ولا تلتفت إلى سفاسفها (١)، فضرب بهم للبيت المسلم مثلاً عز أن يتكرر، وقلّ أن يوجد نظيره، لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً هن في أمس الحاجة إلى الاقتداء به والنسج على منواله (٢).

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم! وظلت أسماء مع أخواتها في مكة لا تشكو ضيقاً، ولا تظهر حاجة، حتى بعث النبي - ﷺ - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم إلى مكة، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسوده بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وأمه بركة، الممكنة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان (٣).

"إننا نلمح في ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً في سبيل الله عز وجل ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع المسلم، فلا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصرًا على عباداته، بل عليه أن يستنفذ طاقاته وأوجه

١ - السفاسف: الرديء الحقيق من كل شيء، والجمع: سفاسف.

٢ - الهجرة النبوية المباركة ص ١٢٨.

٣ - انظر: الهجرة النبوية المباركة، ص ١٢٨.

نشاطه كلها سعيًا في سبيل الإسلام، وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام و
المسلمين في كل زمن وعصر".

وإننا ننتظر اليوم الذي نرى فيه شبابنا كعلي وعبد الله وعامر رضي الله عنهم، ونرى فتياتنا
كأسماء وعائشة رضي الله عنهما.. ونسأل الله أن يكون ذلك قريباً.. والله من وراء
القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.



(من وحي الهجرة) الرفيق قبل الطريق

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيد المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ من اعتز به فلا يضام، وذَلَّ من تكبر عن أمره ولقي الآثام. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفیائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

آيَاتُ أَحْمَدَ لَا تَحْدُ لَوَاصِفٌ وَلَوْ أَنَّهُ أُمْلِيٌّ وَعَاشَ دَهْوَرًا

بَشْرَاكُمْ يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ جَنَّةٌ وَحَرِيرًا

فُضِّلْتُمْ حَقًّا بِأَشْرَفِ مَرَسَلٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ بَادِيًا وَحَضُورًا

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي دَائِمًا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَزَادَ كَثِيرًا

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسك بسنته، واقتدى بهديه، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوكَا وَأَخٌ أَبُوهُ أَبُوكَ قَدْ يَجْفُوكَا

صافِ الكرام إذا أردت إخوانهم واعلم بأن أخا الحِفَافِ أخوكا

كم إخوة لك لم يلدك أبوهم وكأنما آباؤهم ولدوكا

لو كنت تحملهم على مكروهة تخشى الحُتوف بها لما خذلوكا

وأقارب لو أبصروك معلقاً بنياط قلبك ثم ما نصروكا

الناس ما استغنيت كنت أخاً لهم وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

أحباب رسول الله - ﷺ - إن من وحي الهجرة اختيار الرفيق قبل الطريق فالنبي - ﷺ - كان أصحابه ممن اسلم به قبل الهجرة كثيرون وعلى الرغم من ذلك لما أراد أن يهاجر لم يذهب إلى أي احد وإن كانوا كلهم أجلاء أمناء صادقين ولكنه اختار صديقة الوفي الذي نشأ معه و علم صدقة و محبته انه الصديق رضي الله عنه و ظهر ذلك في مواطن كثيرة

و الله تعالى قرن الصداقة بالقرابة في كتابه فقال سبحانه - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾

فتأملوا كيف قرن الله تعالى الصديق بالآباء والإخوة والأعمام والأخوال

فانظر كيف أنزل الله تعالى الصديق منزلة النفس والأب والأخ والابن في الأنس

فتأملوا من كان صاحب أبي بكر رضي الله عنه - انه رسول الله فقاده للجنة والمنزلة العالية

و تأملوا في عقبة بن أبي معيط -لعنه الله- من كان صاحبة أمية بن خلف فقاده إلى الهاوية
و إلى نار حامية

{ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي
لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
خَذُولًا (٢٩) {الفرقان}

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات أن عقبة بن أبي معيط دعا النبي ﷺ
لحضور طعام عنده ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا آكل من طعامك حت تنطق
بالشهادتين . فنطق بهما . فبلغ ذلك صديقه أمية بن خلف ، فقال له : يا عقبة بلغني أنك
أسملت . فقال له : لا . ولكن قلت ما قلت تطيبا لقلب محمد ﷺ حتى يأكل من طعامي .
فقال له : كلامك على حرام حتى تفعل كذا وكذا بمحمد ﷺ ففعل الشقى ما أمره به
صديقه الذي لا يقل شقاوة عنه .

أما عقبة فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله في غزوة بدر وأما أبي بن خلف فقد
طعنه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد طعنة لم يبق بعدها سوى زمن يسير ثم
هلك .

أثر الصداقة على نفسية الصديق :

والصديق يتأثر بصديقه ويحاكيه في أفعاله و أقواله و في معتقده و هذا ما اخبر به رسول

الله - ﷺ -

عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » (١).

لذا قالوا في منظوم الحكم: الصاحب صاحب

وقالوا قل لي من تصاحب أقول لك من أنت

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

والصديق إما أن يهديك وإما أن يغويك إما أن ينفعك وإما أن يضررك

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه

وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (مثل الجليس الصالح ومثل جليس السوء كحامل

المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ

الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة) (٢)

خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا تبه الخليل على الغير

١ - أخرجه أبو داود (٢٥٩/٤)، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي (٥٨٩/٤)، رقم (٢٣٧٨)

٢ - صحيح ابن حبان (٣٢٠/٢)

يقول محمد بن واسع: لم يبق من العيش إلا ثلاث: الصلوات الخمس يصلينهن في الجميع فيعطى فضلهن ويكفى شرهن، وجليس صالح تفيده خيرا ويفيدك خيرا، وكفاف من العيش ليس لأحد عليك فيه منة ولا يخاف من الله فيه التبعة. (١)

صفات الجليس الصالح:

اعلم زادك الله علما- أن للصديق الصالح صفات ينبغي عليك أن تتحراها عند اختياره نذكر هنا أهمها :

الصفة الأولى: الإيمان والتقوى:

ومن أهم صفات الصديق الصالح الإيمان والتقوى، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: " لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي " (٢).

وكُلُّ صحبة قامت على أساس غير سليم كانت سببا لندم صاحبها في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [٨].

فعلى المرء أن ينتبه في اختيار الصديق، ويحذر ممن يلبس ثوب الصداقة، وله مآرب يبتغيها، فكم من صاحب جرّ على أصدقائه الهم والحزن، وأرداهم بسوء أفكاره وضلاله أهدافه، وقد قيل: الصاحب ساحب. لأن الصاحب له تأثير بالغ على صاحبه.

الصفة الثانية: أن يكون متبعا لمولاه مخالفا لشيطانه وهواه :

من صفات الجليس أيضا، أن لا يكون متبعا لهواه، بل متجردا في آراءه منصفًا في أقواله وتقريراته، لقوله سبحانه { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا }

١- تاريخ دمشق.

٢- صحيح ابن حبان - محققا (٢/ ٣١٥)

[الكهف: ٢٨] ضياعا وهلاكاً وخسارة، لأنها نتيجة طبيعية لاتباع الهوى الذي هو من ألد أعداء الإنسان.

إني بليت بأربع ما سلطوا إلا لعظم بليتي وعنائتي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف السبيل وكلهم أعدائي^(١)

قال الحسن: أيها الرجل، إن أشد الناس عليك فقداً، لرجل إذا فزعت إليه وجدت عنده رأياً، ووجدت عنده نصيحة، بينما أنت كذلك إذ فقدته، فالتمست منه خَلْفاً فلم تجده. ^(٢)

الصفة الثالثة: أن يكون راجح العقل :

مومن صفات الصديق الصالح رجاحة العقل والاتزان وعدم التهور والحمق
قال ابن حبان: العاقل لا يؤاخي إلا ذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة،
ذا عقل نشأ مع الصالحين؛ لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع
الجهال. ^(٣)

وَلَمَنْ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

فارغب بنفسك أن تصادق أحمقا إن الصديق على الصديق مصدق^(٤)

قال بعض العلماء: التمس وُدَّ الرجل العاقل في كل حين، وود الرجل ذي النكر في بعض
الأحيان، ولا تلتمس ود الرجل الجاهل في حين. ^(٥)

^١ - شرح البخاري للسفيري.

^٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

^٣ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

^٤ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

^٥ - غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة.

فالصديق الأحقق ربما يريد أن ينفعك فيقتلك كالدب التي قتلت صاحبها ذكروا أن رجلا وجد في الغابة دبة صغيرة تبكي جائعة ليس لها من يرعاها فأخذها بيته وأرضعها واعتنى بها وأحبها وأحبه، كبرت الدبة وكبر معها حبها للرجل الذي رعاها وأكرمها، وفي يوم من الأيام نام الرجل وجلست الدبة تحرسه وتنظر له بحب، فإذا بذبابة تحوم حوله فاغتازت منها الدبة وقررت أن تقتلها حتى لا تعكر صفو سيدها ومربيها، فحملت حجر كبير لتلقي به على الذبابة، فطارت الذبابة وأفلتت من الحجر لكنه وقع على رأس الرجل فقتلته.

حقوق الصحبة:

الحق الأول: حق الإيثار بالمال : وهو من اهم الحقوق التي توضح مدى المحبة و الإخوة بين الصديق صديقة و لقد ظهر ذلك لجليا في أفعال أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث اخذ ماله كله و قدمه لرسول الله ﷺ و نصرة الدعوة

عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك)

فعن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال : سمعت النبي ﷺ قال الله تعالى : حقت محبتي للمتباذلين في . (١)

. وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله ، أعتق بلالا وعامر بن فهيرة ، وزينرة والنهدية وابنتها وجارية بني مؤمل وأم عيسى . (٢)

. وقال الله تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٧-٢١]

وكان عمر (رضي الله عنه) يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا (٣)

عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) وسعد بن الربيع (رضي الله عنه) .

لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين سعد بن الربيع الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف المهاجري، فتأمل إلى حرص عبد الرحمن بن عوف على البذل والسخاء ومواساة الأخوة

إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ مهيم قال تزوجت قال كم سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب شك إبراهيم . (٤)

١ - سبق تخرجه

٢ - أسد الغابة ٣ / ٣٢٥ وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني إلى عروة رجال الصحيح، والإستيعاب في معرفة الأصحاب -

(١ / ٢٩٥) والرياض النضرة في مناقب العشرة - (١ / ٦١) تاريخ دمشق - (٣٠ / ٦٦)

٣ - أخرجه البخاري ٣٧٥٤ ، أبو نعيم في الحلية (١ / ١٤٧) .

٤ - وأخرجه البخاري ح ٣٧٨٠ ، وأخرجه مسلم في ١٦ كتاب النكاح ١٢

جاء الفتح الموصلي إلى صديق له يقال له عيسي التمار ، فلم يجده في المنزل فقال للخادم : أخرجني إلي كيس أخي ، فأخرجته له فأخذ درهمين وجاء عيسي منزله فأخبرته الخادمة بمجيء فتح وأخذ الدرهمين ، فقال : إن كنت صادقة فأنت حرة ، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت . (١).

الحق الثاني تفقدتهم واعانتهم : ومن حقوق الصاحب على صاحبه أن يقف بجواره عند الشدائد ويقدم له يد العون والمعونة ولقد ضرب السلف أروع الأمثلة في ذلك الحق قال أبو سليمان الدارني : لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له وقال أيضا إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي (٢)

دخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل ، فقال له مالك : كف يدك حتى يجيء صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلى قوله ، وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال : يا ويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الإنبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال تعالى (أو صديقكم) وقال (أو ما ملكتم مفاتيح) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد (٣)

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : لابن أخيه ، لأن يرى ثوبك على صاحبك أحسن من أن يرى عليك ، ولأن ترى دابتك تحت صاحبك أحسن من أن ترى تحتك . (٤)

١ - كتاب الإخوان. رقم ١٦٢، والمتحابين في الله - (رقم ١٠٠) وتاريخ بغداد - (٣ / ٢٢٧)

٢ - إحياء علوم الدين - (٢ / ١٧٤) الكشكول - (٢ / ١٦٢) و

٣ - إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٩٠ .

٤ - كتاب قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا رقم ٢١

وقال الحسن البصري - رحمه الله لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة (١) .

وقال أيضا: لأن أقضي لأخ حاجة أحب إلي من أعتكف شهرين وعن طاووس قال : إذا أنعم الله على عبد نعمة ثم جعل إليه حوائج الناس فإن صبر واحتمل وإلا عرض تلك النعمة للزوال.(٢)

الحق الثالث كتمان أسرارهم والحفاظ عليها: ومن الصاحب على صاحبه أن يكون كتوما للأسرار فلا يفشي له سرا ويظهر هذا جليا في فعل أبي بكر - رضي الله عنه- في الهجرة المباركة: عَنْ عُرْوَةَ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهْرِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِدَاءَ لَهُ أَبِي وَأُمِّي إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لَأَمُرَّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ : " أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَعَمْ " (٣)

الحق الرابع الوفاء للصدیق:

فمن حقوق الإخوة الوفاء أن يكون وفيا له في حياته و بعد مماته ، فمن الوفاء للصدیق والصاحب أن يراعي الإنسان حرمة ، ويكرم أهله وأصدقائه ولو كان ذلك بعد وفاته

١ - كتاب قضاء الحوائج رقم ٣٧

٢ - المتفق والمفتق للخطيب البغدادي - (رقم ١٣٩) وقضاء الحوائج - (رقم ٥٠)

٣ - مسند أحمد - الرسالة (٤٢ / ٤٢٠)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَنْتِ؟) قَالَتْ: أَنَا جَثَامَةُ الْمُزْنِيَّةِ، فَقَالَ: (بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزْنِيَّةِ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟) قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبَلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالُ؟ فَقَالَ: (إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) (١)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ). (٢)

قال النووي رحمه الله: "في هذا دليلٌ لحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ، وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ، وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ" انتهى .

الدعاء

١ - الحاكم في "المستدرک" (٤٠) وحسنه الألباني في "الصحيحه" (٢١٦)

٢ - وروی البخاری (٣٨١٨) ومسلم (٢٤٣٥)

أسس بناء المدينة الفاضلة من خلال الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله شهدت بوجوده آياته الباهرة، ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والرياح السائرة، والسحب الماطرة، هو الأول فله الخلق والأمر، والآخر فإليه الرجوع يوم الحشر، هو الظاهر فله الحكم والقهر، هو الباطن فله السر والجهر

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير

أنشأتني ورحمتني وسترني أحسن فأنت المحسن المفضل

ما لي سواك وأنت غاية مقصدي والحق أنت وما عداك ضلال

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه

إذا سار سار النور معه، وإذا نام فيح الطيب مضجعه، وإذا تكلم كانت الحكمة مرفعه

هو المختار من البرايا هو الهادي البشير هو الرسول

عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائما فيها القبول

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي

يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد : فيا أيها الإخوة الأحاب ما زلنا نتكلم عن هجرة النبي المختار إن هجرة النبي - ﷺ - منهاجاً ودستوراً فريداً لبناء المدينة الفاضلة التي تقوم على الإيمان والعدل والتي تبنى على التضحية والفداء، وإليك عباد الله أسس المدينة الفاضلة ليست مدينة سقراط ولا أرسطو وإنما مدينة محمد ﷺ - - مدينة تجسدت فيها القيم والأخلاق والمثل في أشخاص رباهم النبي - ﷺ - :

الأساس الأول: أساس العقيدة:

أحبتي في الله: إن أول أساس تؤسس عليه المدينة الفاضلة التي أسسها محمد ﷺ - - هو أساس القوة والصلابة أنه أساس تزول الجبال الرواسي ولا يزول أنه أساس العقيدة التي تمنح صاحبها قوة وصلابة ومحبة للآخرين أنه الأساس الذي بدونه تنهار الأمم وتنهار الحضارات أنه الأساس الذي تبنى عليه الأمجاد وتعز به الأمم والشعوب

في هجرة المصطفى مغزى لمذكر لا تجهلوا مجدكم يا قوم وادكروا

لو كان للمال أو للجاه قد خرجوا أو للرياسة أو للفخر ما انتصروا

الله يعلم أن القوم تحفزهم عقيدة ولها الأرواح قد نذروا

فبالعقيدة قام القوم واثبتوا وبالعقيدة يرمى القوس والوتر

وبالعقيدة ذل الشرك وارتفعت منارة بسنا التوحيد تفتخر

وبالعقيدة كان النصر وانهزمت جيوش كسرى فلا تاج ولا سرور

وبالعقيدة راج العلم وازدهرت رياضته فله الأزهار والثمر

ضعف العقيدة داء الشرق فانتبهوا قووا العقيدة فالإيمان يحضر الأساس

العقيدة التي هي أول دعوة للرسول { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥]

العقيدة التي تصنع الأعاجيب

- تالله ما الطغيان يهزم دعوة يومًا، وفي التاريخ برؤيمني

ضع في يدي القيد، أَلْهَبْ أضْلَعِي بالسوط، ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حصار فكري ساعة أو نزع إيماني ونور يقيني

فالنور في قلبي، وقلبي في يَدَي ربي، وربّي ناصري ومعيني

سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي وأموت مبتسمًا ليحيا ديني

صبرًا أخِي في محنتي وعقيدتي لا بد بعد الصبر من تمكين

ولنا بيوسف أسوة في صبره وقد ارتمى في السجن بضع سنين

العقيدة التي تربي أصحابها على مراقبة الله تعالى لا مراقبة الهيئات

العقيدة التي تربي المجتمع على أن أكرمهم لي أغناهم ولا أفواهم وإنما اتقاهم

العقيدة التي تربي المجتمع على الوحدة والاعتصام بالأشخاص ولا بالأحزاب وإنما

بالله تعالى

العقيدة التي تربي المجتمع على أن الأرزاق بيد الخلاق جل في علاه

الثاني: أساس التضحية:

أحباب رسول الله - ﷺ -: الأساس الثاني الذي أسس عليه النبي - ﷺ - دولته أسسها

على حب ووجوب التضحية والفداء لأي أمة لا تضحي ولا يضحي أبناؤها أمة هباء لا

مجد ولا تاريخ وإنما هم رعا

ولقد ظهرت تضحية أصحاب النبي - ﷺ - واضحة جلية في مواقفهم وفي انشراح

صدروهم لتك التضحيات فيها لرى كيف كانت تضحياتهم:

أولاً: التضحية بالنفس:

تأملوا عباد الله في تضحية على - رضي الله عنه - في ليلة الهجرة وكيف بذل نفسه فداء

لنبيه ولدينه وهو يعرف خطورة الإقدام على المبيت في فراش - سيد البشر - ﷺ - - لقد

استل المشركون سيافهم بعدما قرروا أن ينقضوا على الرسول - ﷺ - - ليضربوه ضربة

رجل واحد لقد كان علي - رضي الله عنه - يعي ذلك جيداً

قال ابن اسحق: فأتى جبريل عليه السلام، رسول الله ﷺ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ -مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: ((نم على فراشي، وتسج ببردي)). (١)

ثانيا: التضحية بالزوجة والولد:

فولد الرجل وزوجته أغلى ما يملك في هذه الحياة ومن أجلها يقدم المرء على المهالك وإن كان فيها حتفه، وعلى الرغم من ذلك من أجل بناء صرح وتأسيس المدينة الفاضلة يهون كل شيء

قال ابن هشام: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ -، أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ - مكة من الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً. (٢)

ولترك لأم سلمة رضي الله عنها، المتخصصة في رواية أحاديث الهجرة، تقص علينا وقائع هذه الملحمة الخالدة، قالت:

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحل لي بعيه ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة في حجري ثم خرج يقود بي بعيه، فلما رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبك هذه، علام نترك تسير بها في البلاد؟!؟

قالت ففزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعموها من صاحبنا.

١- «الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٠٩) - سيرة ابن هشام (٢/ ٩٦)».

٢- «فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٦٨)، تاريخ الطبري (١/ ٥٦٥)».

قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ، سلمة، بينهم حتى خلعوا يده. !!!

وانطلق به بنو عبد الأسد وحسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مر بي رجل من بني عمي، فرأى ما بي فرحماني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقم بينها وبين زوجها وولدها. ؟!

قالت: فقالوا لي: الحق بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت بُنَيَّ فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. (١)

ثالثاً: التضحية بالمال:

المال هو زينة الحياة والمال من أجله يقض الإنسان الساعات الطوال في كد وفي تعب و في إرهاق شديد من أجل تحصيله ولكن اذا تعارض المال مع العقيدة و بناء صرح الأمة يزول المال و يهون وهذا ما رأيناه في هجرة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لقد ضحى كل المهاجرين بأموالهم، فلم يخرج واحد منهم، إلا خلف أمواله كلها أو بعضها من ورائه في مكة، وكان له لون من ألوان التضحية. ولكنني هنا سأكتفي بهذين النموذجين الرائعين، لدالتهما الباهرة على تقديم العقيدة والمبدأ، عند المهاجرين، على الأموال. !!

قال ابن هشام: وذكر لي عن أبي عثمان النهدي، أنه قال: بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة، قال له كفار مكة: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكش مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك. ؟! والله لا يكون ذلك.

١ - «ابن هشام في السيرة: ١ / ٤٦٩ - ٤٧٠ من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وعنده رجاله ثقات، فالحديث صحيح.»

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟! قالوا نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ - فقال: ((ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب!!)). سيرة ابن هشام (١)

وهذه أسماء تحدث عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه، قالت: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله، وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فانطلق به معه.

قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه! قالت: قلت: كلا يا أبت! انه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً، فوضعتها في كوة في البيت، التي كان أبي يضع أمواله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال! قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، اذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم! ولا والله ما ترك لنا أبي شيئاً، ولكنني أردت أن أسكن الشيخ. !!! (٢)

الأساس الثالث: أساس الصلة بالله :

أول عمل قام به الرسول في قباء كان بناء المسجد، وأول عمل قام به الرسول ﷺ - في المدينة كان بناء المسجد، وهذا الأمر لم يكن على سبيل المصادفة، ولم يكن مجرد إشارة عابرة، هذا منهج أصيل، فلا قيام لأمة إسلامية بغير المسجد، أو قل لا قيام لأمة إسلامية بغير تفعيل دور المسجد؛ لأن المساجد الآن كثيرة، لكن الكثير منها غير مفعل، ولا يقوم بدوره المنوط به.

١- ابن هشام: ج: ٢، ص ٢٢٣ [وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٢-٥٢٣)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ٤٠٠)]

وصححه ووافقه الذهبي]

٢- «سيرة ابن هشام: ١/ ٤٨٨ وترتيب مسند الإمام أحمد: ٢٠/ ٢٨٢»

يخطئ من يظن أن دور المسجد يقتصر على أداء الصلوات الخمس فحسب، بل إنه في بعض الدول الإسلامية يتم غلق المسجد بعد أداء الصلاة مباشرة، وكأن دوره الوحيد هو الصلاة فقط. وفي الحقيقة دور المسجد في الأمة الإسلامية أعمق من ذلك بكثير، فليست قيمة المسجد في حجمه ولا في شكله ولا في زخرفته ولا من الذي افتتحه أو قصّ الشريط، فهذه كلها شكلية فارغة لا قيمة لها، بل على العكس من ذلك الرسول ﷺ - كان ينهى عن هذه الشكليات، وكان ينهى عن المبالغة في تزيين المساجد، عن أنس؛ ولفظ ابن خزيمة: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَبَاهَوْنَ فِيهِ بِالْمَسَاجِدِ ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا" (١).

قول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

الأساس الرابع: أساس الإخوة والمحبة:

كان الأساس الرابع يتمثل في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى الرسول - ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وجعل منهم إخوة متحابين تعاونوا وتحابوا بروح الله فأصبحوا متعاونين علي البر والتقوي، وكان الأنصار عند حسن ظن النبي بهم، لدرجة أن هذه المؤاخاة لم يقف أمرها عند حد المؤاخاة فحسب بل أصبحوا بها يتوارثون كما يتوارث الأبناء من آبائهم حتي نزل قول الله تعالى: «وأولو الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله» سورة الأنفال .

١ - «الأحاديث المختارة» (٦ / ٢٢٤)

وكان من ثمرة هذه المؤاخاة ما تميز به الأنصار من إثارة غيرهم علي أنفسهم، حتى أن أحدهم عندما يأتي لرسول الله - ﷺ - ضيف ولا يجد في بيوت أمهات المؤمنين شيئاً يقول: من يضيف ضيف رسول الله صلي الله عليه وسلم، فيأخذه واحد من الأنصار ولا يجد سوى طعام الصبية، فتعلل امرأته أبناءها حتي يناموا ويوضع الطعام وتقوم لإصلاح السراج فتطفئه حتي لا يرى الضيف أنهما لا يأكلان شيئاً ليأكل الضيف وليؤثروا ضيف رسول الله ﷺ - علي أنفسهما «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَيَّ أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: "مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ"، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَضِئِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ قَوْمِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ".» (١)

ورحم الله القائل:

أَخُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالْقُبْحِ

وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا وَيَغْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

ومن الآيات الدالة على فضل الأخوة وأنها سبب لتمامك المجتمعات: قوله - جل وعلا

-: {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣].

يقول صاحب "الظلال" معلقاً على هذه الآية بقوله: "فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى

والإسلام، من الركيزة الأولى، أساسها الاعتصام بحبل الله - أي: عهده ونهجه ودينه -

١ - أخرجه البخاري ٣٧٩٨ في مناقب الأنصار: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ، و٤٨٨٩

وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة؛ **{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}**، هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتنُّ الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً، وهو هنا يذكرهم هذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية "أعداء" ... وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، وهما الحيّان العربيّان في يثرب، يُجاوِزُهما اليهود الذين كانوا يُوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها؛ حتّى تَأْكُلَ روابط الحيّين جميعاً، ومن ثمّ تجد يهود مجالها الصّالح الذي لا تعمل إلّا فيه، ولا تعيش إلّا معه، فألف الله بين قلوب الحيّين من العرب بالإسلام.... وما كان إلّا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلّا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيُصبحون بنعمة الله إخواناً.

ومن أجل ذلك؛ فقد جعل رسول الله - ﷺ - أساس الأخوة التي جمع عليها أفئدة أصحابه: العقيدة الإسلامية التي جاءهم بها من عند الله تعالى، والتي تضع النّاس كلهم في مصافّ العبودية الخالصة لله تعالى، دون الاعتبار لأيّ فارق إلّا فارق التقوى والعمل الصّالح؛ إذ ليس من المتوقّع أن يسود الإخاء والتّعاون والإيثار بين أناس شتّتتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكاً لأنانيّته وأثرته وأهوائه.

إنّ المجتمع - أيّ مجتمع - إنّما يختلف عن مجموعةٍ ما من النّاس منتشرة مفكّكة، بشيء واحد، هو قيام مبدأ التّناضر والتّعاون فيما بين أشخاص هذا المجتمع، وفي كلّ نواحي الحياة ومقوماتها، فإن كان هذا التّعاون والتّناضر قائماً، طبق نظام العدل والمساواة فيما بينهم، فذلك هو المجتمع العادل السّليم، وإن كان ذلك قائماً على الحيف والظلم، فذلك هو المجتمع الظّالم المنحرف، وإذا كان المجتمع السّليم إنّما يقوم على أساس من العدالة في الاستفادة من أسباب الحياة والرّزق، فما الذي يضمن سلامة هذه العدالة وتطبيقها على خير وجه؟

إِنَّ الضَّمَانَةَ الطَّبِيعِيَّةَ وَالْفَطْرِيَّةَ الْأُولَى لَذَلِكَ، إِنَّمَا هِيَ التَّأَخِي وَالتَّوَاد.

الأساس الخامس: أساس التعايش السلمي مع المخالف:

وكان الأساس الخامس الذي أقام الرسول ﷺ -الدولة الإسلامية عليه هو تلك المعاهدة التي عاهد فيها المسلمين وغيرهم من اليهود والمشركين فشرط لهم وشرط عليهم وهي تعتبر أول وثيقة عرفت بها البشرية لحقوق الإنسان.

وهذه المعاهدة تفحم بعض الذين يتشدقون بأن في الإسلام عنصرية أو أن فيه عنصرية فكانت أسس الهجرة تحمل أوضح الدلائل على تسامح الإسلام.

الدعاء

بناء المسجد النبوي

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد في أزليته بعز كبريائه، وتوحد في صمديته بدوام بقائه، ونور بمعرفته قلوب أوليائه، وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه، وأسبغ على الكافة جزيل عطائه، وأمن خوف الخائفين بحسن رجائه، الحي العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في أرضه ولا سمائه، القدير لا شريك له في تدبيره وإنشائه
 واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير
 يا رب:

أنا من أنا أنا في الوجود وديعة وغدا سأمضي عابرا في رحلتي

أنا ما مدت يدي إلى غيرك سائل فارحم بفضلك يا مهيمن ذلتي

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه
 خاتم أنبيائه، وسيد أصفياه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، فجمع
 الأنبياء تحت لوائه

بشراكمو يا أمة المختار في يوم القيامة جنة وحريرا

فضلتموا حقا بأشرف مرسل خير البرية باديا وحضورا

صلى عليه الله ربى دائما ما دامت الدنيا وزاد كثيرا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي
يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل
محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أنا مسجد لله مر بساحتي دهر طويل وانطوت أعمار
كم زارني التاريخ زورة عاشق ولكم تجمع عندي الأبرار
بالأمس تمتلئ القلوب مهابة منى وتشرح صدري الأذكار
ويرتل القرآن بين جوانجي فجوانحي بهدى الكتاب تنار
وتثير إعجاب السحاب مآذني وتحيطني بحنانها الأسوار
كم جاء من يأوي إلى فضمه صدري الحنون وزالت الأخطار

فما زال الحديث معكم -أيها الناس - عن السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام -،
وحديثي معكم اليوم عن « بناء المسجد النبوي ».

أولا مكانة المسجد في الإسلام:

المسجد مهبط السكينة والملائكة:

أيها المسلم إذا أردت السكينة وراحة البال فتعالى إلي، إذا أردت عبد الله مجالسة
الملائكة فاجلس في إذا أردت أن يذكر الله فجلس في درس علم أو مجلس قرآن عن أبي
هُريرة، عن النبي - ﷺ - قال: " ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بُيوت الله يتلون كتابَ الله
ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكةُ،
وذكرهم اللهُ فيمنَّ عنده " ^(١)

^(١) - صحيح مسلم، رقم ٢٦٩٩، كتاب الذكر (ص ٢٠٧٤).

المسجد أطهر البقاع على الأرض:

أيها الأحباب أنا المسجد أطهر البقاع وأحبها إلى الأجساد متطهرة و القلوب خاشعة و الأرواح سامية فقد اختارني الله جل جلاله وجعلني مأوى أوليائه من بين البقاع وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سأل رجل النبي - ﷺ -: أيُّ البقاع شرُّ؟ ، قال: " لا أدري حتّى أسأل جبريل، فسأل جبريل، فقال: خيرُ البقاع المساجدُ، وشرُّها الأسواقُ " (١)

(خير البقاع المساجد) لأنها محل فيوض الرحمة وإدراار النعمة (وشر البقاع الأسواق) قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شرا منها ليبين أن الديني يدفعه الأمر الديني

من استوطنني بشبش الله إليه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما توطّن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشّش الله له كما يتبشّش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم». (٢)

«كما يتبشّش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»؛ أي: المسرة والفرح به والإقبال عليه إذا رجع من سفره، وقدم إلى أهله، فإنهم يستقبلونه أحسن وأفضل استقبال، ويفرحون به أيما فرح وانبساط، ويعدون ويصنعون الولائم بأصنافها وأشكالها المتعددة إكراماً لغائبهم إذا رجع إليهم.

ويشير الحديث إلى معنى مهم وهو الترغيب في إتيان المساجد، وإقامة شعيرة من أعظم شعائر الإسلام في بيوت الله جل وعلا، والقيام بأنواع الطاعات والقربات ابتغاءً وقربةً لمرضاة رب البريات، وطمعاً بالجنات، وخوفاً من العقوبات، فهنيئاً ثم هنيئاً لمن يوفّق إلى ارتياد بيوت الله جل وعلا، ويحبس نفسه على ذلك، وهو علامة حب وقبول من الخالق والمعبود جل وعلا لعبده المقبل عليه، فإنه سبحانه وتعالى يوفّق من أحبه لطاعته والقرب منه، والوقوف والتذلل والخضوع بين يديه جل وعلا.

(١) - صحيح موارد الظمان: ٢٥٨، صحيح الترغيب والترهيب: ٣٢٥

(٢) - سنن ابن ماجه، رقم ٨٠٠، كتاب المساجد (١ / ٢٦٢).

فضل مسجد رسول الله ﷺ:

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ. (١)

عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ - : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». (٢)

بناء مسجد رسول الله ﷺ:

بركت ناقة رسول الله ﷺ في المربد أمام بيت أبي أيوب، فسأل عن المربد لكي يشتريه ويتخذ مسجداً، فقال معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، وورد أن النبي ﷺ لم يقبل إلا بالثمن، وورد أن أبا بكر دفع نيابة عن النبي ﷺ لهما عشرة دنانير، وقيل أكثر، فاتخذ مسجداً، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد، ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب إلى أن انتهى بناء المسجد، وبناء مساكنه عليه الصلاة والسلام، وقد عمل النبي ﷺ مع أصحابه في البناء؛ ليرغب المسلمين في العمل، وهكذا جد المهاجرون والأنصار في البناء حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون أيضاً:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

١ - أخرجه أحمد (٣/٣٤٣، ٣٩٧) وابن ماجه (١٤٠٦) صحيح الإرواء ١٤٦ / ٤ و ١١٢٩: التعليق الرغيب ١٣٦ / ١.

٢ - أخرجه مالك في الموطأ (١٣٩) وأحمد (٤/٣٩) والبخاري (٢/٧٧)، ومسلم (٤/١٢٣).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يردد معهم هذا الرجز، وقد نشط المسلمون في إنجاز هذا العمل المهم مهاجرين وأنصارًا، وورد أن عمار بن ياسر كان يعمل بجد في الحفر ونقل اللبن، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، قتلوني؛ يحملون عليّ ما لا يحملون، فنفض رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب عن رأسه، وكان رجلًا جعدًا، وهو يقول له: ((ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية))، وورد أن علي بن أبي طالب ارتجز:

لا يستوي من يعمر المساجد يدأب فيها قائمًا وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وصف المسجد:

أيها الأحبة الكرام: وها هو وصف لمسجد رسل الله ﷺ ذلك المسجد الذي خرج إلى الدنيا جيلا فريدا لا يتكرر لقد تم بناء المسجد بعد جهود متضافرة، وكان طوله مائة ذراع في مائة ذراع، لبابه عضادتان، وجدرانه من اللبن، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من الخوص وسعف النخل، وهو يمنع أشعة الشمس صيفًا، لكنه يكف عند هطول المطر في الشتاء، وكان النبي ﷺ يقول: ((ابنوه عريشًا كعريش موسى))، وبجانبه الشرقي حجرات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن في المسجد منبر للخطبة، وإنما كان النبي ﷺ إذا خطب أسند ظهره إلى جذع نخلة عند مصلاه في الحائط، والصلاة فيه تعادل ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وبعد أقل من سنتين زيد في طول المسجد.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام أهل الحي من

الأنصار، فلم تبقَ دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، وبقي أفراد معدودون من الأوس أقاموا على شركهم.

بناء حجر أمهات المؤمنين:

أيها الأحاب الكرام: وبني لرسول الله ﷺ حجر حول مسجده الشريف، لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة والقياصرة، بل كانت بيوت من ترفع عن الدنيا وزخارفها، وابتغى الدار الآخرة، فقد كانت كمسجده مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة، وكانت سقوفها من جذوع النخل والجريد، وكانت قريبة الفناء قصيرة البناء، ينالها الغلام الفارع بيده. قال الحسن البصري وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة -: (قد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي).

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً،

أما بعد معاشر الموحدين:

الحكمة من بناء المسجد أولاً:

- ١- لأن المسجد هو مركز الدولة: فالنبي - ﷺ - أسس في المدينة الدولة الإسلامية، وجعل أول أساس تقوم عليه هذه الدولة هو المسجد؛ لنعلم بوضوح أن الحكم لله قال - تعالى -: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ٢، وأن الله بيده أمر العباد، وهو أعلم بما يصلح حالهم، فلن يكون النصر والتمكين إذا تركنا هذا الدين {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ٣،

٢- لأن الرجال الذين تقوم بهم الدولة الإسلامية، ويتنشر بهم هذا الدين؛ هم أولئك الذين تربوا في المساجد قال - تعالى - : { **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** } ٤، وقال - جل وعلا - : { **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ** } ، نعم بهم تقوم الأمم إذا كانوا من أمثال أبي عبيدة، أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا. فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنوا. فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً فأنفقه في سبيل الله. قال: تمنوا. قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً -أو نحوه- فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تمنوا. فقالوا: ما تمنينا بعد هذا. قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة، قال: انظر ما يصنع. قال: فلما أتاه قسمه. ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبل، فقسمه، ثم بعث بمال -يعنى إلى أبي عبيدة- قال: انظر ما يصنع. فقال عمر: قد قلت لكم -أو كما قال. (١).

٣- لأن القلوب التي عانت من ظلام الاعتقاد، والنفوس التي كانت تسيرها العادات الجاهلية؛ لابد أن تتعرض للقرآن في اليوم أكثر من مرة، حتى تتهذب وتتركى، فيحصل عندهم الانقياد والتسليم، يدخلون المسجد فيسمعون كلام الله فيقولون: سمعنا وأطعنا! يا سبحان الله! لا قوة سلاح أخضعتهم، ولا سيطرة عسكرية قادتهم، إنما سمعوا قول الله: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً**

١ - أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (١٢٨٠)، والحاكم (٥٠٠٥)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١/ ١٠٢)

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]

٤- لأن الصلة بالله - عز وجل - هي الطريق إلى العلو في الدنيا والآخرة.

٥- لأنه لا بد من توفير كل ما يحتاجه المجتمع من مراكز تعليم، ومراكز عسكرية، ومراكز
تناقش القضايا الاجتماعية، وهذا وغيره كان موجوداً في المسجد، قال شيخ الإسلام ابن
تيمية - رحمه الله - : "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد فإن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر،
وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الأولوية والرايات، وتأمير الأمراء وتعريف
العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم" (١).

٦- لأن المسلم لا بد أن يبحث عن بيئة يستطيع أن يعبد الله فيها بأمان واطمئنان.

٧- لأنه لا بد من شكر الله على النعم، والشكر قولِي وفعلي، فأراد النبي - صلى الله عليه
وسلم - لما رأى ما أنعم الله عليه بالمدينة المنورة؛ بناء المسجد ليقوم شاكرًا لله - عز
وجل - .

٨- لكي يعلم جميع الناس أن المسلمين يجمعهم التوحيد، فبه يكون الولاء، وعليه يكون
البراء.

فلتكن أهدافنا هي أهداف النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومقاصدنا مقاصده، ونسأل
من الله أن يرزقنا اتباعه، والعمل بستته، والسير على خطاه، والاهتداء بهداه.

١ - «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٣٩)

خطبة الاتحاد قوة [المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أنموذجا]

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضائه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله
 واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير
 شهادة من قال ربى الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بهدايته،

سبحان من ملأ الوجود أدلة ليلوح ما اخفى بما أبداه

سبحان من ظهر الجميع بنوره فيه يرى أشياء من صفاه

سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هده

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

والله ما في الخلق مثل محمد في الفضل والجود والأخلاق

فهو النبي الهاشمي المصطفى من خيرة الأنساب من عدنان

لو حاول الشعراء وصف محمد وأتوا بأشعار من الأوزان

ماذا يقول الواصفون لأحمد بعد الذي جاء في القرآن

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بستته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى

يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد: معاشر الموحدين المتحدين: حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن [الاتحاد قوة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أنموذجا] لتكلم عن أهمية الاتحاد وأن الاتحاد قوة وأن التفرق ضعف، وأن الاتحاد به صلاح البلاد والعباد، وأن الاتحاد به القوة والمنعة، وأن الاتحاد به العزة والرفعة، وأن الاتحاد سبيل التقدم والرقى، وأن الاتحاد سبيل النصر على الأعداء..... لنأخذ أنموذجا تطبيقا للاتحاد ولن نجد في مقامنا هذا أروع من المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليخلق مجتمعا متآلفا مجتمعا يحنو فيه القوي على الضعيف، والغني على الفقير، والصحيح على السقيم مجتمعا النصره والقوة فأعيروني القلوب والأسماع

وفي التوحيد للهمم اتحاد ولن تبوا العلا متفرقين

ألم يبعث لأمتكم نبي يوحدكم على نهج الوئام

ومصحفكم وقبلتكم جمعياً منار للأخوة والوئام

مفهوم وحدة الأمة الإسلامية:

أحبتني في الله: وحدة الأمة الإسلامية هي: اجتماع المنتسبين إلى الإسلام على أصول الدين وقواعده الكلية، وعملهم معاً لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وبذلك يحققون معنى

الأمة كما قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ

الْفَاسِقُونَ} [سورة آل عمران: ١١٠]،

ثانيا: جوب الوحدة والاعتصام:

اعلم - علمني الله تعالى وإياك - : أن الله تعالى أوجب علينا الوحدة و الاتحاد و جعل ذلك رمزا للإيمان و الانقياد له - سبحانه و تعال - ي فقال - جل ذكره - أمرا مذكرا بفضله علينا {واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣]

قال القرطبي رحمه الله: "فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا^(١)

وأخرج الطبري عن عبد الله بن مسعود قال: (حبل الله الجماعة)

في صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)).

يقول عدي بن زيد العبادي:

وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا حضرت أيدي الرجال بمشهد

ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه يغلب عليه ذو النصير ويضهد

^١ - تفسير القرطبي (٤ / ١٥٩)

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)) رواه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة. (١)

ولقد أمركم الله تعالى بنبذ الخلاف والخصام والعمل على احتواء الخلافات مذكرا لنا بالإخوة الإيمانية: قال الله عز وجل {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠]

وقال جل وعلا: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١]

فهذه الأدلة تأمر المسلمين بالأخذ بكل ما يزيد المحبة بينهم، والنهي عن كل ما يولد البغضاء في صفوفهم، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين، فإن الأخوة ضد الفرقة والاختلاف

سبب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والهدف منها:

إخوة الإسلام: كان لازما وأجل مسمى أن يعقد النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار تلك المؤاخاة وذلك لأن الهجرة أدت إلى تنوع سكان المدينة، حيث صار فيها من الأحياء المختلفين غير الأوس والخزرج من العرب، وضم ذلك كله وحدة المسلمين، وكان أعداؤهم المنافقين واليهود، فانقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: المؤمنين، والمنافقين، واليهود.

١ - أخرجه مالك "الموطأ" ٢٦٣٩. والحميدي "١١٨٣" و"أحمد" ١١٠/٣ (١٢٠٩٧) والبخاري "٢٣/٨ (٦٠٦٥) و"مسلم"

لما اجتمع هذا العدد من المهاجرين في المدينة، كان لا بد من إيجاد حل لهؤلاء الوافدين القادمين الذين كثيرٌ منهم ما عندهم أموال ولا بيوت ولا مأوى، فجاء الحل الشرعي، وهو: المؤاخاة، واعتبر الإسلام المؤمنين كلهم إخوة، فقال تعالى: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]** [الحجرات: ١٠].

وأوجب عليهم: الموالاة لبعضهم، والتناصر في الحق بينهم، وحصلت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتهدف قصّة المؤاخاة إلى تمتين عُرى الروابط بين المسلمين وتأكيدّها، واستئصال جذور الجاهليّة والتعصّب، وهي رابطة تقوم على أساس الإيمان بالله عزّ وجلّ وباليوم الآخر ووحدة الهدف والغاية.

لقد «كان الصراع داخل المدينة متوتراً بين الأوس والخزرج، ولكنّ الإسلام جعلهم موحدّين أنصاراً، وبمؤاخاتهم مع المهاجرين تحقّقت للإسلام أرضية جديدة، كان مقدّراً لها أن تغيّر تاريخ المدينة أولاً، وجزيرة العرب فيما بعد ثانياً»

رابط الإخوة رابط الاتحاد والقوة: إن من أعظم الوشائج التي تربط بين الأمة رابطة الإخوة في الله تعالى و لقد قال الله تعالى **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }** [الحجرات: ١٠]

وأصل النبي ﷺ لتلك الرابطة عن سالمٍ عن أبيه، أنّ النبي ﷺ - قال: "المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَنْ كان في حاجةٍ أخيه، فإنَّ الله في حاجتِهِ، ومَنْ فرَّجَ عن مسلمٍ كُرْبَةً، فرَّجَ الله عنه بها كُرْبَةً من كُرْبِ يومِ القيامة، ومَنْ سترَ مسلماً، سترَهُ الله يومَ القيامة" (١)

أيها المسلمون: العمل بهذا الحديث من أعظم الأسباب الموصلة للتآلف بين المسلمين وقلة الشحناء بينهم فالمؤمنون إخوة في النسب أبوهم آدم وأمهم حواء لا يتفاضلون إلا

١ - أخرجه مسلم (٢٥٨٠)، والترمذي (١٤٨٩)، والنسائي في "الكبرى" (٧٢٥١)

بالتقوى وأخوة في الدين قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠] عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ «رواه البخاري ومسلم

(١)

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ ﷺ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" «رواه البخاري ومسلم»^(٢)

عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد المؤاخاة بين الطرفين: المهاجرين والأنصار، فأخى بين كل مهاجري وأنصاري، مع أن الأنصار تبرعوا وأعطوا، لكن الأعداد زيادة على التبرعات، فحلت القضية بما يلي: كل أنصاري معه مهاجري، لا يوجد مهاجري ما عنده مكان ما عنده بيت ما عنده مال، إلا ويوجد أنصاري يقوم بالتأخي معه، وشملت المؤاخاة تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال: إنه لم يبقَ مهاجري إلا وقد أخى النبي ﷺ بينه وبين أنصاري.

وترتب على هذا التشريع حقوق خاصة بين المتأخيين كالمواساة، والمواساة، هي: تقديم جميع أوجه العون، سواء كان عوناً مادياً أو رعاية أو نصيحة أو تزاوراً أو محبة، وحتى التوارث، كان إذا مات الأنصاري يرثه المهاجري، وإذا مات المهاجري يرثه الأنصاري، يرثه بالتأخي، واستمر هذا فترة من الزمن حتى نسخ ذلك بقول الله -تعالى-: **وَأُولُوا**

الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ [الأنفال: ٧٥].

١- أخرجه البخاري ١/ ١٢٩. وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ١٩٩٩

٢- أخرجه مسلم - ٤/ ١٩٩٩، رقم ٦٦٦. وأخرجه البخاري - ٥/ ٢٢٣٨، رقم ٥٦٦٥

ففسخ التوارث بين المهاجرين والأنصار، وكان مشروعاً يرثه تماماً إذا مات، وكان مشروعاً يرثه تماماً، إذا مات يرثه.

قد ذكر ابن إسحاق في السيرة، عددا كبيرا ممن آخى رسول الله - ﷺ - بينهم، فقال: وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه، من المهاجرين والأنصار فقال - ﷺ -: " تأخوا في الله ؛ أخوين أخوين " - [الحديث: ذكره ابن إسحاق بلاغا، كما في (١)]

الترجمة التطبيقية للمؤاخاة: اتحاد وعطاء وبذل وسخاء:

تاريخنا من رسول الله مبدؤه وما سواه فلا عز ولا شان

محمد أنقذ الدنيا بدعوته ومن هداه لنا روح وريحان

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا قَطُّ أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَقَدْ صِرْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنِ إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ قَالَ لَا مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمْ لَهُمْ «(٢)».

إيثار الأنصار المهاجرين على أنفسهم:

وعن ابن عمر قال: لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم. رواه مسلم، (٣).

بين إيثار سعد بن الربيع وعفة عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما :

١ - "السيرة"، لابن كثير (٢/ ٣٢٤)، وعنه ابن هشام. وانظر: "جمع الجوامع"، للسيوطي (٤/ ٤٥٩)، والتعليق عليه] -

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ٣٦٠) (١٣٠٧٥) صحيح

٣ - ابن أبي الدنيا في الإخوان ج ١ / ص ٢٠٢ حديث رقم: ١٥٧

ويجسد لنا عبد الرحمن بن عوف هذه المؤاخاة التي لم ولن تعرف البشرية لها مثيلاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يجسد لنا عبد الرحمن هذه المؤاخاة تجسيداً بليغاً، والحديث في الصحيحين، يقول عبد الرحمن: [آخا رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال لي سعد - وكان من أكثر الأنصار مالاً: يا عبد الرحمن! أنا أكثر الأنصار مالاً، وسأقسم مالي بيني وبينك شطرين، وعندي امرأتان فانظر أعجبهما إليك لأطلقها، حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها]..

أسألكم بالله أن تتدبروا في هذا الكلام، فأرجو ألا يمر على أذاننا هكذا، العربي عنده غيرة، وشهامة، ورجولة! فلو قال: سأقسم مالي بيني وبينك شطرين لكان الأمر هيناً، لكن انظر إلى الثانية وما أعجبها وأجملها: [وعندي امرأتان فانظر أعجبهما إليك لأطلقها، حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها].

فقال عبد الرحمن بن عوف: [بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن أين السوق؟] فذله على سوق بني قينقاع فذهب عبد الرحمن فباع واشترى، ثم من الله عليه بالربح، فدخل على النبي ﷺ يوماً وعليه أثر صفرة، أي عليه أثر الطيب فقال له النبي: (مهيم) أي: ما لي أشم عليك رائحة الطيب يا عبد الرحمن؟ فقال: [تزوجت امرأة من الأنصار يا رسول الله! قال: (وما سقت لها) قال: سقت إليها مقدار نواة من ذهب] (١).

محل الشاهد ما قاله سعد بن الربيع وما قاله عبد الرحمن؟ فقد يثن الآن كثير من الإخوة ويقولون: رحم الله زمان سعد بن الربيع، أين من يعطي الآن عطاء سعد؟ وأنا أقول: وأين من يتعفف الآن عفة عبد الرحمن؟ لقد انطلق رجل إلى أحد السلف وقال له: أين من

١ - صحيح البخاري (٣/ ٥٢) (٢٠٤٨)

ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية، فقال له: ذهبوا مع من لا يسألون الناس إلحافاً..

الحب في الله أساس بنية المجتمع المدني:

إن المؤاخاة على الحب في الله أقوى الدعائم في بناء الأمة المسلمة، إذا ما وهنت وتآكل كل بنيانها ولذلك حرص النبي ﷺ على تعميق معاني الحب في الله، في المجتمع المسلم الجديد، فقد قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» (١).

كانت توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم تحث الصحابة على معاني الحب والتكافل، واحترام المسلمين بعضهم بعضاً، فلا يستعلي غني على فقير، ولا حاكم على محكوم، ولا قوي على ضعيف، وكان للحب أثره في المجتمع المدني الجديد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بيّراء، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران آية: ٩٢).

قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، إن الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي "بيّراء"، وإنها صدقة لله، أرجو برّها، وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: «ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت،

١ - أخرج مسلم في صحيحه رقم (٣٧/ ٢٥٦٦) وأحمد (٢/ ٢٣٧) والدارمي (٢/ ٣١٢)

وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعَل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه (١)، .

النصيحة بين المتآخين في الله:

إخوة الإسلام: كان للمؤاخاة أثر في المناصحة بين المسلمين، فقد آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: «صدق سلمان» (٢).

العقيدة أساس البناء:

حصر الإسلام الأخوة والمواالاة بين المؤمنين فقط، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات: ١٠)، وقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة: ٥١).. ولذلك كان التآخي بين المهاجرين والأنصار مسبقاً بعقيدة التوحيد وقائماً عليها، فالعقيدة هي العمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت في المدينة، لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصاف العبودية لله عز وجل

١ - أخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة على الأقارب

٢ - أخرجه البخاري (٣/ ٤٩)، (٨/ ٤٠)، والترمذي (٢٤١٣) وابن خزيمة [٢١٤٤]

دون الاعتبار لأي فارق، إلا فارق التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** (الحجرات: ١٣).. ومن ثم لم تكن هذه المؤاخاة شعاراً لا يظهر له أثر، بل كانت واقعا قائما على الإيمان بالله، قال الله تعالى: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الحشر: ٩)..

تعلم الصحابة ذلك وتربوا عليه، فكان ولاؤهم لله ورسوله والمؤمنين، وامتلاً تاريخهم بالمواقف الرائعة التي تدل على فهمهم وتحقيقهم لمعنى الولاء الذي منحوه لخالقهم ولدينهم وإخوانهم.

الحب في الله: المؤاخاة على الحب في الله من أقوى الدعائم في بناء الأمة الإسلامية، ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعميق هذا المعنى في المجتمع المسلم الجديد، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) رواه مسلم. (١).

فبالحب في الله أصبحت المؤاخاة عقدا نافذا لا لفظا فارغا، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا كلمة تنطق بها الألسنة، ومن ثم كانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تبرز في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثلة.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

١ - أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٣٧/ ٢٥٦٦) وأحمد (٢/ ٢٣٧) والدارمي (٢/ ٣١٢)

القضاء على الفوارق الجاهلية:

لقد كانت المؤاخاة من أعظم الأسس التي قضت على فوارق الجاهلية من التفاخر بالنسب والقبيلة والجاه وغير ذلك مما كان سائدا حينئذ في تلك المجتمعات، حيث سادت العصبية وكانت ديننا عندهم، فكان من أهداف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إذابة هذه الفوارق، لأنها أمراض وآفات تضعف المجتمع، وتحول بينه وبين القوة والتمكين، لأنه من الصعب بل من المستحيل أن تستأنف حياة إسلامية عزيزة قوية إذا لم يحدث التآخي بين أفراد المجتمعات والأمة الإسلامية، ومن ثم كانت المؤاخاة نعمة من نعم الله عز وجل، ومن أسباب القوة والعزة والثبات أمام الأعداء، قال الله تعالى:

{واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: ١٠٣) ..

لقد ساهمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في تقوية المجتمع المسلم الجديد في المدينة المنورة، وبتحقيقها ذابت العصبية وحظوظ النفس، فلا ولاء إلا لله ورسوله والمؤمنين، وأشاعت في المجتمع عواطف ومشاعر الحب، وملأته بأروع الأمثلة من الأخوة والعطاء، والتناصح والإيثار، وجعلته جسدا واحدا في السراء والضراء، والآلام والآمال، ومن هنا كانت حكمة النبي ﷺ في جعل أول عمل يقوم به حين مقدمه المدينة، - بعد بناء المسجد - تأسيسه للمجتمع على المؤاخاة، والتي كانت حلا لكثير من المشاكل، وأهلّت المسلمين ليكونوا أقوى أمة على الأرض.. فما أحوجنا إلى التحقق بهذه المؤاخاة للصمود في وجه الأعداء، ومواجهة التحديات التي تواجه أمتنا في هذه الأيام.

الإخوة اتحاد وقوة: معاشر الموحدين: نحن نتساءل بالليل والنهار "متى نصر الله"

والقلوب متخاصمة، والأرواح متنافرة، والجفاء والشقاق حقيقة حقيقية، لا نصر إلا بالحب، ولا تقدم إلا بجمع القلوب، إيمان بالله قوي، وأخوة ناصحة صادقة،

إن العصر الحاضر هو عصر التكتلات والتجمعات والأحلاف القوية، التي لا تعرف غير مصالحها وإن كانت على حساب الآخرين ومصالحهم بل ووجودهم، فهي تكتلات لا تعرف الرحمة، بل ولا العدل، ولذا لم يُعد في عصرنا الحاضر -مع الأسف- مكان للضعفاء أو المتفرقين الممزقين.

وعلى سبيل المثال فهي أوروبا الآن قد سعت بكل جهدها لتحقيق الوحدة الكاملة فيما بين بلدانها العديدة، فأقامت الأحلاف والتنظيمات والمعاهدات في كافة المجالات وشتى الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية... وغيرها، للوصول إلى تلك الوحدة والاندماج التام الذي يجعل منها كياناً واحداً، وزعماء أوروبا ماضون في هذا السبيل بكل جدٍّ، وفي كل يوم نراهم يتقدمون خطوة لترسيخ وحدتهم وحلفهم.

فلماذا يبقى المسلمون هائمين على وجوههم في أودية التيه، وخلف رايات التفرق، دون أن يلتئم شملهم برباط الدين وأخوة الإسلام، التي جعلهم الله عز وجل بها أمة واحدة، وجسداً واحداً إذا اشتكى بعضه اشتكى كله؟!!

ويقول لورانس براون: «إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهما يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير» [١].

١ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. - محمد البهي، ص ٥٢٥،

ويقول ألفريد كانتول سميث: «إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والتعليمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامي، بغرض إذلاله وتحقيره، وإشعاره بالضالة والخنوع، وإن الغرب وقف في صف الصهيونية ضد العرب والمسلمين، متأثراً بتلك العداوة القديمة بين المسيحية والإسلام»^[١].

اتحدوا و تأخوا تنصروا وإلا تكون النتيجة كما قال شاعر الأندلس:

ماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ وأنتم يا عباد الله إخوانُ
ألا نفوس أتيات لها همم أما على الخير أنصارُ وأعوانُ
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ
فجائع الدهر أنواع منوعةٌ وللزمان مسرات وأحزانُ
وللحوادث سُلونٌ يُسهلها وما لما حل للإسلام سلوانُ
يا زُبَّ أم وطفل حيل بينهما كما تفرقُ أرواح وأبدان
وظفلة مثل حُسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوتٌ ومرجان
يقودها العُجج للمكروه مكرهَةً والعين باكية والقلب حزانُ

إخوة الإسلام : من أعظم ثمرات المؤاخاة الاتحاد عند الأزمات وعند مواجهة العدوان
ولقد رأينا ذلك واضحا جليا في غزوة أحد حيث خرج المهاجرون والأنصار يدا واحدة
على عدوهم

^١ - من التبعية إلى الأصالة، أنور الجندي، ص ١٦

ورأينا ذلك في غزوة الأحزاب لما جاءت قريش وقبائل العرب وخان اليهود وخذل المنافقون رأينا اتحادا ذابت أمامه جحافل الطغيان وانهزمت أمامه جيوش أولياء الشيطان ولله در القائل:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعتري خطب ولا تتفرقوا أفراداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أحادا

الدعاء

في ظلال الهجرة النبوية تذكرة الأحباب بوجوب الأخذ بالأسباب

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي و يقيني

ولست أرى لي حجة أتبغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيم مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي

يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد: فكل عام أنتم بخير ما زلنا نقتبس من هجرة النبي - ﷺ - مصابيح الدجى لتنير لنا في حوالك هذه الحياة التي أظلمت لما غابت عنها شمس الهداية فتحيرت البشرية وتخلفت الأمة عن ركب الحضارة الإنسانية

لذا كان لزاما وأجل مسمى أن نقف مع {تذكرة الأحباب بوجوب الأخذ بالأسباب} فالله تعالى أوجد الأشياء وهيء لها أسبابها فمن أخذ بالأسباب مكنه الله تعالى قال الله تعالى {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا { [الكهف: ٨٤، ٨٥]

واعلموا عباد الله: أن سنن الله في الكون لا تحابي أحدا على حساب أحد وهذا من عدل الله جل جلاله

العنصر الأول: الأخذ بالأسباب سنة كونية وسنة شرعية

إن من أهم السنن الربانية التي ترتبط بعلاقة مباشرة مع سنن التمكين سنة الأخذ بالأسباب، ولذلك يجب على الأفراد والجماعات العاملة للتمكين لدين الله فهمها واستيعابها وإنزالها على أرض الواقع. جعل الله -تعالى- الكون بقدرته، وجعل أسباب ومسببات بعد إرادته -تعالى- هي سنن جارية في الكون.

فالله تعالى لا يحتاج إلى الأسباب لأنه مسببها وموجدها ومع ذلك عباد الله نرى أنه تعالى يرتب الأشياء على أسبابه في أفعاله تعالى و لنضرب على ذلك أمثلة: المثال الأول: الجبال لاستقرار الأرض، والماء والهواء سبب للحياة... وغير ذلك، قال الله -تعالى-: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) (ق: ٦-٨)،

المثال الثاني: جعل الرياح سببا من أسباب نزول المطر فقال جل ذكره- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ [سورة الأعراف الآية: ٥٧]

المثال الثالث: جعل الماء سر الحياة ومنبع الإحياء فقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠)،

: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف]
 ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة]

العنصر الثاني: القرآن يأمر برعاية الأسباب

إخوة الإسلام: والمتأمل في دستور الأمة الإسلامية ومنهج حياتها يرى أن الآيات تحثنا على الأخذ بالأسباب وبالحركة لا بالسكون:

المثال الأول: في مجال طلب الرزق قال الله تعالى يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] فهذا أمر بالمشي في مناكب الأرض.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠] فهذا هو شأن

المسلم: عمل وبيع قبل الصلاة، وسعي وانتشار في الأرض بعد الصلاة.

المثال الثاني في مجال الحياة والعسكرة يأمرنا بإعداد العدة:

قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)) (الأنفال: ٦٠) وقد قام معاوية رضي الله عنه بالعمل بهذه الآية وحث ولاته على العمل بها ويظهر أخذ معاوية رضي الله عنه بسنة الأخذ بالأسباب، في اهتمامه ببناء الأسطول البحري وتطويره، وتقوية الجيش، والقضاء على الفتن الداخلية، ودعم الثغور، وأماكن الرباط والتخطيط الاستراتيجي للدولة في سياستها الداخلية والخارجية، والتكتيك العسكري، في نظام المعسكرات ونظام الرباط والثغور، والصوائف والشواتي، وبناء الحصون، ونظام التعبئة، وتوطين القبائل، لنشر الإسلام وتثبيت الفتوحات والتصدي لحركات التمرد، فبعدما زال خطر الهجوم العسكري من الفرس قام بتوطين عشرات الألوف من الأسر العربية في الجناح الشرقي من الدولة خاصة خراسان وقد نجحت هذه السياسة وأتت ثمارها في هذا الجناح

العنصر الثالث: الأخذ بالأسباب في حياة أولي الألباب :

أحبتي في الله: الذي يتتبع سير الأنبياء والمرسلين ليرى أنهم ما عطلوا الأسباب وما ركنوا إلى التواكل بل نجدهم جميعاً رغم أن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الخارقات إلا أنهم سارعوا إلى الأخذ بالأسباب وهيا لنرى ذلك:

* نبي الله نوح عليه السلام- لما أخبره الله تعالى أنهم مغرقون قام بما ينجيه وقومه من الغرق

فها هو يصنع الفلك كما أمره الله تعالى: **(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)** (هود: ٣٧) لتكون أداة الإنقاذ له وللمن آمن معه إذا جاء الطوفان، وكان في قُدرة الله أن يحجز الماء عنه، وعمن معه، أو يحملهم فوق الماء بغير سفينة، ولكن الله أراد أن يُعلِّمنا أن قدرته تعمل من خلال الأسباب التي أوجدها أيضاً. قال تعالى عن نوح: **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾** (١٠) **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾** [القمر: ١٠-١٤].

* نبي الله يعقوب عليه السلام-

لما أخبره يوسف عليه السلام - أنه رأى تلك الرؤية امره أن يأخذ بأسباب الحطة والذر و
 ألا يخبر إخوته بها ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
 الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]

ويخشى عليهم من الحسد فيأمرهم أن يدخلوا متفرقين فيوصيهم قائلا: ﴿وَقَالَ يَا بُنَيَّ لَا
 تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
 الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وسواء أكان يخشى عليهم العين - كما قيل - أو يخشى أمراً آخر يتعلق بالسياسة، فقد
 أعطى الأسباب حقها، وترك النتائج لله تعالى، ولحكمة الكوني في الخلق، وما يكون
 التوكل حقاً: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).

* نبي الله يوسف - عليه السلام - :

أما عن نبي الله تعالى يوسف عليه السلام - فقد كان الأخذ بالأسباب سبباً من أسباب
 النجاة من مجاعة محققة ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
 تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ -
 ٤٩]

* كلیم الله موسى - عليه السلام -

وفي رحلة موسى - عليه السلام - رحلة العودة إلى مصر وفي ليلة مظلمة يبحث نبي الله
 عن أسباب الهدية والدلالة إلى الطريق فقال لأهله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
 سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]

* نبي الله داود عليه السلام -

فهو نبي مجاهد يحتاج في جهادة إلى التقنية وإلى التحديث في الأسلحة، لم يتوانى -
 عليه السلام - في الجد والعمل ليأخذ بالأسباب الحسية والمعنوية يحدثنا القرآن فيقول:
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اْعْمَلْ

سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ [سبأ: ١٠-١١] فعمله في صناعة الدروع السابغات، التي تحصن لابسها وتحفظهم من بأس العدو وضربات. ولم ير القرآن عمل داود هذا مناقضاً للتوكل على الله.

العنصر الرابع: الأخذ بالأسباب في هجرة النبي الاواب

أمة الإسلام: إن الناظر إلى هجرة الحبيب محمد- صلى الله عليه و سلم- ليرى أن الحبيب - ﷺ وإليك بعض تلك المشاهد:

* أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يبتاع راحلتين قبل الهجرة.

* وأنه ﷺ أخذ بعوامل السرية، حتى أنه لما جاء ليخبر أبا بكر بأمر الهجرة جاءه في ساعة منكراً متنكراً بردائه فقال: (يا أبا بكر! أخرج من عندك).

فقال: يا رسول الله! إنما هو ابتائي) فأخبره رسول الله ﷺ بأن الله قد أمره بأن يهاجر.

* ومن الأخذ بالأسباب: أن رسول الله ﷺ خرج من غير الطريق الذي اعتاده الناس من أجل أن يلبس على القوم، ويعمي عليهم الآثار.

* ومن الأخذ بالأسباب: أنه استأجر عبد الله بن أريقط - رجلاً من بني الديل - هادياً خريئاً خبيراً بالصحراء؛ من أجل أن يدلهم على الطريق.

* ومن الأخذ بالأسباب كذلك: ما صنعه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من إعداد الزاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه.

* ومن الأخذ بالأسباب: ما كان من أمر دخولهما في غار ثور ومكثهما فيه أياماً ثلاثة إلى أن خف الطلب، وأيس القوم من اللحاق بهما، وعند ذلك خرجا.

الخطبة الثانية

العنصر الخامس: الأخذ بالأسباب في حياة الأصحاب

أحباب رسول الله - ﷺ - إننا إذا نظر إلى من تخرج من مدرسة النبوة من الصحابة الأجلاء لرأينا أنهم لم يكونوا دراويش يجلسون في المساجد و ينتظرون أن تمطر السماء

عليهم لحما طيرا، كلا بل كانوا في قمة الإيمان و التوكل على الله و العلم بسنن الله تعالى الجارية لذا لم يهملوا الأخذ بالأسباب و إليكم امثله فريدة تدل على ذلك

* قصة في التوكل على الله والأخذ بالأسباب والاستغناء عن الناس

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حينما قدم المدينة مهاجرا: آخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه.

فعرض عليه سعد: أن يعطيه نصف ماله، وكان من أكثر الأنصار مالا.

وأن يطلق إحدى زوجتيه فيزوجهها لعبد الرحمن.

فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق فدلته. (١)

وما هي نتيجة هذا التوكل والاستغناء؟

نتيجته: لأنه استغنى وتوكل على الله واخذ بالأسباب أغناه الله وجعله من أكثر الصحابة مالا.

* وكما قال - صلى الله عليه وسلم - : « .. ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ». (٢)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي - ﷺ - لقي عبد الرحمن بن عوف وبه ضر من خلوق (نوع من الطيب) فقال له رسول الله - ﷺ - : « مهيم (ما شأنك) يا عبد الرحمن؟ ». قال: تزوجت امرأة من الأنصار قال: « كم أصدقتها؟ ». قال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي - ﷺ - : « أولم ولو بشاة ». (٣)

قال أنس: لقد رأيته قسم لكل امرأة من نسائه، بعد موته، مائة ألف دينار. (أخرجه البخاري

١ - « وأخرجه البخاري في الشهادات: باب "٦" تعديل كم يجوز "فتح" ٥ / ٢٥٢، ومسلم "ص ٦٥٥"، وابن ماجه رقم "١٤٩١" »

٢ - « أخرجه البخاري (١٤٦٩) في الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم (١٠٥٣) في الزكاة: باب فضل التعفف والصبر، وأبو داود (١٦٤٤) »

٣ - « أخرجه عبد بن حميد (١٣٨٠)، والبخاري (٨٢١)، ومسلم (٤٧٢)، وأبو يعلى (٣٣٦٣)، وابن خزيمة (٦٠٩) و (٦٨٢)، »

وعمر بن الخطاب يقول بعد سماع حديث الاستئذان ثلاثاً من أبي موسى الأشعري، وشهادة أبي سعيد الخدري بتأكيده: ألّهاني عنه الصفق بالأسواق. وأبو بكر، حينما بويع بالخلافة، أراد يذهب إلى السوق -على عادته- يقتات لأهله، ويتجر ليكسب لهم ما يكفيهم. وهذا -كما يقول أبو طالب المكي- في أتم أحواله، حين أُهِّل للخلافة وأقيم مقامه النبوة، حتى اجتمع المسلمون، فكرهوا له ذلك، فقال: لا تشغلوني عن عيالي، فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع، حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين، لا وكس ولا شطط.

* عمر بن الخطاب والمتأكلون

قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن، فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتأكلون إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله وقد قال النبي - ﷺ -: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم (١)

ومن المشهور عنه: أنه رأى جماعة يقعدون في المسجد بعد صلاة الجمعة، فأنكر عليهم، وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة! إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض. أما قرأتهم قول الله تعالى: (فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)؟ (الجمعة: ١٠)

١ - «أخرجه أحمد (٢/٣٦٦، رقم ٨٧٧٧)، ومسلم (٤/٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤)، وابن ماجه (٢/١٣٩٥، رقم ٤١٦٨).»

العشر الأخلاقية من هجرة خير البرية صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد في أزليته بعز كبريائه، وتوحد في صمديته بدوام بقاءه، ونور بمعرفته قلوب أوليائه، وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه، وأسبغ على الكافة جزيل عطائه، وأمن خوف الخائفين بحسن رجائه، الحي العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في أرضه ولا سمائه، القدير لا شريك له في تدبيره وإنشائه

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه خاتم أنبيائه، وسيد أصفياه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، فجمع الأنبياء تحت لوائه

بشراكمو يا أمة المختار في يوم القيامة جنة وحريرا

فضلتموا حقا بأشرف مرسل خير البرية باديا وحضورا

صلى عليه الله ربى دائما ما دامت الدنيا وزاد كثيرا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: فحياكم الله أيها الأخوة الأفاضل وطبتم وطاب ممشاكم وتبواتم جميعاً من الجنة منزلاً، وأسأل الله الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعني مع حضراتكم في هذا

البيت الطيب المبارك على طاعته ، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار مقامته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

عباد الله : إن الهجرة النبوية المشرفة دستور يستضاء به في كل زمان و مكان ، لم تكن حدثاً كأي حدث ، وإنما كانت حدثاً غير مجرى البشرية ، و أرسى معالم إيمانية ، و تربوية ، و أخلاقية لسائر البشرية ، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها..... و نقف اليوم مع الأخلاق العشر المستفادة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

📌 أولاً-الصبر على الأذى:

إخوة الإسلام إن من الأخلاق التي نحن بحاجة إليها الصبر في طريق الدعوة إلى الله تعالى فقد أودى النبي ﷺ أشد الإيذاء من مشركي مكة و من أقرب الناس إليه فما وهن و ما استكان بل صبر على ذلك الأذى و الابتلاء

كانت السمة المميزة لجميع الصحابة: الصبر على الأذى و تحمل الاضطهاد في سبيل الله ، و رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر المسلمين أن يردوا عن أنفسهم ذلك الأمر؛ للأمر الصريح من الله عز و جل: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ١٠٦]، و كان المشركون يعذبون و يشردون و يذبحون و المسلمون صابرون، بل أمروا ألا يردوا إيذاء، و لا يحملوا سلاحاً، و لا يرفعوا ضيمًا، و لا يكسروا صنمًا، و لا يسبوا مشركًا، {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨]، قتل ياسر و قتلت سمية و الرسول صلى الله عليه وسلم يمر من أمامهم و هم يقتلون فيكتفي بقوله: (صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة)، و لم يمسك بيد أبي جهل و لم يجمع الصحابة ليقوموا بثورة أبداً.

📌 ثانياً: الثقة بالله تعالى و بوعدة:

فقد كان النبي على يقين بأن الله سينصره لا محالة، فخرج للهجرة لا يهاب أحداً و لا يخشى ضرراً، حتى وصل المدينة منتصراً على غرور الكفار و مكرهم..... و في قصة

نجاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حادثة الهجرة من مطاردة كفار قريش له ما يؤدي نفس المعنى. فسررد لنا القرآن الكريم القصتين لتتعلّم منها دروساً عملية للثقة بالله والتوكّل عليه.

فهذا نبينا الكريم يحيط به المشركون من كل جانب وهو مع صاحبه في كهف صغير فيدرك الحزن صاحبه أبا بكر رضي الله عنه خوفاً على نبي الله، ويروي لنا القرآن القصة 'إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ'

وقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هنا شبيهة بقصة موسى عليه السلام التي وردت في قوله تعالى '﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ ﴿ [الشعراء: ٦١-٦٦]

📌 ثالثاً- التضحية الفداء في سبيل تبليغ الدعوة:

عباد الله : وقد ظهرت تضحية أصحاب النبي - ﷺ - واضحة جلية في مواقفهم وفي انشراح صدورهم لتك التضحيات فيها لنرى كيف كانت تضحياتهم:

أولاً: التضحية بالنفس:

تأملوا عباد الله في تضحية على - رضي الله عنه - في ليلة الهجرة وكيف بذل نفسه فداء لنبيه ولدينه وهو يعرف خطورة الإقدام على المبيت في فراش - سيد البشر - ﷺ - لقد استل المشركون سيافهم بعدما قرروا أن ينقضوا على الرسول - ﷺ - ليضربوه ضربة رجل واحد لقد كان علي - رضي الله عنه - يعي ذلك جيداً قال ابن اسحق: فأتى جبريل عليه السلام، رسول الله ﷺ ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه

حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي رضي الله عنه - «نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِرُذِي هَذَا الْحَضْرَمِي الْأَخْضَرِ، فَنَمَ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ» (١).

ثانيا: التّضحية بالزوجة والولد:

فولد الرجل وزوجته أغلى ما يملك في هذه الحياة ومن أجلها يقدم المرء على المهالك وإن كان فيها حتفه، وعلى الرغم من ذلك من أجل بناء صرح وتأسيس المدينة الفاضلة يهون كل شيء

قال ابن هشام: «فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ، هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ بَيْعَةِ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ بِسَنَةٍ، وَكَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَكَّةَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا آذَنَهُ قُرَيْشٌ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا» (٢).

ولترك لأم سلمة رضي الله عنها، المتخصصة في رواية أحاديث الهجرة، تقص علينا وقائع هذه الملحمة الخالدة، قالت:

«عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بِعِيرِهِ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِيَ ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بِعِيرِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ تَتْرُكُكِ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَتَزَعُّوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهَطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا تَتْرُكُ ابْنَتَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

١- «سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد» (٢/ ٩١)

٢- «سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد» (٢/ ٨٠)

قَالَتْ: فَتَجَادَبُوا بَنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ، فَرَقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بِعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبْلُغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي: إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي، فَوَاللَّهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِيَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيْدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى، عَنِّي إِلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَّاحُ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكَبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ (١)

رابعاً - أداء الأمانة:

١ - «سيرة ابن هشام ت السقا» (١/ ٤٦٩ - ٤٧٠):

من الأخلاق السامية التي نستلهمها من الهجرة النبوية أداء الامانات الى أهلها رغم انهم كانوا من اشدا الناس أذية له ولأصحابه ولم لا وهو القائل: ((أدّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك))، فترك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في فراشه، وهو أمر عجيب، هؤلاء الناس استباحوا دمه، وأرادوا قتله، بل أدموه وأذوه وطرده، لكنه لم يشأ قتلهم، ولم يستبح أموالهم، ولو كلفه ذلك بالمخاطرة بآب من عمه، وصدق الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

❖ خامسا الإخلاص:

إخوة الإسلام: و من أروع صور الإخلاص إخلاص أبي بكر الصديق رضي الله عنه في محبته لله و لرسوله ﷺ ليلة الهجرة و في طريقهما إلى المدينة من الذي له الشأن الأعلى والقدح المعلى في هجرة رسول الله إلا أبا بكر، يعرض الرسول ﷺ الهجرة فيبكي فرحاً، يا لله أيبكى لأنه سيسير في موكب مهيب؟! لا وربى، بل موكب مطارد مهدر دمه، ولكنها الصحبة والمحبّة، يدخل الغار قبله ويمشي عن يمينه وشماله، فداءً وتضحية، وإقداماً بلا إحجام، فاللهم ارض عنه وجاهزه عن الإسلام خير الجزاء، واحشرنا معه، وأقر أعيننا برؤياه في جنات النعيم.

❖ سادسا: اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين:

و من الأخلاق التي نستلهمها من هجرة النبي ﷺ اليقين أن الله تعالى ناصر دينه و معلمي كلمته و يظهر ذلك من موقف رسول الله ﷺ من سراقه و هو يتبعه ثم يري الله تعالى الآيات و المعجزات على صدق سيد الكائنات ﷺ فيسلم و يعده النبي بوعد عجيب غريب في ذلك الموقف الرهيب انه يعه سواري كسر عن أبي موسى عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال لسراقه بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟» قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقه بن مالك فألبسه إياها،

وفي وعد الرسول ﷺ لسراقة بسواري كسرى معجزة أخرى، فالإنسان الذي يبدو هاربا من وجه قومه لا يؤمل في فتح الفرس والاستيلاء على كنوز كسرى، إلا أن يكون نبيا مرسلًا، ولقد تحقق وعد الرسول ﷺ له، وطالب كسرى عمر بن الخطاب بإنفاذ وعد الرسول ﷺ له حين رأى سواري كسرى في الغنائم، فألبسهما عمر سراقة على ملاء من الصحابة، وقال: «الحمد لله الذي سلب كسرى سواريه وألبسهما سراقة بن جعشم

📌 - سابعاً: خلق التفاؤل:

وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التفاؤل حتى في أصعب الأمور أخطرهما قال إِيَّاسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ مَرُّوا بِإِبِلٍ لَنَا بِالْجُحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ. فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مَسْعُودٌ.

فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال.

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

ولم تر لانكشاف الضر وجهها ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها الفرج القريب

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

الخطب الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

📌 ثامناً - التوكل على الله :

عباد الله: إن من الأخلاق التي علمتنا إياه هجرة النبي ﷺ التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب فيها هو إمام المتوكلين يعلمنا كيف التوكل لا التواكل ولقد كان صلى الله عليه وسلم في رحلة الهجرة الشريفة متوكلاً على ربه واثقاً بنصره يعلم أن الله كافيه وحسبه، ومع هذا كله لم يكن ﷺ بالمتهاون المتواكل الذي يأتي الأمور على غير وجهها. بل إنه أعد خطة محكمة ثم قام بتنفيذها بكل سرية وإتقان. فالقائد: محمد، والمساعد: أبو بكر، والفدائي: علي، والتموين: أسماء، والاستخبارات: عبد الله، والتغطية وتعمية العدو: عامر، ودليل الرحلة: عبد الله بن أريقط، والمكان المؤقت: غار ثور، وموعد الانطلاق: بعد ثلاثة أيام، وخط السير: الطريق الساحلي. وهذا كله شاهد على عبقريته وحكمته ﷺ، وفيه دعوة للأمة إلى أن تحذو حذوه في حسن التخطيط والتدبير وإتقان العمل واتخاذ أفضل الأسباب مع الاعتماد على الله مسبب الأسباب أولاً وأخيراً. (١)

٤- تاسعا: الثبات:

إخوة الإيمان: يتجلى خلق الثبات في هجرة النبي ﷺ عند خروجه من بين جحافل المتربصين به فقد وقفوا على الباب شهروا السيوف ينظرون اللحظة الفارقة التي يقضون فيها على الدعوة والداعية.....

لقد نزل الوحي إلى رسول الله ﷺ يطمئنه، ويأمره بالخروج وسط المشركين دون خوف ولا وجل، فسوف يأخذ الله عز وجل بأبصارهم، وخرج الرسول ﷺ في هذه الليلة المباركة وهو يقرأ صدر سورة يس، من أولها إلى قوله عز وجل: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩].

١ - رابط المادة: <http://isyro.com>

وإمعاناً في السخرية من المشركين، أخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب، ووضع جزءاً منها على رأس كل مشرك يحاصر بيته، وهم لا يشعرون، ثم انطلق إلى بيت الصديق رضي الله عنه لاستكمال تنفيذ الخطة، فهي بحمد الله إلى الآن تسير على ما يرام. كان من الممكن أن يخرج الرسول ﷺ من البيت قبل قدوم المشركين، لكن الله عز وجل أراد ذلك لإثبات أن الأمر كله بيد الله عز وجل، وأنه دون توفيق الله عز وجل لا يتم أمر من الأمور، وأيضاً ظهرت المعجزة الظاهرة في نصرة رسول الله ﷺ.

و لكن يخرج النبي في ثبات تزلزله الجبال و ترهبه حجم الباطل و هو يقرأ آيات من القرآن الكريم {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩].

ثبات النبي ﷺ حين تقترب الأقدام من ثور قال أبو بكر: والله يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موقع قدمه لأبصرنا.

فأجابه النبي ﷺ مطمئناً له: {ما ظنك باثنين الله ثالثهما}. فهذا مثل الثبات،

❖ - عاشرًا: الإيثار:

أحبتني في الله: ويتجلى ذلك الخلق الكريم في هجرة النبي ﷺ حين قدم النبي ﷺ فقد استقبله الأنصار وفتحوا له الديار واثروه هو وأصحابه على أنفسهم فقد كانت الأخوة بين المهاجرين والأنصار بلغت ذروتها، وتميزت بالإيثار والتعفف، كان الأنصاري يخير أخاه من المهاجرين أن يأخذ من أمواله ما يشاء، وكان المهاجري يتعفف أن يطلب بهلع وجشع! وصف القرآن الكريم خليقة المهاجرين بقوله: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) وقال في حق الأنصار: (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ).

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في

قليل، ولا أبذل في كثير منهم، لقد أشركونا في المهنة^(١) وكفونا المؤنة، ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كلّه. فقال رسول الله ﷺ: كَلَّا ما دعوتهم الله لهم وأثنتم به عليهم ((٢)).

- وهذا عبد الرحمن بن عوف ((لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ لَهُ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دَلُّونِي عَلَى السُّوقِ...)). (٣)
الدعاء

^١ -المهنة: ما أتاكَ بلا مشقة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/ ١٨٤).

^٢ -رواه الضياء في ((المختارة)) (٥/ ٢٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه سننه البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٣٢٥/ ٧).

^٣ - رواه البخاري (٢٠٤٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

هجرة القلوب إلى علام الغيوب

الخطبة الأولى

الحمد لله مقدر الأيام والشهور، ومصرف الأعوام والدهور، أحمدته سبحانه وأشكره على سوابغ نعمه التي تقرّ بالشكر فلا تبور، وأستمنحه جل في عليائه التوفيق في كل الأمور، فهو سبحانه المؤمل لكشف كل كرب وجبر كل مكسور،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الشكور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، بعثه الله بالهدى والنور، فأشرقت شمس الحق في كل الربوع والدور، وزكت النفوس العليلة فغدت في سعادة وسرور، ورضوان وحبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ليوث الوغى والقدر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

نعيش معكم لنستلهم من وحي الهجرة المباركة الدروس والعبر ولنسقط أحداثها على واقع الأمة الأليم لعلنا نعود إلى جادة الطريق

فالهجرة لم تكن حدثاً عادياً بل كانت ملحمة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والطغيان

الهجرة كانت وما زالت سراجاً يضيء للأمة لتتكشف به الغمة

الهجرة كانت معونة وتأيداً من الله تعالى لنبيه - ﷺ -

الهجرة كانت نصراً وانتصاراً وفتحاً مبيناً لإقامة المدينة الفاضلة، مدينة الإيمان، مدينة الأمن، مدينة الرحمة، مدينة الأخلاق.

وحديثنا في هذا اللقاء عن { هجرة القلوب إلى علام الغيوب }

فما هي الهجرة؟ وما هي أنواعها؟

وكيف تهاجر القلوب إلى علام الغيوب؟

وكيف نهجر المعاصي والذنوب؟

وكيف نهجر المعاصي والذنوب؟

إخوة الإيمان:

حملتُ جبالَ الحبِّ فيك وإنني لأعجزُ عن حملِ القميصِ وأضعفُ

وما الحبُّ من حُسْنٍ ولا من سماحةٍ ولكنه شيءٌ به الروحُ تكلفُ

العنصر الأول: تعريف الهجرة

فالهجرة تعني لغة ترك شيء إلى آخر، أو الانتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى بلد،

يقول تعالى: { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } [المدثر: ٥]، وقال أيضًا: { وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا }

[المزمل: ١٠].

وتعني بمعناها الاصطلاحي الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وهذه هي الهجرة

المادية.

أما الهجرة الشعورية فتعني الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى،

بحيث تعتبر المرحلة الثانية أفضل من الأولى كالانتقال من حالة التفرقة إلى حالة الوحدة،

أو تعتبر مكملة لها كالانتقال بالدعوة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة.

العنصر الثاني: أنواع الهجرة:

إخوة الإسلام يمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين اثنين:

١- **الهجرة المعنوية:** وهي الهجرة من الكفر إلى الإسلام ومن البدعة إلى السنة ومن المعصية إلى الطاعة، وهذا هو مقتضى الهجرة إلى الله ورسوله، لأن الهجرة إلى الله تعالى تكون بالإيمان به وتوحيده وإفراده بالعبادة خوفاً ورجاءً وحباً، وأن يجتنب الشرك صغيره وكبيره، وأن يجتنب المعاصي والكبائر، وأن يكثّر من الاستغفار والتوبة لتجديد الهجرة كلما وقع فيما يضعف مسيرتها، ولذلك كان مفتاح النجاة هو التوحيد والاستغفار.

والهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون باتباع سنته وتحكيمها والتحاكم إليها وتقديمها على جميع الأهواء والآراء والأذواق، ونبد البدع والمحدثات التي ليس عليها أمر الإسلام.

٢- الهجرة الحسية: ومن ذلك:

أ- الهجرة إلى النبي ﷺ في المدينة، وهذه أشرف الهجرات وأفضلها على الإطلاق.

ب- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وهذه يختلف حكمها باختلاف الظروف والأوضاع وسيأتي بيان ذلك.

ج- هجرة أهل الذنوب والمعاصي وهجرة أهل الأهواء والبدع بمفارقتهم ومقاطعتهم ومباعدتهم زجراً لهم أو حمية منهم أو لهما معاً.

د- الهجرة إلى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن فعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر

إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير) (١)

العنصر الثالث: هجرة القلوب إلى علام الغيوب

١- هجرة من الشك إلى اليقين:

ما أحوجنا في هذه الفترة العصبية إلى أن نهجر إلى الله تعالى من الشك إلى اليقين، فالذي ينظر إلى أحوال كثير من شبابنا ليرى علامات الحيرة على وجوههم حيث يرون أن الباطل قد انتفش والحق قد انقشع يرون للباطل جولة ولا تباعه صولة يرون المسلمين في ربوع الأرض مستضعفين يختطفهم الناس من حولهم فيتطرق الشك إلى القلوب ويوسوس الشيطان لهم بما تنفطر له السماوات وتنشق من هوله الأرض وتخر الجبال من عظمه هذا فبعضهم يقولون السنا على الحق؟

أليسوا هم على الباطل؟

أليس الله هو الملك العدل فاين العدل مما يكال للامة الإسلامية

١ - «إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، ثم إنه معلول كما سيأتي. معمر: هو ابن راشد، وقتادة: هو ابن دَعَامَة السَّدُوسِي. نَوْفُ الوارد ذكره في الحديث: هو الْبِكَالِي.

وهو عند عبد الرزاق في "المصنف" (٢٠٧٩٠)، ومن طريقه أخرجه الحاكم ٤ / ٤٨٦، والبغوي (٤٠٠٨)، وسكت عنه الحاكم هو والذهبي.

وأخرجه بقسميه الطيالسي (٢٢٩٣)، ومن طريقه أبو نعيم في "الحلية" ٦ / ٥٣، ٥٤، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، به. ومن طريق الطيالسي، سيرد برقم (٦٩٥٢).

وأخرج القسم الأول منه مختصراً أبو داود (٢٤٨٢) من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه هشام، عن قتادة، به. وأخرجه الطبري في تفسير قوله تعالى: {وقال إني مهاجرٌ إلى ربِّي} «

الجواب: هيا بنا نهاجر إلى ارض اليقين وإلى أرض الثقة بالله تعالى

يقول الله جل في علاه { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ } [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦]

ويعد سبحانه -ووعده الحق { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى

لَهُمْ وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥]

والله لقد جاء صحابي متحمس كتحمس شبابنا الأَطْهَارُ إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم في مكة يوماً ليقول له: كما في حديث عن خباب بن الارت قال شكونا إلى رسول

الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان

من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمشار فيوضع على

رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه

والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله

والذئب على غنمه لكنكم تستعجلون. أخرجه البخاري ومسلم^(١)

أيها الشباب! اصبروا، والله ذلكم وعد الله، ووعد من لا ينطق عن الهوى عن تميم

الداري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا

١ - «البخاري (١٢) / ٣٣٠ رقم ٦٩٤٣»

يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاء يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل الله به الكفر. (١)

وكان تميم الداري ، يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية". (٢)

قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } (٢١٤) سورة البقرة

يقول ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ } قبل أن تُبْتَلُوا وتختبروا وتمتحنوا، كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم؛ ولهذا قال: { وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ } وهي: الأمراض؛ والأسقام، والآلام، والمصائب والنوائب.

قال ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ومُرة الهمداني، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع، والسدي، ومقاتل بن حيان: { الْبَأْسَاءُ } الفقر. قال ابن عباس: { وَالضَّرَاءُ } السقم.

{ وَزُلْزِلُوا } خَوْفًا مِنَ الْأَعْدَاءِ زَلْزَالًا شَدِيدًا، وامتحنوا امتحانًا عظيمًا،

١ - «مسند أحمد» (٣٩ / ٢٣٦ ط الرسالة) «وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٢ / ١٥١، وابن حبان (٦٦٩٩) و (٦٧٠١)،

والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (٦٠١)، وفي "الشاميين" (٥٧٢)، وابن منده في "الإيمان" (١٠٨٤)»

٢ - «المسند ٤ / ١٠٣. قال الهيثمي ٦ / ١٧: رجال أحمد رجال الصحيح. ورواه الحاكم ٤ / ٤٣٠»

ابشروا وأملوا فالنصر قريب: قال عدي بن حاتم: "بينما أنا عند رسول الله إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبت عنها.

فقال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله... ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى.

قلت: كسرى بن هرمز؟

قال: كسرى بن هرمز، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز "أخرجه أحمد (١)

٢- الهجرة من حب الدنيا إلى حب الآخرة:

روى الإمام أحمد عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ - : «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهاجرة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن» قالوا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»

وهذا ما صار إليه حالنا، فان حياتنا باسم الدنيا وللدنيا ومن اجل الدنيا،

وهذا هو السر في منع نصره الله لأمة الإسلام، ويوم تكون حياتنا باسم الله

ولله وفي الله سيأتي نصر الله وما ذلك على الله بعزيز.

١- «أخرجه البخاري في الصحيح ٣/ ٢٨١، كتاب الزكاة (٢٤)، باب الصدقة قبل الرد (٩)، الحديث (١٤١٣)، وفي ٦/ ٦١٠، كتاب المناقب (٦١)، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥)، الحديث (٣٥٩٥)، والحيرة كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس، والظعينة: المرأة في اليهودج وهو في الأصل اسم لليهودج (الحافظ ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٦١٣).

ها هو الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه لما فتح المسلمون جزر البحر المتوسط جلس يبكي، فقالوا له: أتبكي يوم النصر يا أبا الدرداء؟ فقال نعم أبكي على حال هؤلاء-الكفار-عصوا الله فمكننا الله من رقابهم فانتصرنا عليهم وأخشى أن يأتي اليوم الذي نعصي فيه الله فيمكنهم الله من رقابنا فينتصروا علينا. كان هرم بن حيان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها، وكان يقول: أخرجوا من قلوبكم حب الدنيا وأدخلوا قلوبكم حب الآخرة. قال محمد بن الحنفية: إنَّ الله تعالى جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها. قال الحسن من أحب الدنيا وسرته خرج حب الآخرة من قلبه وقال عون بن عبد الله: من أحب الدنيا وسرته، خرج حب الآخرة من قلبه.

نأسى على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق
فالموت آت والنفوس نفائس والمستغر بما لديه الأحق

هجرة الصحابة والتابعين من حب الدنيا إلى حب الآخرة:

روى البخاري ومسلم عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال: "هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فمننا من مات لم يأكل من أجره -يعني في الدنيا- شيئاً، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، قتل يوم أحد، وترك نمره، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فأمرنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن نغطي رأسه ، ونجعل على رجليه شيئاً من الأذخر، ومنا من أينعت له نمرة
فهو يهذبها" (١)

والنمرة كساء ملون من الصوف - يهذبها : يقطفها .

هكذا استطاع هؤلاء الرجال حين تخففوا من حب الدنيا وكراهية الموت ، وصدقوا في طلب الآخرة ، أن يتقدموا في ميادين الشهادة ، باسمه شفاههم مرفوعة رؤوسهم خفاقة بالشوق إلى لقاء الله قلوبهم ، يجدون عند أرض المعركة ريح الجنة التي وعد المتقون ، ويتنسمون عبير الحياة التي كتبت للشهداء وهم أحياء عند ربهم يرزقون .

رسالة زلزلت عروش الجبابرة:

وها هو عمير بن الحمام يضرب لنا أروع الأمثلة في ذلك عندما دنا المشركون من المسلمين في غزوة بدر قال - ﷺ - : " روى مسلم بسنده من طريق أبي هريرة أن النبي قال لأصحابه عندما دنا منهم مشركي قريش: " قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض " فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال " نعم " ، قال: بخ بخ، فقال رسول الله - ﷺ - : " ما يحملك على قولك بخ بخ " قال: لا والله يا رسول الله إلى رجاء أن أكون من أهلها قال: " فإنك من أهلها " فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل " رواه مسلم (٢)

١ - « أخرجه البخاري في الجنائز: باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غطى رأسه: ٣/ ١٤٢ ، وأخرج أطرافه من مناقب الأنصار: باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة: ٧/ ٢٢٦ ، ٢٥٣ ، وفي المغازي: باب غزوة أحد: ٧/ ٣٥٤ ، وباب من قتل من المسلمين يوم أحد: ٧/ ٣٧٥ »

٢ - « أخرجه أحمد (٣/ ١٣٦ ، رقم ١٢٤٢١) ، ومسلم (٣/ ١٥٠٩ ، رقم ١٩٠١) . »

قال أبو بكر - رضي الله عنه - خالد بن الوليد ، غداة مسيره لمحاربة المرتدين : (احرص على الموت توهب لك الحياة) ، (١) فكانت حياة خالد وجنده من الصحابة الكرام ترجمة عملية لهذه الوصية ، مما جعله يقول لهرقل ، قبيل معركة اليرموك فعن عامر الشعبي قال : كتب خالد بن الوليد زمن الحيرة إلى مرازمة فارس :

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، الحمد لله الذي فض خدمتكم و فرق جمعكم وخالف بين كلمتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فاعتقدوا مني الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية ، فإن لم تفعلوا أتيتكم بقوم يحبون الموت حبكم الحياة . (قال أبو معاوية البيروتي : إسناده صحيح (٢))

٣- هجرة القلوب من الرياء إلى الإخلاص

فكم من مصلي يصلي ليقال عنه مصلي !

وكم من الحاج يحج ليقال عنه حاج !

وكم من متصدق يتصدق ليقال عنه جواد !

وكم من قارئ للقرآن يقرأ ليقال عنه قارئ !

وكل هذا من الرياء الذي يرده رب الأرض والسماء !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: أنا خير الشركاء من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك.

١ - «المجالسة وجواهر العلم» (٣ / ٦١)

٢ - «مصنف ابن أبي شيبة» (١٩ / ١١ ت الشري) : «منقطع، الشعبي لم يرو عن خالد.»

هاجر بقلبك إلى ارض الإخلاص، فالإخلاص مسك والرياء جيفة
قال الجنيد: الإخلاص سرٌّ بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه ملكٌ فيكتبه، ولا شيطان
يفسده، ولا هوى فيميله.

ولتصحح اتجاهات القلب، وضمان تجرده من الأهواء الصغيرة، عن أمير المؤمنين أبي
حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما الأعمال
بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله
ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه رواه
البخاري ومسلم^(١).

قال شهر بن حوشب: «جاء رجل إلى عبادة بن الصّامت، فقال: أنبئني عمّا أسأل عنه،
أرأيت رجلاً يصلّي يتغي وجهه الله ويحب أن يحمد؟». فقال عبادة: «ليس له شيء، إنّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك
فهو له كلّ لا حاجة لي فيه»^(٢).

٤- هجرة القلوب من الحقد والحسد إلى الحب والألفة

ما أحوجنا عباد الله أن نهاجر من تلك المهلكة المضلة التي هي داء الأمم من قبلنا
تري لماذا يهجر الأخ أخاه؟

تري لماذا العداوة والشحناء بين الأصحاب والأصدقاء والجيران؟

^١ - «رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي (١/ ٥٨ - ٦٠)، وابن ماجه (٤٢٢٧)».

^٢ - «مصنف ابن أبي شيبة» (١٩ / ٤٢٧ ت الشري): «منقطع، شهر لا يروي عن عبادة، وأخرجه ابن جرير ١٦ / ٤٠، وابن أبي حاتم في العلل ٢ / ١٢٠، وهناد (٨٥١)».

ترى لماذا تدابرنا وتقاطعنا وتقاتلنا؟

الجواب أننا مازلنا في تلك الأرض المهلكة المفسدة

هيا لنهاجر إلى أرض الحب والألفة والأخوة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء، يغطهم الأنبياء والشهداء». قيل: من هم لعنا نحبه؟ قال: «هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}». أخرجه ابن حبان^(١)

عن ابن الفضيل قال: أتيت أبا إسحق السبيعي بعدما كف بصره قال: قلت تعرفني؟ قال: فضيل؟ قلت: نعم، قال: إني والله أحبك لولا الحياء منك لقبلك فضمني إلى صدره ثم قال: حدثني الأحوص عن عبد الله {لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم} [الأنفال: ٦٣] نزلت في المتحابين. (٢)

عن علي بن المديني يقول: غبت عن البصرة في مخرجي إلى اليمن - أظنه ثلاث سنين - وأمي حية. فلما قدمت قالت: يا بني فلان لك صديق، وفلان لك عدو. قلت: نعم أين علمت يا أمه؟ قالت: كان فلان وفلان، فذكرت منهم يحيى بن سعيد يجيئون مسلمين، فيُعزوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك، سرك الله بما ترين. فعلمت أن هؤلاء أصدقاء. وفلان إذا جاؤوا، يقولون لي: اكتبني إليه، وضيقني عليه ليقدم. (٣)

١ - «ابن حبان (٥٧٢)، تعليق الألباني "صحيح"، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح".»

٢ - «رواه ابن أبي الدنيا في "الإخوان" (رقم ١٤) والحاكم في "المستدرک" (٢/ ٣٢٩).

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ١٠٠) ونسبه لابن المبارك وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في "الأخوان" والنسائي والبخاري وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه والمؤلف.

٣ - «المعرفة والتاريخ - ت العمري - ط العراق» (٢/ ١٣٦)

حملتُ جبالَ الحُبِّ فيك وإنني لأَعْجزُ عن حَمْلِ القميصِ وأضعفُ

وما الحُبُّ من حُسْنٍ ولا من سماحةٍ ولكنه شيءٌ به الرُّوحُ تكفُّ

العنصر الرابع: الهجرة إلى رسول الله - ﷺ -

الهجرة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحُب: أن نحب رسولنا - ﷺ - اشد

من انفسنا و أبنائنا و أموالنا قال الله تعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا
أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٢٤]

فكم نرى من يقدم هواه على سنة نبيه - ﷺ -

وكم نرى من يطعنون في هدية وسيرته

وكم شاهدنا من يسب النبي - ﷺ - ولا نتحرك ولا نغضب

أما آن لنا أن نهاجر إلى هديه ومحبه - ﷺ - ؟

تكون الجرة إلى الحبيب - ﷺ - بمحبته

إنَّ محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي دليل الإيمان الصادق مصداقا لقوله صلى

الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين »

وليس هذا الحب مجرد عاطفة جوفاء، وإنما هو حب حقيقي نابع من القلب ومن العقل

معا ودليل صدق تلك المحبة هو اتباع المصطفى ﷺ في كل ما أمر به، أو نهى عنه،

فالمحب مطيع دائما لمن يحبه ولذلك قيل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

وقال آخر:

ولو لم يكن في القلب حبُّ محمدٍ لعمت بك البلوى ودام الضلالُ

نبي الهدى قد أوجب الله صدقه به الفرضُ فرضٌ والمحال محالُ

وقد منح المولى الكريم لذاته جمالاً غشته هيبة وجلالُ

وهذه شواهد من حياة الصحابة الكريمة تدلنا على صدق المحبة الحقيقية العميقة وتبين لنا كيف تكون هذه المحبة والطاعة:

- ١- فهذا أبو بكر الصديق لما قام يدافع عن النبي : ضربوه ووطئوه بأقدامهم ، ثم حمله بنو تميم ولما تكلم في آخر النهار كان أول ما قال: ما فعل رسول الله ، ثم بعث زوجته إلى أم جميل بنت الخطاب لتسألها عن رسول الله ، ثم جاءت أم جميل ورأت أبا بكر، وأخبرته بخبره ، فقال : والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى آتي رسول الله ، وفي الليل خرج حتى أتاه . ٢- وهذه امرأة من الأنصار قتل أخوها وزوجها وأبوها يوم أحد مع رسول الله فقالت : ما فعل رسول الله ، قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين ، كل مصيبة بعدك جليل .
- ٣- أما خبيب الصحابي الشهيد لما غدر المشركون به وبإخوانه من القراء ثم أعطوه لأهل مكة ليقتلوه ، ووضعوه على الخشبة نادوه قائلين : أتحب أن محمدا مكانك ، فقال : ما أحب أن محمداً في مكانه وتصيبه شوكة. (١)

١- «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٦٠).

٤- ومن حبهم لرسول الله أن أحدهم ما كان ليقدم على عمل فيسبق به رسول الله فعند ما بعث عثمان إلى مكة قبل صلح الحديبية ليفد على قريش قال المسلمون هنيئاً لعثمان لعله طاف بالكعبة ، ولما جاء قال : والله ما كنت لأقدم على ذلك قبل أن يطوف رسول الله .

٥- وكان لرسول الله مكانة أكبر من مكانة الوالد في النفوس ، فلما قدم أبو سفيان إلى المدينة ودخل على أم حبيبة ، طوت الفراش عنه رغبة بفراش رسول الله أن يجلس عليه كافر.

* تكون الهجرة إلى الحبيب النبي - ﷺ - باتباعه - ﷺ وطاعته هما الدليل على محبة الله تعالى،

يقول أبو سليمان الداراني: لَمَّا ادَّعَتِ الْقُلُوبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، أَنْزَلَ اللَّهُ لَهَا مَحَنَةً (أي اختباراً) هي قوله سبحانه: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** (آل عمران / ٣١) فقله **يُحِبُّكُمُ اللَّهُ** إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها فدليلها، اتباع الرسول ﷺ وثمرتها محبة المرسل لكم (وهو المولى عز وجل) فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبة لكم منتفية .

الخطبة الثانية

العنصر الخامس: هجرة محبة الذنوب والمعاصي إلى الطاعة

هيا لنهاجر من المعاصي والذنوب إلى طاعة علام الغيوب

هيا لنهاجر من الذل والتبعية إلى العزة والحرية

هيا لنهاجر من أمام الشاشات والفضائيات إلى بيوت رب الأرض والسموات

هيا لنهاجر من الكسل إلى النشاط والجد

هيا لنهاجر من السلبية إلى الإيجابية

المسلم مكلف بأن يهجر كل ما حرم الله، وأن يهاجر إلى ما أحلَّ الله؛ لأن هذا هو الهدف من استخلاف في الأرض لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]. وهل العبادة إلا طاعة الله فيما أمر، والانتهاة عما نهى عنه وزجر؟

عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (ألا أخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أمواله وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب) " (أحمد). (١)

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وأخرج مسلم. (٢)

فهجر ما نهى الله عنه يعني هجر السيئات والمعاصي والمفاسد القولية منها والفعلية، والتي هي الأساس في فساد البلاد والعباد؛ ولهذا أكد الحديث على (كف اللسان واليد)؛ إذ إنهما الأعضاء التي تصدر عنها المفاسد القولية والفعلية. وإذا كانت هذه الأعضاء سلاحًا ذا حدين يمكن أن يصدر عنها الخير كما يمكن أن يصدر عنها الشر، فإن إمكانية صدور الشر عنها أرجح من صدور الخير؛ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ {صلى الله عليه وسلم} قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم

١ - «مسند أحمد» (٣٩ / ٣٨٢ ط الرسالة) و«ابن ماجه (٣٩٣٤)، والبزار في "مسنده" (٣٧٥٢)، وابن منده في "الإيمان" (٣١٥)،

والقضاعى في "مسند الشهاب" (١٣١)»

٢ - «البخاري ١ / ٥٠، ٥١ في الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم رقم (٤٠) في الإيمان: باب بيان

تفاضل الإسلام»

الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت. أخرجه البخاري ومسلم^(١)

* المهاجر من هجر لذة النوم وتجافى جنبه عن وثير الفراش ودفعه لما سمع - أو قبل أن يسمع بسويعة - نداء الفلاح: ". الهجرة قلب لدولة عادات النفس؛ الهجرة إذن سلوك مستمر متجدد في حياة المسلم، وفرار إلى الله تعالى بالمسارعة والتسابق إلى الخير وكل عمل صالح يجلب مرضاته سبحانه؛ الهجرة هروب مما يغضبه وينزل مقتته، "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" كما في حديث البخاري.

* المهاجر من وفق - بتوفيق منه سبحانه - لهجر عاداته وترك مألوفاته مأكلا ومشربا وملبسا وقولا وسلوكا بنية التقرب إليه عز سلطانه، وطوع نفسه لتحب محاب الله ورسوله حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ كما في الحديث، وخرج من سلطان شهواته:

* المهاجر من هجر الغفلة والغافلين وانتظم في سلك الراجين وجهه سبحانه لما وقع في سمع قلبه نداء رب العالمين يأمره أن يصبر نفسه مع الذاكرين الله بالغدو والعشي وينهاه عن صحبة المنفرط أمرهم المشتت شملهم {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

المهاجر من هجر النفاق وأهله، لما دعاه ربه ليكون مع الصادقين ويحبهم ويعمل عملهم استجابة لأمره تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]

المهاجر من هجر سيء الأخلاق وفظاظة الطبع وغلظة القلب في التعامل مع الزوج

١ - «أخرجه: البخاري ٨/ ٣٩ (٦١٣٨)، ومسلم ١/ ٤٩ (٤٧) (٧٤).»

والأولاد والعيران والناس أجمعين، لما علم أن المؤمن ينال بحسن الخلق عظيم
درجات الآخرة

* المهاجر من هجر البطالة وشمر على ساعده يعمل ويعلم الناس أسباب الكسب
الحلال صونا لماء وجه المؤمن وعزة الأمة لما بلغه حب الله تعالى للعامل

السنن الربانية في هجرة خير البرية

الخطبة الأولى

الحمد لله مقدر الأيام والشهور، ومصرف الأعوام والدهور، أحمدته سبحانه وأشكره على سوابغ نعمه التي تقر بالشكر فلا تبور، وأستمنحه جل في عليائه التوفيق في كل الأمور، فهو سبحانه المؤمل لكشف كل كرب وجبر كل مكسور،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الشكور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، بعثه الله بالهدى والنور، فأشرقت شمس الحق في كل الربوع والدور، وزكت النفوس العليلة فغدت في سعادة وسرور، ورضوان وحبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ليوث الوغى والقذور، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الإخوة الأكارم: نعيش في هذا اللقاء في ظلال هجرة سيد الأصفياء ﷺ لنقف مع السنن الربانية في هجرة خير البرية لنستلهم منها الدروس والعبر ولنقف على سنن الله تعالى في خلقه وفي دعوته فأعيروني القلوب والأسماع .

أولاً-الهجرة سنة من سنن الله في الرسل:

اعلموا بارك الله فيكم: أن الهجرة سنة من سنن الله تعالى في أنبيائه قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾ (الإسراء)

فَقَالَ وَرَقَّةٌ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونَ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ؟ فَقَالَ وَرَقَّةٌ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَّةٌ أَنْ تُوفِّيَ" (١)

ولذلك، فإن الهجرة سنة من سنن الله في أنبيائه ورسله

فهذا نوح هاجر ومن آمن معه في سفينة حتى استوت على الجودي.

وكذلك نوح عليه السلام لما دعا قومه إلى الله فأبوا الإيمان بالله تعالى، فقال له قومه:

{قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء: ١١٦].

قليل المراد بالمرجومين: المخرجين.

وهذا إبراهيم عليه السلام كانت دعوته أصلاً بأرض العراق، إلا أنه كانت له هجرات إلى الشام

ومصر وأرض الحجاز.

، فبعد أن دعا قومه إلى الله وقال: **{إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ

نَاصِرِينَ} [العنكبوت: ٢٥].

وأبى قومه أن يؤمنوا به، قال تعالى: **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ**

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٢٤].

(١) - مسند أحمد ط الرسالة (٤٣ / ١١٤) والبخاري (٤٩٥٦) و (٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٣)، وابن أبي عاصم في

"الأوائل" (٩٩)،

بعد هذا قال إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: ٢٦].

وهاجر نبي الله لوط: وكذلك لوط عليه السلام قال له قومه: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء: ١١٦].

وهاجر نبي الله وكليمه موسى وهذا كليم الرحمن موسى كانت له كذلك هجرات قبل بعثته وبعدها، فقد هاجر قبل بعثته خائفاً يترقب، وهاجر بعد بعثته بعد أن كذبه فرعون وقومه.

وهذا يعقوب هاجر من بابل إلى فلسطين،

وهذا المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام هاجر من فلسطين إلى مصر.

وكل الأنبياء كانت لهم هجرات وفق سنة الله المطردة (١).

ثالثاً: سنة الله في المكر والماكرين:

أيها الإخوة الأحباب: الآية التي تعد عمدة في قضية سنة الله في الماكرين هي قوله تعالى: (اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)، فاطر: ٤٣.

وفي هذا يقول الحق تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، ويقول جل ذكره: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور: ٣٠-٣١).

١ - فقه السيرة النبوية: المفهوم والأسس والنماذج، رشيد كهوس، ص ١٤٢-١٤٣.

أَنَّ اللَّهَ يَمْكُرُ بِالْمَاكِرِينَ وَلَا يَدْعُهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بَلْ يَأْتِي بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ (قَدْ
مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)، من سورة: النحل.

أَنَّ مَكْرَ الْمَاكِرِينَ مَرْصُودٌ وَمَكْتُوبٌ: (إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ)، يونس: ٢١.

أَنَّ الْمَجْرِمِينَ يَمْكُرُونَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ (وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا) نوح: ٢٢.

وَيَمْكُرُونَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، (بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، سبأ: ٣٣،

وَأَنْ مَكْرَهُمْ شَدِيدٌ: (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)، إبراهيم: ٤٦.

أَنَّ مَكْرَ الْمَاكِرِينَ إِلَى بَوَارٍ: (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ
يُبْذَرُ)، فاطر: (١٠)

المكر يكون له رأس تدير معركته ومجموعة (رهط) يجتمعون على هدف وإن كانوا في
الأصل متفرقين يقومون على الفساد والإفساد لأنهم لا يعملون في جو طيب ولا صحيح
يحلفون على الكذب ويقسمون على الباطل لكن عاقبة مكرهم دمارهم ومن لف لفهم
وشايعهم وساندهم وأيدهم ثم يكونون آية لمن حولهم ومن بعدهم ثم ينجي الله
المؤمنين.

(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ
لَنَنبِيئَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكُرُوا مَكْرًا
وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)، النمل: ٤٨ - ٥٣.

أن الله (تعالى) يتدخل لحماية عبده الذي مكر به (فوقاهُ الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب)، غافر: (٤٥)

تلك هي أهم ملامح قضية المكر كما صورها القرآن الكريم لكن هناك كما يقول المفسرون آيات تعد العمدة في الباب والأساس في رصد القضية ومفتاح السننية في قضية المكر والماكرين ، ومن خلال التأمل في الآيات الأربع والأربعين التي تناولت قضية المكر والماكرين يمكن أن نجد الآيات التي تعد عمدة الباب هي:

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) الأنعام: ١٢٣، (١٢٤))

سنة الله في الماكرين: فما هي سنة الله تعالى في الماكرين الأولين والتي ستخزي وتهلك الموجودين واللاحقين من الماكرين المفسدين؟ إنها سنة تتصف بالصفات التالية:

الأول: سرعة مجيئها، وأنها تأتي بسرعة مفاجئة فإذا هم مبلسون، قال تعالى: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [يونس: ٢١].

الثاني: شدة عذابها وتدميرها، قال تعالى: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: (وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَبَلَكَ بُيُوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [النمل: ٥٠-٥٢].

الثالث: تأتيهم من حيث لا يحتسبون، بل تأتيهم من حيث يأمنون، كما قال تعالى: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) [النحل: ٢٦]، أي: إن الله اجتث مكرهم من أصله، واقتلعه من أساسه؛ فأبطل عملهم، وأسقط بنيان خططهم الخبيثة، وكيدهم الخاسر! قال تعالى: (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) [الحشر: ٢].

رابعا: أن مكر المفسدين خاسر، كما بين الله ذلك في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَرُ) [فاطر: ١٠]. فهم خاسرون، مهما يمحرون ويفعلون.

خامسا: إن الماكر يمحرك بنفسه، وعاقبة مكره عليه، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: ٤٢-٤٣]، وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام: ١٢٣].

سادسا: من صفات سنة الله في المكر والماكرين أنها لا تتغير ولا تتحول، فهي سنة ربانية ثابتة في كل مكر في كل زمان ومكان، كما في الآية السابقة.

رابعا- سنة الابتلاء: لقد بلغ البغي الوحشي من قريش مبلغا كبيرا، في اضطهاد المستضعفين المسلمين، ومحاصرتهم، والتضييق عليهم، وقتل بعضهم والفجور اليومي الذي لا يمل نظام الطغاة المستكبرين في مكة من تسليطه على المستضعفين في مكة ضربا وتسفيها معنويا..

لقد كانت الهجرة النبوية ابتلاءً وامتحاناً بين يدي النصر العظيم الذي قيضه الله سبحانه وتعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ ولأصحابه البررة الكرام، وكلكم يعلم أن هذا الابتلاء القاسي إنما تمثل في الابتعاد عن الوطن وتركه، تمثل في ترك الأرض وكل ما يملكون، قطع المسلمون أنفسهم عن حظوظهم كلها التي تعارضت مع اعتناقهم لدين الله سبحانه وتعالى وإخلاصهم له، وبعد أن قطعوا أنفسهم عن هذه الحظوظ كلها اتجهوا إلى تلك الأرض المعروفة بسوء مناخها وببائها، اتجهوا إلى يثرب وهم يعلمون أنهم إنما ينفذون في هذا أمر مولاهم سبحانه وتعالى، ولم يكونوا يتصورون أي جزاء يمكن أن ينالوه، كل ما في الأمر أن المصطفى صلى الله عليه وسلم تلقى الأمر من ربه بأن يهاجر، فهاجروا معه، ونفضوا أيديهم في سبيل ذلك من المال والعقار والأهل والولد، واستقبلوا أرضاً معروفة ببائها وسوء مناخها حتى إن المصطفى ﷺ دعا ربه قائلاً: «لَلَّهِمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدَّنَا، وَصَحْحَهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ (١)(٢) .

خامساً- سنة التأييد الإلهي: يقول الله تعالى وتقدس: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

١ - الجُحْفَةُ: ميقات أهل الشام ومصر.....

٢ - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ح ٣٩٢٢

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِأَفْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بَصَرَهُ رَأَانَا. قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، ائْتَانِ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا»^(١) .

كما أن في قصة سراقه الذي عثرت به فرسه في كل مرة يحاول اللحاق برسول الله ﷺ والقبض عليه^(٢) أعظم دليل على تحقق وعد الله بعصمة نبيه من الناس، وعلى التأيد الإلهي والنصر الرباني لنبيه صلى الله عليه وسلم.

لقد كان سراقه في بداية أمره يريد القبض على النبي ﷺ ويسلمه لزعماء مكة لينال مائة ناقة، وإذا بالأمور تنقلب رأساً على عقب -لما رأى المعجزة أمام عينيه-، ويصبح يرد الطلب عن رسول الله ﷺ فجعل لا يلقي أحداً من الطلب إلا رده قائلاً: كفيتم هذا الوجه^(٣) .

وصدق الله حيث قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

سادساً-سنة الله في الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر:

إن الهجرة النبوية تعلمنا أن لا نستسلم لليأس والقنوط، فهي تأتي بمشاهدتها لتحيا في القلوب الأمل وتزرع في نفوس اليائسين الرجاء.

لقد عاش الصحابة الكرام مع نبيهم ثلاث عشرة سنة من الخوف والألم والتعذيب والتنكيل رأى المسلمون فيها ألوان الهوان وصنوف الإذلال، منها ثلاث سنوات من

^١ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٩٠٦. سيرة ابن هشام، ٢/ ٣٥٧-٣٥٨. البداية والنهاية، ٢/ ١٩١-١٩٢.

^٢ - البداية والنهاية، ٢/ ١٩١-١٩٢.

^٣ - السيرة النبوية، علي محمد الصلابي، ص ٢٧٥.

الحصار في شعب أبي طالب.. مقاطعة كاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حصار اقتصادي واجتماعي شديد، حتى أكل الناس الورق، وإلى أن تشققت الأشداق. ثلاثة عشرة سنة وأصحابه - رضي الله عنهم - يلاقون من الأذى ما لا تحتمله الجبال الرواسي، تعذيب وتنكيل، وضرب بالسياط حتى كَلَّت السياط وأيدي الضاربين، وحتى أكلت رمال الصحراء المحترقة طبقات جلودهم، وهذا بلال يشهد وكذا خباب بن الارت وأل ياسر وزنيره وغيرهم.

وفي وسط هذا الظلام الحالك، ومن هذه الظلمة الشديدة ومن بين كل هذا البلاء وتلك الشدة من كان يعتقد أن يأتي الفرج علي يد سبعة أنفس من أهل يثرب من الأوس لقيهم النبي ﷺ في موسم الحج، فكلّمهم وما يَرْجُو إلا أن يستنقذهم من النار ويؤدي حق الله عليه في دعوتهم للدين الجديد، فكانوا الفجر الذي انقشع به ظلام الكفر، والنور الذي أضاءت بسببه أرجاء المدينة المنورة، والأمل الذي بدد سُحب اليأس.. إنها التقادير يوم يأذن الله بالفرج من عنده، يأتي النصر من قلب المحنة، والنور من كبد الظلماء، والله تعالى هو المؤيد والناصر، والبشر عاجزون أمام موعود الله.

وهكذا تعلمنا الهجرة في كل فصل من فصولها كيف نصنع الأمل، ونترقب ولادة النور من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات.

ما أحوجنا ونحن في هذا الزمان زمن الهزائم والانكسارات والجراحات إلى تعلم فن صناعة الأمل فمن يدري ربما كانت هذه المصائب باباً إلى خير عظيم، وفرج قريب،

ورب محنة في طيها منحة، وليس قد قال الله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

سابعا- سنة الإصلاح الاجتماعي:

لقد شكلت الهجرة النبوية المباركة لحظةً فاصلةً في تاريخ الرسالة الكبرى للبلاغ النبوي. ولئن كانت الهجرةُ أمراً إلهياً، وكان اختيارُ المدينة المنورة -بقُدوم رسول الله ﷺ- وحيًا من الله تعالى، تجلت فيها بوضوح الحكمة الإلهية والرؤية النبوية الكلية الشمولية المستقبلية في تدير المشروع الرسالي والإصلاح الاجتماعي، وإتمام مهمة البيان والبلاغ والإصلاح، فإن الأمر لم يخرج عن السير على منهاج السنن الإلهية في الإصلاح ثم النصر والتمكين.

ومن ثم إن الهجرة النبوية غيرت مجرى التاريخ تغييراً لم يشهد له التاريخ مثيلاً؛ حيث أعقبها بناء إنسان صالح، ومجتمع مسلم أخوي، ودولة إسلامية قوية، وعمران إسلامي أصيل، عاش الناس في ظلاله كالجسد الواحد إخوة متوادرين متراحمين، ومتعاونين متكافلين.

لقد كانت الهجرة النبوية مقياس «تقويم» الأمة، ومؤشر قيامتها الناهضة إلى مهام الاستخلاف في الأرض، وتحقيق الشهود الحضاري على الأمم جميعاً.

لقد هاجر رسول الله ﷺ لبناء مجتمع إسلامي إنساني جديد يقوم على القيم، فكانت هذه الهجرة المباركة منطلقاً لذلك ﷺ، حيث أصبحت المدينة المنورة مركز إشعاع حضاري عالمي، ينطلق منه النور إلى ربوع الأرض كلها..

ولذلك قام النبي ﷺ مباشرة بعد وصوله إلى المدينة المنورة بقدمه بعدة تدابير عملية تنظيمية لبناء مجتمع الإسلام والقيم، وذلك من خلال بناء المسجد النبوي عاصمة الأمة ومجلس شوراها وسياستها وعقودها، ومحضن تربيتها وإصلاحها، ومأوى من لا مأوى له من الفقراء والغرباء.. تلاه الميثاق الإيماني وعقد نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو نظام اجتماعي فريد أسهم في توثيق الروابط الإيمانية وتقويتها، وتحقيق

الاندماج الاجتماعي للمهاجرين في مجتمع المدينة، وجعل العلاقات الاجتماعية تقوم على قيم المحبة والرحمة والأخوة والتعاون والتكافل والتضامن، وبعدها تم بناء سوق المدينة من أجل تحقيق التدافع الحضاري مع اليهود وتحسين الأمة على مستوى الأمن الغذائي والاقتصادي، وإعداد بيئة تتعامل بقيم الإسلام وأخلاقه وأحكامه في المعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية، والقضاء على الاحتكار اليهودي للسلع والأسعار، تلاه وضع دستور مشترك لكل الأمة ومواطني الدولة، وإعلان عالمي للمواطنة وحقوق الإنسان، وميثاق للإنسانية جمعاء، ينظم العلاقات الداخلية والخارجية للمدينة المنورة في السلم والحرب، ويتضمن حقوق المواطنة وواجباتها بغض الطرف عن العرق والدين، ويجعل الولاء للرسالة والأمة والدولة.. فتخطى بذلك أنظمة الاستبداد والطغيان، ليصل إلى البشرية المحرومة ليرفعها إلى مقام الأدمية المكرمة والإنسانية المحترمة الحرة..

إن الهجرة النبوية المباركة دليل على سنة الله في إصلاح الإنسان ثم إصلاح الأوطان.

ثانيا: سنة الأسباب والمسببات: إن الإيمان بالله تعالى والاعتماد والتوكل عليه لا ينافي أبدا الاستفادة من سنن الله التي جعلها الله في هذا الكون ناموسا ثابتا ومطردا، ولا يناقض اتخاذ الأسباب المادية التي أراد الله تعالى أن يجعلها أسبابا في هذا الكون التوكل عليه.

ثامنا- سنة النصر الإلهي: يقول الله تعالى وتقدس: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بِصَرِّهِ رَأْسًا. قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»^(١).

كما أن في قصة سراقه الذي عثرت به فرسه في كل مرة يحاول اللحاق برسول الله ﷺ والقبض عليه^(٢) أعظم دليل على تحقق وعد الله بعصمة نبيه من الناس، وعلى التأييد الإلهي والنصر الرباني لنبيه ﷺ.

لقد كان سراقه في بداية أمره يريد القبض على النبي ﷺ، ويسلّمه لزعماء مكة لينال مائة ناقة، وإذا بالأمور تنقلب رأساً على عقب -لما رأى المعجزة أمام عينيه-، فأصبح يرد الطلب عن رسول الله ﷺ فجعل لا يلقي أحداً من الطلب إلا رده قائلاً: كُفَيْتُمْ هَذَا الْوَجْهَ^(٣).

وصدق الله حيث قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

إن الهجرة المباركة كانت فاتحة الأمل، وبارقة النصر، وطريقة العودة لسيدنا رسول الله ﷺ ولأصحابه إلى مكة فاتحين ظافرين.

١ - «صحيح البخاري ١/ ٥١٦، ٥٥٨، ولم يكن فرع أبي بكر مخافة على نفسه، بل سببه الوحيد هو ما روي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا انظر مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص ١٦٨.

٢ - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ح ٣٩٢٢ ح البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٩٠٦. سيرة ابن هشام، ٢/ ٣٥٧-٣٥٨. البداية والنهاية، ٢/ ١٩١-١٩٢.

٣ - السيرة النبوية، علي محمد الصلابي، ص ٢٧٥.

مسك الختام: إن الأمة المسلمة في أمس الحاجة إلى استحضار معاني الهجرة النبوية،

والوقوف عند سنن الله فيها؛ لتكون نبراساً يبصرها بواقعها، ويضيء لها مستقبلها الحضاري، ويعيدها إلى الطريق المستقيم.

وإن الأمة لقادرة بإذن الله تعالى -إذا عادت إلى مصدر عزها- أن تكون رحمة في العالمين وبلسماً وشفاء للناس أجمعين. ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠).

فلا تحسبن أن الهجرة والنصرة معنيان قاما بالجيل الأول ثم ذهباً، كلا. فإن معاني القرآن الكريم خالدة، وقيمته مستمرة، وأخلاقه لا تبلى.. وأشكال الهجرة متنوعة، حسب كل عصر وزمان، ونور الله خالد.

إن الهجرة النبوية تعلمنا دروساً كثيرة؛ تعلمنا كيف نتحرر من العلائق، وكيف نتصير على العوائق، تعلمنا كيف نبذل النفس والنفس، والجاه والملذات، تعلمنا كيف نتحرر من فك قيود العادات، ونتخذ من العام الهجري الجديد منطلقاً للتحوّل والهجرة عن كلّ ما حرم الله من الذنوب والمعاصي، والظلم والفساد والطغيان، وعن كلّ عادة سيئة تخالف رضاه، ونربط هذا التحوّل بجيل الصحابة رضي الله عنهم الذين تحوّلوا في حياتهم، ووطنوا الإيمان ومحبة رسول الله ﷺ في قلوبهم، وغادروا كلّ ما يحجبهم عن صفو الحب، فطهرت أنفسهم، وحسنت نيّاتهم، فأخلصوا لله، وتخلّصوا من التعلّق بما سواه، فزكّاهم وشهد لهم بالصدق والنقاء والطهر؛ فقال عزّ من قائل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩-٨﴾ [الحشر: ٨-٩].

فدعوة نُسَطَّرُها لأنفسنا لننطلق بالهجرة إلى الله تعالى في عام هجريٍّ جديدٍ، في سفرٍ على سفينة المحبة والإيمان، إلى معدن الهدى ومنبع النور المتلقَّى من هدي الحبيب ﷺ.. فلنمض مهتدين بهديه وسائرين على منهاجه، ومستأنسين بحياة الصحب الكرام الذين غيروا بحبهم وصدقهم وأخلاقهم التاريخ، ورسموا لنا خطى العزِّ والنصر والتمكين، بإخلاصهم وصدقهم في إيمانهم، وجهدهم الميمون - رضي الله عنهم ورَضُوا عنه، وجمَعنا وإيَّاهم في دار المتقين الأبرار.

الإيجابية والوطنية في هجرة خير البرية ﷺ

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي الباقي... الذى أضاء نوره الآفاق... ورزق المؤمنين حسن الأخلاق...
وتجلت رحمته بهم إذا بلغت أرواحهم التراق... نحمده تبارك وتعالى ونستعينه على
الصعاب والمشاق... ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشك والشرك
والشقاق... ونسأله السلامة من النفاق وسوء الأخلاق...

وأشهد أن لا إله إلا الله القوى الرزاق... الحكم العدل يوم التلاق... خلق الخلق فهم في
ملكه أسرى مشدودو الوثاق... أنذر الكافرين بصيحة واحدة ما لها من فواق... وبشر
الطائعين بسلام الملائكة عليهم إذا التفت الساق بالساق... أرسل الرسل وأنزل الكتب
ليعلم الناس أن إليه يومئذ المساق...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المتمم لمكارم الأخلاق... لم يكن لعانا ولا سبابا
ولا صخابا في الأسواق...

خير من صلى وصام ولبى وركب البراق... وأول الساجدين تحت العرش يوم يكشف عن
ساق... جاهد في سبيل الله منصورا معصوما من الإخفاق... وترك فينا ما إن تمسكنا به
علمنا أن ما عندنا ينفد وما عند الله باق...

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما تعقب العشى الإشراف... وما دام القمر متنقلا فى منازل
من التمام إلى المحاق...

أما بعد: كل عام أنتم بخير وجعل الله عامكم هذا خير من عامكم المنصرم وعمره الله
تعالى بالطاعات والقربات والنصر في جميع المجالات

وفي مطلع كل سنة هجرية، ومع إطلالة كل عام جديد، تبرز في تاريخنا الإسلامي المجيد أحداث عظام ووقائع جسام، لها مكانتها عند أهل الإسلام، ولها أثرها البالغ في عز هذه الأمة، ونصرها وقوتها، وصلاح شريعته في كل زمان ومكان، وتحقيقها سعادة البلاد والعباد في أمور المعاش والمعاد.

حديثنا في هذا اليوم الأغر عن {الإيجابية والوطنية في هجرة خير البرية} فحي هلا عباد الله لتتعرف على معنى الإيجابية وعن الإيجابية في القرآن الكريم والسنة المطهر ونتعرف عن الإيجابية والوطنية في الهجرة النبوية

فيا شباب الحق أيها الباحثون عن السر التقدم والرقى:

يا باحثاً عن سر ما ترقى به الأمم ومفتشاً عن ما به يتحقق الحُلم
 السر في عزماتنا نحن الشباب ولا تخبو العزائم عندما تعلو بها الهمم
 نحن المشاعل في طريق المجد تسبقنا أنوارنا ولوهجها تنقهقر الظلم
 نحن النجوم لوامع والليل يعرفنا والكون يعجب من تألقنا وبيتسم
 في الروح إصرار وفي أعماقنا أمل لا يعتري خطواتنا يأس ولا سئم
 وإذا الحياة مصاعب سنخوضها جلدا وإذا الجبال طريقها فطموحنا القمم
 طاقاتنا قد وجهت للخير وانصهرت أطيافنا في وحدة والشمل ملتئم

العنصر الأول: تعريف الإيجابية:

الإيجابية والسلبية كلمتان شاع استعمالهما في الفترة الأخيرة استعمالاً كثيراً على كافة المستويات فما معناهما؟

الإيجابية حالة في النفس تجعل صاحبها مهمومًا بأمر ما، ويرى أنه مسئول عنه تجاه الآخرين، ولا يألو جهدًا في العمل له والسعي من أجله.

والإيجابية تحمل معاني التجاوب، والتفاعل، والعطاء، والشخص الإيجابي: هو الفرد، الحي، المتحرك، المتفاعل مع الوسط الذي يعيش فيه، والسلبية: تحمل معاني التقوقع، والانزواء، والبلادة، والانغلاق، والكسل.

والشخص السلبي: هو الفرد البليد، الذي يدور حول نفسه، لا تتجاوز اهتماماته أرنبة أنفه، ولا يمد يده إلى الآخرين، ولا يخطو إلى الأمام.

والمجتمع السلبي الذي يعيش فيه كل فرد لنفسه على حساب الآخرين مجتمع زائل لا محالة، كما أن المجتمع الإيجابي مجتمع راقٍ عالٍ لا شك.

الفرق بين السلبي والإيجابي:

إنه الفرق بين الليل والنهار.. الجماد والكائن الحي.. الفرق بين الوجود والعدم. والدليل على هذا قوله تعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (النحل: ٧٦) لقد سمى الله السلبي في هذه الآية "كَلًّا" والإيجابي بـ "يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ" .. "كَلٌّ" أصعب من سلبي. لأن سلبي معناها غير فعال أما كَلٌّ فمعناها الثقيل الكسول وقبل هذا فهو "أبكم" لا يتكلم ولا يرتفع له صوت.

من هنا نعرف الرجل الإيجابي بأنه رجل لا يهدأ له بال، ولا تنطفئ له جذوة، ولا يكل ولا يمل؛ حتى يحقق هدفه الذي يسعى إليه وغايته المنشودة.

قال الشاعر:

أَحْزَانُ قَلْبِي لَا تَزُولُ حَتَّى أُبَشِّرَ بِالْقَبُولِ

وَأَرَى كِتَابِي بِالْيَمِينِ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي بِالرَّسُولِ

العنصر الثاني: القرآن يدعو إلى الإيجابية وينهى عن السلبية:

أمة الإسلام القرآن الكريم جاء ليغرس الفضائل في نفوس المؤمنين ويشحذ الهمم إلى معالي الأمور وينهى عن السلبية وعن سفاسف الأمور ومن أوضح المظاهر ظاهرة الإيجابية وإليك أيها الأحباب أحباب رسول الله بعض تلك المظاهر

* إيجابية التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ}** (المائدة: ٢).

فهو يدعو إلى أن يكون المجتمع مجتمعا مثالي يتعاون الجميع في رقية والنهوض به ولا يكون ذلك إلا بالبر والتقوى

* إيجابية التفاعل الاجتماعي وأن يكون المسلم عضوا فعالا في بيئته فهو يتحسس الفقراء والمساكين ويحنو على اليتامى والأرامل

وهو يصلح بين أفراد المجتمع ويزيل الشحناء والبغضاء

وهو يجود بماله ووقته من أجل أن يعيش غيره في سعادة وهناء

قال تعالى: **{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}** (النساء/ ١١٤).

والصلح وفقا للمدرسة الإسلامية في التربية، يعد خيرا يقول تعالى: **{فَاتَّقُوا اللَّهَ}**

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (الأنفال: ١).

ومن أقوى المشاعر الإيجابية أن المسلم يتربى على الإيمان بأن المسلمين جميعاً إخوانه يقول تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** (الحجرات: ١٠).

*ومن مظاهر الإيجابية في القرآن أن يعمل المسلم ولا يكون كلا على غيره فالإسلام يدعونا للنشاط والحيوية وحب العمل يقول تعالى: **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** (الجمعة: ١٠) وفي هذا المعنى الكريم يقول رسولنا العظيم: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري).

* ومن مظاهر الإيجابية: محاربة الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **{كُتِبَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}** [آل عمران: ١١٠]

و من أروع مظاهر الإيجابية في حياة خير البرية - ﷺ - تلك الصورة التي تنقلها لنا السيدة خديجة - رضي الله عنها - عند قالت واصفة النبي - صلى الله عليه وسلم عن عائشة، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَارِ حِرَاءٍ، انْتَهَى إِلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمِّلَ، ثُمَّ قَالَ: يَا خَدِيجَةُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتَ لَهُ خَدِيجَةُ: أَبْشُرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، (١)

١ - «أخرجه أحمد ٢٣٢/٦، والبخاري ٤٩٥٦ في التفسير، و"٦٩٨٢" في التعبير، ومسلم "١٦٠" "٢٥٣" في الإيمان:

باب بدء الوحي برسول الله،»

العنصر الثالث: الإيجابية في هجرة خير البرية

معاصر الموحدين الذي يتأمل هجرة الحبيب المصطفى - ﷺ - يرى كمال الإيجابية في حركاته و دعوته - ﷺ -

* إيجابية النبي - صلى الله عليه وسلم - في استشراف المستقبل

لما اشتد الأذى على رسول الله ﷺ بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها خرج إلى الطائف فدعا قبائل ثقيف إلى الإسلام فلم يجد منهم إلا العناد والسخرية والأذى ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبه فقرّر الرجوع إلى مكة.

قال: " انطلقت - يعني من الطائف - وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب - ميقات أهل نجد - فرفعت رأسي فإذا سحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك وقد أرسل لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

ثم ناداني ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - جبلان بمكة - فقال رسول الله: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً " متفق عليه.

وقد وقع الأمر كما تمناه النبي وخرج من صلب فرعون الأمة أبي جهل عكرمة رضي الله عنه، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة المبشر بالنار في سورة المدثر سيف الله المسلول خالد بن الوليد.

وهكذا المسلم يرى الأمل دائما غير منقطع وينظر إلى الواقع وإن اشتد عليه بإيجابية وتفائل. وفي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِكِهِمْ»^(١). (فهو أهلكتهم أي أشدهم هلاكا)..

وهذه الإيجابية نراها واضحة في أحداث الهجرة، حيث جعل النبي - ﷺ - لكل المجتمع دورًا (الشباب، والشيخوخ، والنساء).

٢- إيجابته ﷺ - في أخذه بالأسباب ثم التوكل على الله تعالى بعد ذلك

فقد اختار الرفيق واختار الدليل واختار المكان الذي سيمكث فيه حتى تهدأ نائرة قريش واختار من سيزوده بالطعام واختار من سيزوده بالأخبار من سينام مكانه

٣- الشباب والإيجابية: نرى أن أول باكورة تُشارك في تداعيات الهجرة هم الشباب، ويتحملون أهم وأخطر المشاركات، وذلك عندما أمر رسول الله - ﷺ - علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه؛ حتى يعمي على المشركين أمر الهجرة، ويسارع علي - رضي الله عنه - في تنفيذ الأمر؛ ليقدم أعلى ما عنده للإسلام، وهذا هو واجب الشباب تجاه دينهم وتجاه دعوتهم.

٤- الشيخوخ والإيجابية: إنك لتتعجب عندما تشاهد تضحيات الشيخوخ وبذلهم المتناهي لنصرة دين الله، ويأتي على رأس هؤلاء الذي أنزل الله فيه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة من كثرة ما قدم للإسلام، إنه الصديق - رضي الله عنه - يقدم ماله كله، ويخرج بنفسه ليكون ظلًا ملاصقًا لحبيبه - ﷺ - في هجرته، بل وشاركت أسرته كلها في الهجرة.

١- «أخرجه مالك في الكلام (٢/ ٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٣٣)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٣)، وأحمد ٢/

٥- النساء والإيجابية: لم تقتصر التضحيات في الهجرة على الرجال، بل قدم النساء قوافل التضحيات، وهذا نراه دائماً منهن عندما يدعو داعي البذل والعطاء، وتتقدم السيدة أسماء بنت أبي بكر قوافل النساء، لتحمل الطعام وتمد المهاجرين بالمعونة، وتعرض نفسها للخطر من أجل دينها.

٦- إيجابية عمر - رضي الله عنه - في أحداث الهجرة:

يقف عمر عند هجرته ينصح عياش بن أبي ربيعة بعدم العودة، ويعرفه بما أعد له من مكيدة وخدعة ولكنه يستجيب، ويسقط في الفتنة. وآخر يعزم على الخروج مهاجراً مع عمر ولكنه يحبس ويفتن، فماذا كان موقف الفاروق منه.

بمجرد نزول آيات قرآنية داعية للتوبة، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى إلا ويكتبها الفاروق، ويرسل بها إلى هشام بن العاص السهمي فتكون سبباً في توبته، وهجرته بعد حبسه.

ويقص علينا عمر شيئاً من معاناة الهجرة إلى المدينة، فيقول: اتَّعَدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص السهمي التناضب من أضواء بني غفار فوق سرف، وقلنا: أينما لم يصبح عندها فقد حبس فليمضي صاحبه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام وفتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما، وأخاهما لأُمهما حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله بمكة فكلماه، وقالوا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى

تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك فرّق لها. فقلت له يا عياش: إنه والله إن القوم ما يريدوك إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أنني لمن أكثر قريشاً مالاً، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما.

قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما.

حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال أبو جهل: إن ناقتي كلت فاحملني معك. قال عياش: نعم ونزل ليوطى لنفسه ولأبي جهل. فأخذه وشده وثاقاً وذهب به إلى أمه، فقالت له: لا تزال بعذاب حتى ترجع عن دين محمد، وأوثقته عندها. قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً، ولا عدلاً، ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم.

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله المدينة أنزل الله تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [الزمر: ٥٣].

قال عمر بن الخطاب: فكتبته بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى، أصعد بها فيه، وأصوب، ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها.

قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها أنزلت فينا، وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه فلحقت برسول الله بالمدينة.

العنصر الرابع: قصص القرآن عن الإيجابية:

أيها المسلم الكريم: بعدما تعرفنا على مفهوم الإيجابية ومشاهد الإيجابية في سنة رسول الله هيا لنعرج على بعض القصص القرآني وهو يقص علينا أحسن القصص في الإيجابية

* إيجابية النملة:

النملة رغم أنها كائن ضعيف لا يأبه به الإنسان إلا أن المك الديان سمى سورة في القرآن الكريم باسمه و أورد إلينا قصة النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام - و الهدف من القصة أن يتعلم المسلم و المسلمة دراسا عظيما ألا وهو الإيجابية و المشاركة الفاعلة في الأمن و سلامة الآخرين قال الله تعالى: **" وَحِثِّرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ... "** (النمل: ١٧-١٩)

فها هو سليمان -عليه السلام - ينطلق بجيشه العرمرم الذي يشمل الإنس والجن والطيور وهو يسيرون في صفوف منتظمة و فجأة رات النملة هذا الجيش الجرار فلم يكن حالها كما يقول البعض في المثال (اذا جاءك الطوفان ضع ولدك تحت رجلك)

كلا وإنما وقفت ثابتة لم تخش على نفسها وإنما تذكر أبناء جنسها وأرادت لهم النجاة قبلها، ولقد كانت هذه النملة على درجة عالية من البلاغة، استمعوا معي لقولها تجدونه يتضمن التالي:

١- يا أيها النمل: نداء.

٢- ادخلوا: أمر.

٣- لا يحطمنكم: نهى.

٤- سليمان: خصصت.

٥- جنوده: عممت.

٦- وهم لا يشعرون: اعتذرت عنهم، أي عن غير قصد منهم؛ فهذه

ليست أخلاق جيش سليمان، فجيش الحق والخير لا يقتل حتى النمل، والمؤمن لا يؤدي حتى النمل.

ولهذا تبسم سليمان من قولها؛ لأنه تضمن إيجابية، والاعتذار عن الجيش. ثم شكر الله على أن وهبه القدرة على سماع ذبذبات صوت النمل.

إيجابية الهدهد:

ويضرب الله تعالى لنا مثالا آخر في إيجابية الكائنات ويذكر إيجابية ذلك الداعية الذي خرج بعيدا يتفقد أحوال الأمم و ينظر أخبارهم إنه الهدهد طائر ذكي ولكنه خرج بدون علم أو امر من سليمان عليه السلام

ونبي الله سليمان -عليه السلام - يتصف بصفات الحزم والصرامة في مملكته يقول سبحانه وتعالى:

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ " (النمل: ٢٠-٢١)

وجاء الهدهد الإيجابي، وكان من الممكن أن يكون كأي موظف يلتزم بالوقوف في الطابور وكفى، ثبت حضوره، ويثبت انصرافه، مثل الملايين من الموظفين كل منهم يأكل ويشرب، ويحصل على أجره آخر الشهر، ولو كنت أنت هكذا فالهدهد ليس كذلك. وما حدث أن الهدهد سمع بأن قومًا يعبدون الشمس في اليمن، بمملكة سبأ، فجن جنونه وهو في فلسطين، أي على بعد مسافة كبيرة من اليمن، وسيفوته طابور الجيش، لكن هناك أولويات، وهو ليس موظفًا، بل صاحب رسالة، طار إلى اليمن يتفقدهم، حتى أنه ذهب إلى عرش الملكة وعاد بالأخبار، ليصبح سببًا في هداية أمة.

فور عودة الهدهد، أخبرته الطيور بعقاب سيدنا سليمان -عليه السلام-، فمكث غير بعيد عن سليمان؛ لأن الإيجابية تزرع الشجاعة، وثقة بالنفس.

"فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (النمل: ٢٢-٢٦)

فالهدهد بعدما رأى عرش الملكة وحد الله رب العرش العظيم، وهذا موضع سجدة في القرآن، فانظروا لإيجابيته وهو مجرد هدهد! فعار علينا نحن المسلمين أن نكون سلبيين. كن مركز إيجابية في مؤسستك، في ناديك، في كل مكان، قم بالإصلاح، وإياك والتعلل بالظروف، وأنه لا فائدة، بل استخدم الإمكانيات في قهر المؤثرات.

العنصر الخامس: قصص الإيجابية في تاريخ الأمة الإسلامية

إيجابية عمر -رضي الله عنه- عام الرماة:

جاء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك في جانب الصفحة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت أكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحمًا ولا سمناً حتى يحيا الناس، ولقد أجمع الرواة جميعاً أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك، أنه لما قدمت إلى السوق عكة سمن ووطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، وقدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال عمر: أغليت فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافاً.

ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم. فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم. وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عريياً يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهما، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر، وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همماً بأمر المسلمين، وكان يصوم الدهر، فكان عام الرمادة، إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها، فأتي به، فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الصحيفة هات لنا غير هذا الطعام. فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا يرفاً، احمل هذه الجفنة حتى تأتي

بها أهل بيت بشمغ - اسم مكان - فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

قصة: إيجابية مثمرة:

في حقبة الثلاثينات ألتحق طالب جديد بكلية الزراعة في إحدى جامعات مصر، وعندما حان وقت الصلاة بحث عن مكان ليصلي

فيه فأخبروه أنه لا يوجد مكان في الكلية للصلاة فيه؛ غير غرفة صغيرة (في القبو) تحت الأرض ..

ذهب الطالب وهو في قمة الذهول والاستغراب من الناس في الكلية لعدم اهتمامهم بموضوع الصلاة ..

وتساءل ترى هل هم يصلون أم لا ؟!

المهم دخل الغرفة فوجد فيها حصير قديم وكانت عبارة عن غرفة صغيرة ضيقة وغير مرتبة ولا نظيفة، ووجد فيها عاملاً يصلي وحده.

فسأله الطالب: هل تصلي هنا ؟؟

فأجاب العامل: أيوه، محدش بيصلي من الناس اللي فوق وما فيش مكان للصلاة غير هذه الغرفة.

فقال الطالب بكل اعتراض:

أما أنا فلا أصلي في هذا المكان تحت الأرض.

وخرج من القبو إلى الأعلى، وبحث عن أكثر مكان واضح في الكلية وعمل شيء غريب جدا!!! وقف وأذن للصلاة بأعلى صوته!!

تفاجأ الطلاب بما حدث وأخذوا يضحكون عليه ويشيرون إليه بأيديهم .. ويتهمونه بالدروشة والجنون.

غير أنه لم يبالى بهم، جلس قليلاً ثم نهض وأقام الصلاة وبدأ يصلي وكأنه لا يوجد أحد حوله.

صلي لوحده .. يوم .. يومين .. على نفس الحال من ضحك الطلاب ..

ثم بعدها وكأنهم اعتادوا على فعله هذا في كل يوم .. فلم يعد يسمع صوت ضحكاتهم وتندرهم به ..

ثم حصل تغيير صغير .. إذ خرج العامل الذي كان يصلي في القبو للصلاة معه جماعة ..

ثم أصبحوا أربعة وبعد أسبوع صلي معهم أحد أساتذة الكلية!!

انتشر الموضوع وكثر الكلام عنه في كل أرجاء الكلية .. حينها استدعى عميد الكلية هذا الطالب ..

وقال له:

لا يجوز هذا الذي يحصل، أنتم تصلون في وسط الكلية!، وبدلاً من ذلك نحن سنبنى

لكم مسجد عبارة عن غرفة نظيفة مرتبة يصلي فيها من يشاء في أوقات الصلاة ..

وهكذا بني أول مسجد في كلية جامعية.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، إذ أن طلاب باقي الكليات أحسوا بالغيرة وقالوا اشمعنا كلية الزراعة عندهم مسجد، فبني مسجد في كل كلية في الجامعة ..

ولا يزال هذا الشخص سواء كان حياً أو ميتاً يأخذ إلى اليوم حسنات وثواب كل مسجد بنى في جامعات مصر ويذكر فيها اسم الله ..

هذا الطالب تصرف بإيجابية في موقف واحد في حياته فكانت النتيجة أعظم من المتوقع .. هذا ما أضافه للحياة ..

وهنا يأتي السؤال .. ماذا أضفنا نحن للحياة .. ؟!

لنكن مؤثرين في أي مكان نتواجد فيه، ولنحاول أن نصحح الأخطاء التي من حولنا .. وأن لا نستحي من الحق .. نرجوا من الله التوفيق والسداد ...

العنصر السادس: أسباب السلبية:

أيها الأحباب: لماذا يقع بعض الشباب في السلبية؟ ما هو السبب الذي جرهم إلى ذلك، مع أن المنطلق كان صحيحاً؟ هذا يرجع في الحقيقة إلى عدة أسباب منها:

أولاً: عدم الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية:

كمن يظن أن الإسلام والالتزام هو الانزواء جانبا والجلوس في المساجد وترك العمل وهذا هو الفهم الخاطئ للإسلام فالتدين الصحيح هو الذي يدفع صاحبه للعمل والسعي

في الأرض قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي

الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]

ثانيًا: اعتقاد الإنسان أن من شروط الإيجابية حصول الكمال:

وهذه شناعة يعلق عليها السليبيون سلبيتهم ويحتجون بأنهم ليسوا من أهل الكمال ليتحركوا ويعملوا

وهذا خطأ فتأملوا عباد الله في حال مؤمن آل يس لم يكن نبيا ولا عالما بل كان شخصا عاديا وعلى الرغم من ذلك تحرك فخذ الله ذكره في الآخرين قال الله تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" (يس: ٢٠-٢٧)

ويأتي رجل ليس بنبي، بل رجل عادي. تخيل معي أخي، لو أن المدينة التي تعيشين فيها بها ثلاثة أنبياء، هل هناك حاجة إليك؟ بالطبع هناك حاجة إليك.

كان من الممكن جدًا ألا يبالى هذا الرجل، ويقول: وما دخلي أنا؟ ولا حظوا أنه جاء من أقصى المدينة، أي ليس من أثرياء البلد، ولا من أصحاب النفوذ، فمن المحتمل أن يقتل ولن يعبئوا به، فلماذا يقدم على دعوة هؤلاء القوم؟

لم يستطع السكوت أو الجلوس في مكانه، بل دعا بكل إصرار وعزيمة، وانظروا معي، من أعلى مقامًا وأعلم وأتقى؟ الرجل أم الأنبياء الثلاثة؟ الأنبياء بالطبع، لكن القرآن ركز على الرجل، لماذا؟ لكي يخبرك بأنك عظيم وغالي عند الله إن كنت إيجابيًا، لا تنقص من قدر نفسك أمام الدعوة، بل ادعوا إلى الله أنت أيضًا.

ثالثاً: دعوى أن المبادرة، مدعاة للرياء:

هذه حيلة شيطانية، تحول بين الإنسان وبين العمل الصالح. إذا صلحت نيتك الأولى لم يضررك ما قد يقع من ثناء الناس، أو حصول مغنم، بادر في هذا المشروع الطيب، وكن رأساً فيه، فإذا رأيت من هو أولى منك، فكن عوناً له.

قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قال يزيد بن هرون طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله

رابعاً: التربية الرخوة:

ومن أسباب السلبية تربية الجيل على الترهل وعدم التمرج وعلو سلبية فيخرج الولد كلا لا يستطيع ان يطعم نفسه.

فهو أما نائم أو هائم على وجهه إما شبكات التواصل الاجتماعي

فتأملوا كيف كانوا يربون أبنائهم على خشونة العيش ويعدونهم للإيجابية الفعالة

فهذه صفية - رضي الله عنها كانت تضرب الزبير - رضي الله عنه - وهو صغير وتغلظ

عليه، فعاتبها نوفل وقال: ما هكذا يضرب الولد، إنك لتضربينه ضرب مبغضة فرجرت به صفية:

من قال إنني أبغضه فقد كذب ... وإنما أضربه لكي يلب

ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ... ولا يكن لماله خبأ مخب

يأكل في البيت من تمر وحب

الدعاء

من وحي الهجرة محبة الأوطان

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببه ثم أما بعد:

أمة الحبيب الأعظم نقف اليوم مع ذلك الوطن المجروح في أبنائه وشباب من أناس لا يخافون الله تعالى وأصبحت إراقة الدمة أمرا سهلا هينا عند هؤلاء فهم يقتلون لأدنى شبهة يخربون الأوطان ويدمرون البنيان ويشعلون النيران حالهم كما قال الشاعر

بعضي على بعضي يجرد سيفه والسهم مني نحو صدري يرسل

النار توقد في خيام عشيرتي وانا الذي يا للمصيبة اشعل

أناس لا يقدون وطننا يذكر فيه اسم الله وترفع فيه الجمع والجماعات
تعالى يا أمة محمد لنعيش مع الوطن ومدلوله ومحبه ووجوب الذود عنه.

📌 تعريف الوطن في اللغة:

في اللغة :- قال ابن منظور في لسان العرب

الوطن المنزل الذي تقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحلّه يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه .

وقال الزبيدي :- الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحلّه وجمعها أوطان .

تعريف الوطن اصطلاحاً:

١- عرف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله (الوطن الأصلي هو مولد الرجل ، والبلد الذي هو فيه . (١)

٢- عند الرجوع إلى كتب المعاجم والموسوعات ، وخاصة السياسية منها نجد أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي

أ) ففي المعجم الفلسفي يقول (الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة والوطن الأصلي : هو المكان الذي ولد فيه أو نشأ فيه .

ب) في معجم المصطلحات السياسية الدولية: الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها ، وانتهائه إليها.

من هذه التعريفات توصل الدكتور زيد العبد الكريم الزيد إلى أن الوطن المراد هنا هو الوطن الخاص ، الذي يلد الشخص ولادة ونشأة أو نشأة فقط .

وتعارف الناس عليه في العصر الحاضر بالحصول على الجنسية ، أو رابطة الجنسية وهو لبنة متماسكة في بناء الوطن العام الذي يحد بالعقيدة الإسلامية ولا يحد بحدود جغرافية.

🔴 وجوب محبة الأوطان :

واعلم - علمني الله تعالى وإياك - أن محبة الأوطان واجبة على أهل الإيمان و الذي يتأمل القرآن الكريم يجد أن الله تعالى سوى بين القتل و بين الخروج من الأوطان فدل ذلك على أن الوطن و محبته مركوزة في نفسية الإنسان قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾

[النساء: ٦٦] ؛ فقرن جل شأنه الجلاء عن الوطن بالقتل ، وهو بمفهومه - عباد الله - يفيد أن الإبقاء فيه عديل الحياة ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٦] ؛ فجعل القتال ثأراً للجلاء .

أيها المؤمنون: وإذا كان هذا الحب قائماً في نفوس البشر كلُّ لوطنه فكيف الأمر في هذا الوطن المبارك؛ بلد التوحيد والعقيدة، ومهد السنة والرَّسالة، ومهبط الوحي ومأرز الإيمان، وأرض الحرمين، وقبلة جميع المسلمين؟!

أيها المؤمنون: إن الوطن المسلم القائم على الشرع المقيم لحكم الله جل وعلا قد اجتمع لأهله حبان:

- حب فطري وهو المتقدم ذكره.
- وحب شرعي وهو ذلكم الحب العظيم المبني على الصلاح والإصلاح.

🔴 دعاء الأنبياء لأوطانهم:

أمة الحبيب الأعظم محمد ﷺ ومن حب الأوطان الدعاء لها بالخير و النماء و العافية من البلاء، وهذا من شان الأنبياء و الصالحين أن يسألوا الله تعالى أن يبارك لهم في أوطانهم

* دعا إبراهيم الخليل - ﷺ - لمكة { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: ٣٥] فدعوة إبراهيم تركزت علي الآن والرزق وهو ما يعني الآن الاقتصاد في التوقيت المعاصر

* دعاء النبي - ﷺ - للمدينة وقد دعا النبي ﷺ للمدينة قَالَتْ عَائِشَةُ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

كان صحابة رسول الله ﷺ يطلبوا الدعاء من النبي صلوات الله عليه وسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». دعا النبي ﷺ لوطنه، فالمرء الصالح يتمنى الخير لموطنه، ويغض كل ما يسوء إلى وطنه، ويرى وطنه أنها أجمل وأفضل بقاع الأرض مهما فعلوا فيه أهلها.

الهجرة و محبة الوطن و الشوق إليه:

حب الوطن والالتصاق به والإحساس بالانتماء إليه، شعور فطري غريزي يعم الكائنات الحية ويستوي فيه الإنسان والحيوان، فكما أن الإنسان يحب وطنه ويألف العيش فيه ويحن إليه متى بعد عنه، فإن الحيوانات هي أيضا تألف أماكن عيشها ومقارها ومهما هاجرت عن أوطانها خلال بعض فصول العام، هي ما تلبث أن تعود مشتاقة إليها. لقد فطر الإنسان على أمور عديدة، من تلك الأمور أن يحب المرء ماله وولده وأقاربه وأصدقاءه، ومن هذه الأمور كذلك حب الإنسان لموطنه الذي عاش فيه وترعرع في أكنافه، وهذا الأمر يجده كل إنسان في نفسه، فحب الوطن غريزة متأصلة في النفوس،

تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هوجم، ويغضب له إذا انتقص.

ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه فإنّ حنين الرجوع إليه يبقى معلقاً في ذاكرته لا يفارقه، ولذا يقول الأصمعي: "قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوانات: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بها بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجذباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعا".

قال عمر رضي الله عنه: "عَمَّرَ الله البُلدان بحبِّ الأوطان".

وكان يقال: لولا حبُّ الناس الأوطان لخسرت البُلدان.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألّفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

حنين الصحابة رضي الله عنهم إلى مكة: فقد حن أصحاب النبي ﷺ إلى أوطانهم

وانشدوا في ذلك

وقد صورّ النبي الكريم ﷺ هذه المشاعر في كلمات مؤثرة خاطب بها بلد الله الحرام.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: "أما والله لأخرج منك، وأني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ، وأكرمه على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت")^(١).

وفي رواية: أن النبي ﷺ لما خرج من الغار التفت إلي مكة، وقال :

^١ - أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ٥/٦٩ (٢٦٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع ٣/٢٨٣: "رجاله ثقات"، وأخرجه ابن سيد

الناس في "عيون الاثر" ٦/٢١٩ بسنده

(أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلىي ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك ، فأعدى الأعداء من عدا على الله في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول (١) الجاهلية). فانزل الله على نبيه ﷺ {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ لَهُمْ} (محمد : ١٣) . (٢).

وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: (ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي! ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك) (٣) .

إن حب الوطن فطرة إنسانية، ولم تزل الشعوب على اختلاف عقائدها وميولها أجناسها متفقة على هذه الفضيلة، متجاوبة المشاعر مع هذه الفطرة.

روى ابن شهاب الزهري قال: (قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي ﷺ ، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت له: يا أصيل، كيف عهدت مكة؟ قال: عهدها قد أخصب جنابها، وايضت بطحاؤها. قالت: أقم حتي يأتيك رسول الله ﷺ. فلم يلبث أن دخل عليه النبي ﷺ ، فقال: (يا أصيل، كيف عهدت مكة؟) قال:

١ - الدُّحُول: جمع دَحَل ، وهو العداوة ، وهو أيضا : الوتر وطلب المكافاة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح أو نحو ذلك . (النهاية ٢/ ١٥٥) .

٢ - نقله ابن كثير في تفسير الآية عن ابن أبي حاتم بإسناده ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٨ إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه .

٣ - أخرجه الترمذي - وقال : "حسن غريب من هذا الوجه" - في كتاب : المناقب ، باب : في فضل مكة ٥/ ٦٧٩-٦٨٠ ، والطبراني في الكبير ١٠/ ٣٢٥ ، ٣٢٩ (١٠٦٢٤ ، ١٠٦٣٣) ، وصححه ابن حبان ٩/ ٢٣ (٢٧٠٩) ، والحاكم ١/ ٤٨٦ ووافقه الذهبي .

عهدتها والله قد أخصب جنبها، وابتضت بطحاؤها ((١)، وأعذق إذخرها، وأسلم
ثُمَّامُها، وأمَّشَرَ سَلْمُها(٢). فقال: حسبك يا أَصِيل لا تُخْزِنًا(٣).

وفي رواية أنه قال له: (يا أَصِيل، دع القلوب تقرر) (٤).

ورواه الحسن، عن أبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه، أنه قدم على النبي ﷺ، فقال
له: (يا أَبَان، كيف تركت أهل مكة؟) قال: تركتهم وقد جَيَّدُوا. وذكر نحو حديث أَصِيل
أقول قولي ها واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

وكان صلى الله عليه وسلم يسمع كلام أصحابه رضوان الله عليهم في الحنين إلى مكة،
فيرق لحالهم، ويقدر عواطفهم، ويدعو لهم بأن يحبب الله إليهم المدينة كما حبب إليهم
مكة.

١ - أخصب جنبها: أي أخصبت ناحيتها، والجنب، بالفتح: الفناء، وما قرب من محلة القوم، والجمع: أجنة، يقال: أخصب
جنب القوم، وفلان خصيب الجنب، وجديب الجنب، وتقول: مروا يسرون جنابه، أي ناحيته (الصحاح للجوهري
١/١٠٢).

والبطحاء، والأبطح: مسيل واسع وفيه دقاق الحصى، وبطحاء مكة: مسيل واديه (انظر: الصحاح للجوهري ١/٣٥٦،
والنهاية ١/١٣٤).

٢ - قال ابن الأثير في "أسد الغابة" ١/١٢١-١٢٢: "قوله (أعذق إذخرها): أي صارت له أفنان كالعدوق، والإذخر: نبت
معروف بالحجاز. و"أسلب ثَمَامُها": أي أخوص، وصار له خوص، والثمام: نبت معروف بالحجاز، ليس بالطويل. وقوله
"أمَّشَرَ سَلْمُها": أي أورد وأخضر.

٣ - مرسل، ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة" ١/١٢١ نقلاً عن ابن عبد البر وأبي موسى. وأخرجه الخطابي في غريب الحديث
٢٧٨/١ بسنده إلى ابن شهاب الزهري

٤ - عزاه ابن حجر في الإصابة ١/٥٣ (٢١٣) في ترجمة "أصِيل" لأبي موسى في الذيل

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ^(١)) (أبو بكرٍ وبلالٌ). قالت: فدخلتُ عليهما، فقلتُ: يا أبت، كيف تجدك؟ يا بلالٌ، كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله والموتُ أدنى من شِراك نعله^(٢) [١٢]

وكان بلالٌ إذا أُلِّقَ عنه الحمى يرفع عقيرته^(٣)، ويقول:

ألا ليتَ شعري هل أبِيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولى إذ خَرَّ وجليل^(٤)

وهل أَرَدَنُ يوماً مياه مَجَنَّةً وهل يَبْدُونُ لى شامةً وطَفيلاً^(٥)

^١ - وُعِكَ، بضم أوله وكسر ثانيه: أي أصابه الوعك، وهي الحمى (فتح الباري ٧/ ٢٦٢، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢).

^٢ - مُصَبِّحٌ، بوزن محمد: أي مصاب بالموت صباحاً. وقيل: المراد أنه يقال له وهو مقيم بأهله: صبحك الله بالخير، وقد يفجؤه الميت في بقية النهار، وهو مقيم بأهله.

والشِّراك، بكسر المعجمة وتخفيف الراء: السير الذي يكون في وجه النعل، والمعنى: أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك نعله لرجله، (فتح الباري ٧/ ٢٦٢-٢٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٢)

^٣ - أي يرفع صوته ببكاء أو غناء.. قال الأصمعي: أصله أن رجلاً انعقرت رجله، فرفعها على الأخرى، وجعل يصيح، فصار كل من رفع صوته يقال: رفع عقيرته، وإن لم يرفع رجله. (فتح الباري ٧/ ٢٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٤٣٣).

^٤ - بوادٍ: أي بوادي مكة. وجليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها (فتح الباري ٧/ ٢٦٣). وقال ابن الأثير: "الجليل: الثمام، واحده جلييلة، وقيل: هو الثمام إذا عظم وجل" (النهاية ١/ ٢٨٨).

^٥ - مجنة - بفتح الميم وتشديد النون المفتوحة وآخره تاء مربوطة - موضع على أميال من مكة، كانت إحدى أسواق العرب في الجاهلية، تقوم في العشر الآخر من ذي القعدة (انظر فتح الباري ٧/ ٢٦٣)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة ص ٢٨٢) وشامة - بالشين المعجمة وألف وميم مخففاً: جبل بالساحل جنوب غربي مكة، مر بقربه طريق اليمن المزفت، تجاوره حرة تسمى "طفيلاً" - بفتح الطاء المهملة وكسر الفاء، ثم مشاة تحت ولام - وتقرن معه، فيقال: شامة وطفيلاً، وهما من ديار الجحدالة من كنانة (معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص ١٦٧، ١٨٧).

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومُدّها، وانقل حمّاها فاجعلها، بالجحفة" (١).

زادت في رواية أنه ﷺ قال: "اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة ابن ربيعة، وأمّية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الرباء" (٢).

ولم يزل هذا الحنين إلى البلد الحرام يزداد، حتى فتحها الله عليه، فدخلها قائداً فاتحاً مظفراً، ولم يفتأ يخاطبها بنفس الشوق الذي خاطبها به يوم اضطر إلى الخروج منها.

فعن عبد الله بن عدى بن سمراء الزهري رضي الله عنه (صحابي جليل أسلم عام الفتح) قال: (رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزوة^(٣))، فقال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (٤).

ويرحم الله البوصيري حيث قال:

ويح قوم جَفَوْا نبيّاً بأرضٍ أَلْفَتْهُ ضبابها والظباءُ

١ - والحديث أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة ٢٦٢/٧
(٣٩٢٦) وانظر أرقام (١٨٨٩، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧) ومختصراً (٦٣٧٢)، ومسلم مختصراً في كتاب: الحج، باب: الترغيب في -
سكنى المدينة والصبر على لأوائها ٢/٣٠٠١ (١٣٧٦/٤٨٠)،
٢ - أخرجه البخاري في كتاب: فضائل المدينة، باب: ٤٠٠٠/٩٩ (١٨٨٩)
٣ - حزورة - بوزن قسورة - معناها: الراية الصغيرة، أو التل الصغير، وهي موضع بمكة عند باب الحناتين (النهاية ١/٣٨٠)
وهي ما يعرف اليوم باسم "القشاشية": مرتفع يقابل المسعى من مطلع الشمس، وكان - ولا يزال - سوقاً من أسواق مكة. (معجم
المعالم الجغرافية في السيرة ص ٩٨)
٤ - أخرجه الترمذی - وقال: حسن غريب صحيح - في كتاب: المناقب، باب: في فضل مكة ٦٧٩/٥ (٣٩٢٥) وابن ماجه في
كتاب: المناسك، باب: فضل مكة ١٠٣٧/٢ (٣١٠٨)، وأحمد ٤/٣٠٥، وصححه ابن حبان ٢/٢٩ (٣٧٠٨)، والحاكم على
شرط الشيخين ٣/٧، ٢٨٠، ٤٣١، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٥١٧-٥١٨. وللحديث طرق أخرى عن أبي
هريرة، والاصح أن الحديث عن عبد الله بن عدى. (انظر: البداية والنهاية ٣/٢٠٣-٢٠٤).

وَسَلَّوْهُ وَحَنَّ جَذَعٌ إِلَيْهِ وَقَلَّوْهُ وَوَدَّهَ الْغُرَبَاءُ

ولو لا نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد لم ينزل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ﴾ (القصص: من الآية ٨٥)، وقد صدق ابن الرومي حيث قال:

وَحِبُّ أَوْطَانِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَأْرَبُ قَضَائِهَا الْفُؤَادِ هُنَالِكَ

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدُ الصَّبِيِّ فِيهَا فَحَنُوا لَذَالِكَ

وجاءت أشعار السلف في التعبير عن حُبهم لأوطانهم، وشغفهم وحنينهم إليها تترأ، فهذا أبو بكر العلاف أنشد يقول:

كَمَا تُؤْلَفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ سِوَى أَنَّهَا وَطَنٌ

وأنشد علي بن محمد التنوخي:

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُشْتَاقٍ إِلَى وَطَنٍ بَكَى وَحَنٌ إِلَى أَحِبَابِهِ وَصَبَا

الدعاء



من وحي الهجرة «إنزال الله الطمأنينة والسكينة على قلب المؤمن في الشدائد

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي الباقي... الذي أضاء نوره الآفاق... ورزق المؤمنين حسن الأخلاق...
وتجلت رحمته بهم إذا بلغت أرواحهم التراق... نحمده تبارك وتعالى ونستعينه على
الصعاب والمشاق... ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشك والشرك
والشقاق... ونسأله السلامة من النفاق وسوء الأخلاق...

وأشهد أن لا إله إلا الله القوى الرزاق... الحكم العدل يوم التلاق... خلق الخلق فهم في
ملكه أسرى مشدودو الوثاق... أنذر الكافرين بصيحة واحدة ما لها من فوق... وبشر
الطائعين بسلام الملائكة عليهم إذا التفت الساق بالساق... أرسل الرسل وأنزل الكتب
ليعلم الناس أن إليه يومئذ المساق...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المتمم لمكارم الأخلاق... لم يكن لعانا ولا سبابا
ولا صخابا في الأسواق...

خير من صلى وصام ولبي وركب البراق... وأول الساجدين تحت العرش يوم يكشف عن
ساق... جاهد في سبيل الله منصورا معصوما من الإخفاق... وترك فينا ما إن تمسكنا به
علمنا أن ما عندنا ينفد وما عند الله باق...

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما تعقب العشى الإشراف... وما دام القمر متنقلا في منازل من
التمام إلى المحاق...

معنى السكينة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: السكينة... أخبر سبحانه وتعالى عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب. كيوم الهجرة، هو وصاحبه في الغار والعدو فوق رؤوسهم، لو نظر إلى ما تحت قدميه لرأهما. وكيوم حنين، ولّوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد على أحد. وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس. وحسبك بضعف عمر عن حملها وهو عمر، حتى ثبتّه الله بالصديق...

قال العلامة السعدي رحمه الله: السكينة: ما يجعله الله في القلوب، وقت القلاقل والزلازل والمفطعات ما يثبتها ويسكنها، ويجعلها مطمئنة.... وهي السكون والطمأنينة والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة التي تشوش القلب وتزعج الأبواب، وتضعف النفس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه. وهي التي نزلت على قلب النبي ﷺ، وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع قوة وروحا، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر... فالسكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش، واللغو والهجر، وكل باطل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه.

وهذا جانب مفقود في حياة البعض من المسلمين؛ لتقصيرهم في البحث عنها وفق أسبابها الجالبة لها، أو في ارتكابهم لما يذهبها من الآثام الجالبة للقلق والاضطرابات النفسية، وقد ورد في السنة النبوية ذكر السكينة في مواضع كثيرة يمكن التأمل فيها بصورة إجمالية لاستخراج مواطنها، وأسباب الحصول عليها، فهي وإن كانت هبة ربانية، لكن جزءاً منها كسبيّ يمكن تحصيله.

طمأنينة القلب، وسكينة النفس التي يرزقها الله عز وجل عبده المؤمن عند الشدائد، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو بشركما قال الله عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الكهف: ١١٠]-

الهجرة النبوية ونزول السكينة الإلهية: انزل الله السكينة على رسوله و صاحبه وهو في الغار، والقوم قد وقفوا على رأس الغار، وأبو بكر رضي الله عنه بحكم بشريته تدمع عيناه، ويرجف فؤاده حذراً على رسول الله ﷺ، فيقول له النبي ﷺ: (ما شأنك يا أبا بكر؟! قال: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ - تلك الكلمة الخالدة-: يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما)، وخلد الله تلك المقولة في القرآن فقال: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠].

وهنا قد يحلو لبعض أهل الشغب أن يقولوا: بكاء أبي بكر دليل على ضعف إيمانه.

نقول: لا والله حاشاه ذلك:

أولاً: أن أبا بكر لو كان خائفاً على نفسه فلا حرج، فالقرآن الكريم ذكر عن موسى أنه خاف، وموسى نبي مكلم، قال الله عز وجل عنه: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢١] أي: من فرعون، وموسى عليه السلام قال مثل ذلك لفرعون: {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ٢١].

ثانياً: والله ما خاف أبو بكر على نفسه، وإنما كان خوفه على رسول الله ﷺ، ودليل ذلك: أن أبا بكر في طريق الهجرة -كما تواترت الأخبار- تارة كان يمشي أمام النبي عليه

الصلاة والسلام، وتارة خلفه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فقال له ﷺ: (ما تصنع يا أبا بكر؟! قال: يا رسول الله! أتذكر الرصد - أن هناك إنساناً يرصدك - فأمشي أمامك، وأتذكر الطلب - الذي كان يطلبك - فأمشي من ورائك، وأتذكر العدو عن يمينك وعن شمالك، فأمشي عن يمينك وعن شمالك، فقال له ﷺ: يا أبا بكر! أتحب أن ينزل بك المصاب دوني؟! قال: نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله).

ثم لما وصلوا إلى غار ثور قال أبو بكر للنبي ﷺ: على رسلك، فدخل رضي الله عنه وتحسس جبال الغار، فما وجد فتحة إلا قطع من رداءه وسدها، حتى أَمَّنَ الغار، ثم طلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يدخل.

أهذا صنيع من يخاف؟! لا والله! ثم لما دخل النبي ﷺ الغار توسد قدم أبي بكر، فلدغته عقرب عدة مرات وهو لا يتحرك من مكانه؛ كراهة أن يؤذي رسول الله ﷺ، فلما استيقظ عليه الصلاة والسلام ورأى ما في أبي بكر من الأذى والألم تفل على موضع الألم فكأنه لم يكن.

لذلك ينبغي لنا أن ننزل أبا بكر منزلته وأن نثبت له ما أثبتته القرآن من الفضل، فقد أثبت له الصحبة قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} [التوبة: ٤٠].

فهناك نبي الله موسى عليه السلام قال: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦٢]، وهنا الرسول ﷺ قال: (إن الله معنا) معي ومعك يا أبا بكر! أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الاقتداء بأبي بكر، وأن يرزقنا محبته، وأن يوفقنا لنصنع ما صنع.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

مواطن السكينة وأسبابها الجالبة لها:

أولاً: عند تنزل الوحي، ففي سنن أبي داود عن زيد بن ثابت قال: كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة، فوقعت فخذ رسول الله ﷺ على فخذني، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فخذ رسول الله ﷺ لم، ثم سري عنه، فقال: «اكتب» فكتبت في كتف: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] إلى آخر الآية.

ثانياً: عند تلاوة القرآن من مواطن السكينة وأسباب تحصيلها، فقد ثبتت الروايات التي تدل على أن الملائكة يحبون سماع القرآن، وتنزل معهم السكينة، وهي الطمأنينة والرحمة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (١)

وفي صحيح ابن حبان عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: إن رجلاً كان يقرأ سورة الكهف ودابته موثقة، فجعلت تنفر، ترى مثل الضباب أو الغمامة قد غشيتها، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: «اقرأ يا فلان، تلك السكينة أنزلت عند القرآن، أو للقرآن». وفي رواية البخاري: «السكينة تنزلت بالقرآن» (٢)، أي: بسبب القرآن. والقارئ هو أسيد بن حضير كما في بعض الروايات الأخرى، وقد كان حسن الصوت بالقرآن.

١ - أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢٩ / ٨ و ٥ / ٨٥ - ٨٦، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥) و (٤٩٤٦)، وابن ماجه (٢٢٥)

٢ - «وأخرجه الطيالسي ٣ / ٢، وأحمد ٤ / ٢٨١ و ٢٨٤، والبخاري (٣٦١٤) في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٧٩٥) (٢٤١) في صلاة المسافرين: باب نزول السكينة لقراءة القرآن،»

وقد ثبت في بعض الروايات أن الملائكة هي التي تنزلت، قال ابن بطال: في هذا الحديث أن أسيد بن الحضير رأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، وقال ﷺ: "تلك الملائكة تنزلت للقرآن" فمرة أخبر عن نزول السكينة، ومرة أخبر عن نزول الملائكة، فدل على أن السكينة كانت في تلك الظلة، وأنها تنزل أبداً مع الملائكة، وهو طبق ترجمة البخاري. باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن.

ثالثاً: الجهاد في سبيل الله من مواطن تنزل السكينة، وقد أخبر الله تعالى بتنزل السكينة على قلب رسول الله ﷺ وعلى قلوب المؤمنين في مواطن الجهاد والهجرة، وفي أشد الأحوال وأحلك الظروف، فتثبت قلوبهم، وتطمئن لنصر الله وتمكينه، ففي مسند الإمام أحمد قال عبد الله بن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، قال: فولى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً، ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً، فحادث به بغلته، فمال عن السرج، فقلت له: ارتفع رفعك الله، فقال: «ناولني كفا من تراب» فضرب به وجوههم، فامتألت أعينهم تراباً، ثم قال: «أين المهاجرون، والأنصار؟»، قلت: هم أولاء، قال: «اهتف بهم» فهتفت بهم، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم. (١)

رابعاً: الدعاء بإنزال السكينة، كما في الصحيحين عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، قال: كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب، ولقد وارى التراب بياض بطنه،

١ - «أحمد ١ / ٤٥٣، والبخاري ١٠ / ١٦٩ (١٠٣٥١)، وصححه الحاكم ٢ / ١١٧، وتعقبه الذهبي بقوله: الحارث وعبد الواحد تحرف فيه إلى عبد الله ذوا مناكير، وهذا منها، ثم فيه إرسال، وقال الهيثمي ٦ / ١٨٠: رجال أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وهو ثقة، وله شاهد صحيح من حديث البراء عند البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).»

وهو يقول: والله لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينه علينا، إن الألى قد أبوا علينا - قال: وربما قال: إن الملا قد أبوا علينا - إذا أرادوا فتنة أبينا، ويرفع بها صوته. (١)

خامسا: الحياء من أسباب الحصول على السكينة: إخوة الإسلام: ومن أسباب حصول السكينة الحياء ففي الصحيحين عن عمران بن حصين، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» فقال بشير بن كعب: " مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارا، وإن من الحياء سكينة". (٢)

وقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن القرطبي قال في معنى كلام بشير بن كعب: إن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التي لا تليق بذي المروءة. (٣)

١ - «أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٥٩٣)، وأحمد (١٨٦٧٨)، والدارمي (٢٦١٢)، والبخاري (٦٦٢٠) ومسلم (٤٦٩٤)، والنسائي

(٨٨٠٦)، وأبو يعلى (١٧١٦).»

٢ - «البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٧) واللفظ له، ومسلم (٣٧)»

٣ - «فتح الباري» لابن حجر (١٠ / ٥٢٢ ط السلفية)

النبي ﷺ وأم معبد رضي الله عنها

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ كَمَّلَ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ مَقَامَهُ وَعَظَّمَ جَنَابَهُ، وَأَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً اتِّبَاعَهُ، وَقَدْ حَازَ الْفَضْلَ وَالشَّرَفَ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَهُ، وَاقْتَنَى أَثَرَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، ويقول عزَّ من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأم معبد أسلمت مع زوجها أبو معبد وقد ذكرهما الحافظ بن حجر في كتابه الإصابة من جملة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: (أم معبد الخزاعية التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر مشهورة بكينيتها، واسمها عاتكة بنت خالد...) انتهى.

وقال أيضاً: (وفي آخره -أي حديث أم معبد، عند البغوي قال عبد الملك بلغني أن أم معبد هاجرت وأسملت، قال البخاري هذا مرسل. وأبو معبد مات قبل النبي ﷺ.) انتهى.

واسم أبي معبد -أكثم- قاله أبو الفتح الأزدي الموصلي في كتابه أسماء من يعرف بكنيته، روى البيهقي وغيره ^(١) عن أخي أم معبد حبش صاحب رسول الله ﷺ قال: لما خرج رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وابن أريقط يدلهم على الطريق مروا بقديد - على أم معبد: عاتكة بنت خالد بن خليلد ^(٢) الخزاعية، وكانت برزة ^(٣)، جلدة ^(٤)، تحبني بفناء القبة ^(٥)، ثم تسقي وتطعم من يمر بها، وكان القوم مرملين ^(٦) مستنين ^(٧)، فسألوها: هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا، وقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ^(٨).

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ^(٩) خلفها الجهد ^(١٠) عن الغنم، فسألها رسول الله ﷺ: «هل بها من لبن؟» فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: «أتأذنين لي أن أحلبها ^(١١)؟» فقالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت حلبا ^(١٢) فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها ^(١٣)، ومسح ضرعها - وفي رواية وظهرها - وسمى الله - وفي رواية: ودعا لها في شائها -

^١ - ورواها أيضا ابن خزيمة، والحاكم وصححه، وصاحب الغيلانيات، ومن طريقه اليعمرى عن أبي سليط الأنصاري البصري، وابن عبد البر، وابن شاهين، وابن السكن، والطبراني وغيرهم.

^٢ - على صيغة المصغر كما صرح به ابن الأثير في الجامع، وقيل: ابن خنيف مصغرا، وقيل ابن منقذ، وهي صحابية خرج لها ابن السكن.

^٣ - كضخمة عفيفة مسنة فلم تتخدر لسنها، وخرجت من حد المحجوبات.

^٤ - قوية.

^٥ - الفناء: المكان الواسع أمام البيت أو القبة وهي الخيمة.

^٦ - نفدت أزوادهم.

^٧ - أصابتهم سنة أي جذب

^٨ - القرى: إكرام الضيف أي ما منعناه عنكم.

^٩ - بكسر الكاف وفتحها: جانب الخيمة.

^{١٠} - بضم الجيم وفتحها: المشقة والهزال.

^{١١} - بضم اللام وكسر ها.

^{١٢} - أي لبنا في الضرع.

^{١٣} - وضع رجلها بين ساقه وفخذه.

فتفاجّت (١)، ودرّت، ودعا بإناء يربض (٢) الرهط، فحلب فيه ثجا (٣)، وسقى القوم حتى رووا، وسقى أم معبد حتى رويت، ثم شرب اخرهم وقال: «ساقى القوم اخرهم شربا» ثم حلب فيه مرة أخرى فشرّبوا عللا بعد نهل (٤)، ثم حلب فيه اخرا، وغادره عندها. وفي رواية أنه قال لها أن «ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك» - ثم ركبوا، وذهبوا.

فقلما لبث أن جاء أبو معبد (٥) زوجها يسوق أعززا عجافا (٦)، يتساوكن هزل (٧) لا نقي بهن (٨)، فلما رأى اللبن أبو معبد عجب، وقال: ما هذا يا أم معبد؟ أنى لك هذا؟! والشاء عازب، حيال (٩) ولا حلوب (١٠) بالبيت، فقالت: لا - والله - إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك فمن حاله كذا، وكذا (١١)، فقال: صفيه يا أم معبد، فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضأة (١٢) (٢٦)، مبلج الوجه (١٣)، حسن الخلق (١٤)، لم تعب ثجلة (١٥)، ولم تزر به صعلة

١ - فتحت ما بين رجليها كما هو شأن الغنم إذا حلبت.

٢ - أي يشبع الجماعة ويرويه حتى يربضوا: أي يناموا ويمتدوا على الأرض

٣ - أي حلبا كثيرا.

٤ - النهل: الشربة الأولى، والعلل: الشربة الثانية.

٥ - قال السهيلي: لا يعرف اسمه، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في حياته، وقال العسكري: اسمه أكثم بن أبي الجون، وقال الذهبي: قيل اسمه حبش بضم الحاء، وفتح الموحدة، وسكون الياء، اخره شين معجمة على الأصح، وقيل بمعجمة مضمومة ونون مفتوحة، وقيل: أكثم قديم الوفاة.

٦ - جمع عجفاء أي هزالا.

٧ - يتمايلن في مشيتهن من الهزال.

٨ - النقي: مخ العظام أي مخهن قليل.

٩ - العازب: بعيدة المرعى، الحيال: بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهي التي ليس بها حمل.

١٠ - ذات لبن.

١١ - كناية عن القصة التي حدثت بها.

١٢ - الحسن والبهجة.

١٣ - مشرقه.

١٤ - بفتح الخاء وسكون اللام، أو بضم الخاء واللام، وعرفت ذلك من تواضعه وحسن معاملته لرفقته.

١٥ - بفتح الثاء وسكون الجيم عظم البطن.

(^١) وسيم قسيم، في عينيه دعج (^٢)، وفي أشفاره وطف (^٣)، وفي صوته صحل (^٤)،
أحور (^٥)، أكحل (^٦)، أزج (^٧)، أقرن (^٨)، شديد سواد الشعر، في عنقه سطح (^٩)،
وفي لحيته كثائة (^{١٠})، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه
خرزات نظم يتحدرن (^{١١})، حلو المنطق، فصل (^{١٢})، لا نزر (^{١٣})، ولا هذر (^{١٤})، أجهر
الناس (^{١٥})، وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب (^{١٦})، ربعة لا تشنؤه (^{١٧}) من
طول، ولا تقتحمه (^{١٨}) عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا
وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به (^{١٩})، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا

^١ - صغر الرأس.

^٢ - شدة سواد العينين.

^٣ - أشفاره: رموش عينيه، وطف: طول وغزارة.

^٤ - بفتح الصاد والحاء بحة خفيفة فليس في صوته غلظ.

^٥ - الحور بفتح الحاء والواو: شدة بياض العينين، وشدة سواد سوادهما.

^٦ - الكحل بفتح الكاف والحاء: سواد في أجفان العينين خلقة، والرجل أكحل وكحيل، والمرأة كحلاء.

^٧ - دقيق الحاجبين في طول.

^٨ - مقرون الحاجبين.

^٩ - ارتفاع وطول.

^{١٠} - غزارة من غير دقة.

^{١١} - أي كلام متناسق، ومتصل بعضه ببعض، فأشبه في تناسقه الدرر، وفي تواليه الخرزات إذا تتابعت

^{١٢} - بسكون الصاد: أي كلام بين يفصل الحق من الباطل، أو تفسيره ما بعده.

^{١٣} - قليل الكلام.

^{١٤} - كثير الكلام فهو وسط بين هذا وذاك، والفضيلة وسط بين رذيلتين

^{١٥} - أرفعهم صوتا من غير إفراط مع الوضوح.

^{١٦} - أفرد الضمير حملا على لفظ الناس أو لإرادة الجنس.

^{١٧} - لا يبغض لفرط طوله.

^{١٨} - لا تتجاوز به إلى غيره ازدراء له وإعراضا.

^{١٩} - يحيطون به.

لأمره^(١) محفود محشود^(٢) ، لا عابس ، ولا مفند^(٣) . (فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قریش، لو رأيته لاتبعته، ولأجهدنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا^(٤)).

الذي ذكر لنا أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، فأصبح صوت بمكة علياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقي قالا خيمتي أم معبد

هما نزلاهما بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لاتجاري وسؤدد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدا للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت عليه صريحا ضرة الشاة مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد

فلما أن سمع حسان بن ثابت بذلك شبب يحيب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبهم وقدس من يسري إليهم ويغتدي

ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

^١ - تسابقوا إلى امثاله.

^٢ - محفود: مخدوم، ومن ذلك ما ورد في دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» ، محشود: عنده حشد وهم الجماعة.

^٣ - عابس: مقطب الوجه، والمفند بكسر النون مع التشديد اسم فاعل الذي يكثر من اللوم.

^٤ - شرح المواهب ج ١ ص ٤١٠-٤١٦؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٢-١٩٣.

وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمايتهم هاد به كل مهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد يسعد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدا للمؤمنين بمرصد

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

هكذا أيها الإخوة الكرام، كما حصل لأم معبد رضي الله عنها حينما نزل رسول الله ﷺ بساحتها، وحلّ بخيمتها، حلّت البركات، وهذا ليس لأم معبد وحدها، بل هي بركاته ﷺ التي أفاءها الله على العالمين، فإن بعثته رحمة للناس كافة؛ كما قال الله جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، بركات أولى الناس بها من اقترب منه عليه الصلاة والسلام، ومن كان حريصاً على متابعتها والاهتداء بهديه، ولذلك فإن الناس يتفاوتون في قربهم من نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام بحسب اقتنائهم لأثره واتباع سنته، وتعظيم جنباه والله جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فليكن هذا الأمر عندك يا عبد الله حاضراً في كل لحظة تأمل في مسالكك: هل أنت ممن عظم رسول الله ﷺ وأحبه حق الحب؟ إنه ليس شيء يُدعى، ولكنه شيء لا بد أن يصدق

بالأفعال والأقوال، هل أنت ممن إذا ذكر رسول الله ﷺ بادرت بالصلاة والسلام عليه، وحضر في خاطرك الشوق للقاءه، وتمنّي رؤيته، أم أنك لا تحفل بذلك؟ كل هذه أمور فيصّل في هذه الدعوى؛ حب رسول الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الإخوة الكرام، إن المتأمل في أحوال الأمة منذ بعث رسول الله ﷺ، فإن العين لا تخطئ أن أعظم الناس وأشرفهم وأجلهم مقداراً وفخاراً هم الذين اتبعوه واقتدوا آثاره، وعملوا بسنته ونشروها بين الناس، ودافعوا عن جنابه الشريف؛ لأن الله جل وعلا جعل هذه الأمور هي المعيار للفلاح: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ليس الفلاح ولا السؤدد بمال ولا جاه ولا منصب، ولا رتب ولا مراتب، ولكن الفلاح كل الفلاح والفخار كل الفخار، هو باتباع هذا النبي الكريم، وأن يكون الإنسان منطبقة عليه هذه الصفات التي ذكرها ربنا جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون، فهذه أم معبد رضي الله عنها لقيت رسول الله ﷺ لحظات سيرات لو قدرناها بوقتنا، لكانت لا تجاوز الساعة أو شيئاً يسيراً، لكنها رضي الله عنها سجّلت هذه الواقعة، فلم تزل مسطرة في كتب الأئمة، مشروحةً مُبيناً فيها ما وصفت به رسول الله ﷺ لما أُوتيت من البيان، وقد عاشت أم معبد رضي الله عنها بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الصحابة يقدّرونها ويعرفون لها فضلها، جاء عن هشام بن حرام عن أبيه أن أم معبد كانت تُجرى عليها كسوة وشيء من غلة اليمن وقطران لإبلها، فمرَّ عثمان رضي الله عنه مرةً، فقالت له: أين كسوتي؟ وأين غلة

اليمن التي كانت تأتيني؟ قال لها رضي الله عنه: هي لك يا أم معبد عندنا، واتبعته حتى أعطاهما إياها.

وذكر أيضًا فيما ذكر أن الشاة التي حلبها رسول الله ﷺ بقيت دهرًا طويلًا تحفل بالحليب، وذلك ببركة ملامسة رسول الله ﷺ لها، ولهذا نظائر في السيرة، ذلك أن أشياء بقيت أمدًا طويلًا من لباسٍ أو طعامٍ ببركة دعاء رسول الله ﷺ وملامسته لهذه الأشياء، بما جعل الله من البركة في ذاته الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه.

من وحي الهجرة {من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه}

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بأوصاف عظمته وكمال، وتقّس بعز كبريائه وجلاله،

وتوحد بالخلق والإبداع فلا شريك له في أفعاله، وعم كل مخلوق جزيل أفضاله ونواله،
هو الأول والآخر بالقدم والبقاء، الظاهر والباطن بالقهر والكبرياء، القدوس الصمد الغني
عن جميع الأشياء، الواحد الأحد المنزه عن جميع والأشباه والشركاء.

واشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير.

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

شفع نبيك في ذلي ومسكنتي واستر فانك ذو فضل وذو كرم

واغفر ذنوبي وسامحني بها كرما

وقد وعد بأن ندعو تجيب لنا

وقد دعونا فجد بالعفو الكرم

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيبيه

ألا يا رسول الله يا خير مرسل عليك صلاة الله لا تتناهى فيا فوز من صلى عليك من الورى
صلاة يعم الكون منها سناها عليك صلاة الله يا أشرف الورى محلا ويا أعلى البرية جاها
عليك صلاة الله ما سار راكب

عليك صلاة الله ما هبت الصبا وفاح بعرف المسك طيب شذاها

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي
يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد

إخوة الإسلام: حديثنا إليكم في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن هجرة رسول الله
صلى الله عيله وسلم لنستلهم منها الدروس والعبر ومن تلك العبر أن من ترك شيئا لله
عوضه الله خيرا منه فأعيروني القلوب والأسماع:

أولا سنة من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه: و تلك من سنن الله في خلقه أن من آثر رضاه على رضا غيره رضي الله عنه و أَرْضَى عنه الناس و من ترك المحرمات لله عوضه الله خيرا منها من الحلال إن من آثر الحياة الآخرة على الدنيا حصل له نعيم الآخرة والدنيا لأن عمل الآخرة يسير على من يسره الله عليه ولا يفوت من الدنيا شيئا فإن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه والله سبحانه وتعالى يقول: { **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } ، قال تعالى: { **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ** } أما من آثر الحياة الدنيا على الآخرة فإنه قد يؤتى من الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من نصيب: { **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** } { **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } .

قال قتادة بن دعامة السدوسي التابعي الجليل: لا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَّعِي لَيْسَ بِهِ إِلَّا مخافة الله عز وجل إلا أَبْدَلَهُ في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خَيْرٌ له من ذلك.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما من عبد ترك شيئا لله إلا أَبْدَلَهُ الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به عبد فأخذ من حيث لا يصلح إلا آتاه الله بما هو أَشَدَّ عليه. ^(١)

وعن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً: ما ترك عبد شيئا لله لا يتركه إلا له عوض الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه. ^(٢)

وعن أبي قتادة وأبي الدهماء وكنا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال: (إنك لا تدع شيئا إتياء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيراً منه). ^(٣)

(١) - رواه وكيع في الزهد (٦٣٥/٢) وهناد رقم (٨٥١) وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/١) وإسناده لا بأس به

(٢) - أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٦/٢)

(٣) - رواه أحمد (٣٦٣/٥) وإسناده صحيح ورواه البيهقي (٣٣٥/٥) ووكيع في الزهد والقضاعي في مسنده.

ثانيا هجرة خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام و تعويضه خيرا مما ترك :

وها هو خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما اعتزل قومه و هاجر بدينه يعوضه الله جل جلاله الخير العظيم في الدنيا و الآخرة { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } [الأنعام:

[٨٤، ٨٥]

يقول ابن كثير رحمه الله : وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته، بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا [مريم: ٤٩] وقال هاهنا ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا. (١)

قال السعدي - رحمه الله - : «ولما كان مُفَارَقَةُ الإنسان لوطنه ومَأْلَفِهِ وأهله وقومه من أشق شيء على النفس لأمر كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يَتَعَزَّزُ بهم ويتكثر، وكان من تَرَكَ شيئاً لله عَوَّضَهُ الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه - قال الله في حقه { فَلَمَّا اغْتَرَزْلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا } - من إسحاق ويعقوب - { جَعَلْنَا نَبِيًّا }؛ فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المُرسَلين إلى الناس الذين خَصَّهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين» (٢)

ثانيا: الهجرة النبوية وقاعدة من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

إخوة الإسلام: إذا أردنا أن نطبق هذه القاعدة على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لرأينا ذلك واضحا جليا في مواقف كثيرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرم وإليكم بيان ذلك بحول الله وطوله:

(١) - تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/ ٢٦٦)

(٢) - - كتاب القواعد والأصول وتطبيقات التدبر - خامسا قواعد قرآنية ص ٨١

أولاً: تركوا الوطن والأهل لله تعالى فعوضهم الله بذلك المدينة وإخوة الأنصار وهم خير من أهل مكة:

فقد ضاقت الأرض بما رحبت على النبي ﷺ وعلى أصحابه الكرام فقد ذاقوا من ألوان العذاب والتنكيل والتضييق ما دفعهم إلى أن يتركوا أوطانهم التي تربوا فيها وعشقوا ترابها بل تركوا أهليهم وأموالهم كل ذلك في سبيل الله تعالى ونصرة دينه قال الله تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)}

فهاجروا إلى المدينة فكانت المكافاة من الله جل جلاله فأبدلهم خيراً منهم إنهم الأنصار الذين نصرنا رسولنا ﷺ وأصحابه الأطهار واقتسموا معهم أموالهم وديارهم قال الله تعالى {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)} وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { [الحشر: ٨،

[٩]

ثانياً: سراقه بن مالك يترك ومطاردة النبي وجائزة مكة فيعوضه الله جل جلاله سوارى كسرى:

فقد رصدت قريش جائزة كبرى لمن يأتي بالنبي وصاحبه فعن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم المذليجي، عن أبيه مالك بن جعشم، عن أخيه سراقه بن مالك قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجراً جعلت قريش لمن رده عليهم مائة من الإبل قال: فبينما أنا جالس إذ جاء رجل منا فقال: والله لقد رأيت ركبا ثلاثة مرؤوا علي أنفاً إنني لأراه محمداً

وَأَصْحَابَهُ قَالَ: فَأَوْمَاتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي أَنْ اسْكُتْ ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ بَنُو فُلَانٍ يَبْغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ
 قَالَ: لَعَلَّهُ قَالَ: فَمَكَّنْتُ قَلِيلًا ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي فَأَمَرْتُ بِفَرَسِي إِلَى بَطْنِ الْوَادِي وَأَمَرْتُ
 بِسِلَاحِي فَأَخْرَجْتُ مِنْ وَرَاءِ حَجَرٍ ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي لِأَسْتَقْسِمَ بِهَا ثُمَّ انْطَلَقْتُ فَلَبِسْتُ
 لَأَمْتِي ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ لَا يَضُرُّهُ قَالَ: وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ
 أَرُدَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فَأَخَذَ الْمِائَةَ، فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرِي بِي فَسَقَطْتُ عَنْهُ
 قَالَ: قُلْتُ: مَا هَذَا؟ ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ لَا يَضُرُّهُ
 قَالَ: فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتْبَعَهُ فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ فَبَيْنَا فَرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرِي بِي فَسَقَطْتُ عَنْهُ قَالَ:
 فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ لَا يَضُرُّهُ قَالَ: فَأَبَيْتُ
 إِلَّا أَنْ أَتْبَعَهُ فَرَكِبْتُ فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْقَوْمُ فَرَأَيْتُهُمْ وَفِي رِوَايَةٍ مَعْمَرٍ: حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ سَمِعْتُ
 قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يَلْتَفِتُ وَيُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ
 سَاحَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتِ الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَزْتُ عَنْهَا فَزَجَرْتُهَا فَتَمَعَّضَتْ فَلَمْ
 تَكَدْ تَخْرُجْ فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذْ لَأَثَرُ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ مِنَ الدَّخَانِ. وَفِي سِيَاقِ مُحَمَّدِ بْنِ
 إِسْحَاقَ وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ فَنَادَيْتُ: أَنَا سَرَّاقُهُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ أَنْظِرُونِي أَكَلَّمَكُمُ فَوَاللَّهِ لَا
 أُرِيكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: قُلْ لَهُ: مَا تَبْغِي
 مِنَّا؟ قَالَ: فَقَالَ لِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ: قُلْتُ: تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ لِي آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَالَ:
 اكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ قَالَ: فَكَتَبَ لِي كِتَابًا فِي عَظْمٍ أَوْ فِي رَقٍّ أَوْ فِي خِرْقَةٍ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيَّ،
 فَأَخَذْتُهُ فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي ثُمَّ رَجَعْتُ^(١)

عن الحسن أن رسول الله - ﷺ - قال لسراقه بن مالك: (كيف بك إذا لبست سوارى

كسرى؟)

(١) - أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم: ٣٩٠٦، فتح الباري: ٧/ ٢٣٨،

ومسلم في الزهد باب حديث الهجرة: ٢٠٠٩

قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقه بن مالك فألبسه إياها، وكان سراقه رجلاً أزب^(١) كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقه بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته، ثم أركب سراقه، وطيف به المدينة، والناس حوله، وهو يرفع عقيرته مردداً قول الفاروق: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقه بن جعشم أعرابياً من بني مدلج^(٢)

الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا من دلائل نبوته وصدق صلى الله عليه وسلم - والله أكبر فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

.....

ثالثاً: صهيب الرومي رضي الله عنه يترك ماله لله:

كان صهيب الرومي رضي الله عنه ممن شرح الله صدورهم للإسلام، وكان يعيش في مكة وبارك الله له في ماله، عندما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، فأتبعه نفر من قريش فقالوا له: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثرت مالك عندنا، فبلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟! والله لا يكون ذلك، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركام رجالاتكم، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي من يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دلتكم على مالي وخليتم سبيلي قالوا: نعم، ففعل.

فلما قدم على النبي - ﷺ - قال " ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع"، ونزل قوله تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٢٠٧) {٣}.

(١) - التزيب في الإنسان: كثير الشعر وطوله

(٢) - السيرة النبوية لأبي شعبة (١ / ٤٩٥).

(٣) - حديث صحيح أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٣ / ٢٢٨) والحاكم في "المستدرک" (٣ / ٣٩٨) وقال عقبه:

"صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وانظر "أسباب النزول" للواحدي (ص ٣٩)، و "فقه السيرة" (ص ١٦٦).

رابعاً: أسماء تشق نطاقها فيبدلها الله بهما نطاقين في الجنة :

وفي أثناء الهجرة التي هاجر فيها المسلمون من مكة إلى المدينة، وظل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينتظر الهجرة مع النبي ﷺ من مكة، فأذن الرسول ﷺ بالهجرة معه، وعندما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يربط الأمتعة ويعدّها للسفر لم يجد حبلاً ليربط به الزاد الطعام والسقا فأخذت أسماء رضي الله عنها نطاقها الذي كانت تربطه في وسطها فشقتة نصفين وربطت به الزاد، وكان النبي ﷺ يرى ذلك كله، فسمّاها أسماء ذات النطاقين.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: "صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَتْ فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلَا لِسِقَائِهِ مَا نَرَبِّطُهُمَا بِهِ فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرَبِّطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي قَالَ فَشُقِّي بِأَثْنَيْنِ فَارَبِّطِيهِ بِوَاحِدٍ السَّقَاءَ وَبِالْآخِرِ السُّفْرَةَ فَفَعَلْتُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ^(١)

وأصبحت هذه منقبة لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، لا يجحدها إلا حاقّد حاسد.

ومن هذا الموقف جاءت تسمية أسماء بنت أبي بكر بذات النطاقين. وقال لها الرسول ﷺ: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة»،^(٢)

خامساً: تركوا الدنيا فعوضهم الله الدنيا والآخرة:

وها هو النبي المختار ﷺ وصحابته الأطهار يؤثرون رضي الله على الدنيا وزخارفها ورضوا بأقل متاع منها باعوا أنفسهم لله تعالى فوافهم الله أجورهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} (النحل).

قال ابن كثير - رحمه الله - : «فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم، فعوّضهم الله خيراً منها في الدنيا؛ فإن من ترك شيئاً لله، عوّضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع، فإنهم مكّن الله

(١) - البخاري، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو. (٦ / ١٢٩ فتح).

(٢) - أخرج أحمد في المسند ٦ / ٣٤٦ عن أسماء قالت لذلك سميت ذات النطاقين والبخاري في صحيحه ٧ / ١٩٣، ١٩٤

كتاب المناقب باب الهجرة.

لهم في البلاد وَحَكَّمَهُمْ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، فَصَارُوا أُمَرَاءَ حُكَّامًا، وَكُلُّ مِنْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا»^(١).

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]

اسمعوا وتأملوا إلى ما فتح الله عليهم من خيرات {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا} [الفتح: ١ - ٥]

رضوا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيناً فعوضهم الله الرضى والرضوان {وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التوبة: ٢٢]

الخطبة الثانية

سادساً : صفحات من حياة الأنبياء : وإذا قلبنا صفحات الأمة الإسلامية لرأينا صور وأمثلة مشرقة لمن ترك شيئاً لله وآثر رضا الله تعالى فالأمثلة التي تُبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان عليه السلام في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محباً للجهد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن

(١) - - كتاب القواعد والأصول وتطبيقات التدبر - خامسا قواعد قرآنية ص ٨١

يصلّي، فأمر بها فُرِدَّتْ عليه، فضرِب أعناقها وعراقبيها بالسيوف؛ إيثاراً للمحبة الله عز وجل، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم. فعوّضه الله عز وجل خيراً منها الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين. وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْغِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِخَ بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص: ٣٠: ٣٦٦].

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عُرِضَتْ عليه المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل؛ لأنَّ الله جعله من المخلصين، وأُوذِيَ بسبب ذلك؛ فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فملكه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطَى، ونعم المُعْطَى، ونعمت العَطِيَّة. قال تعالى: {قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: ٣٣: ٣٤]. وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٥٦].

أرأيت أيها المسلم: إن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، فمن ترك لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة وغير ذلك من المنكرات واحتسب مصيبته عند الله، واسترجع فإن الله سبحانه يُخلفه وهو خير الوارثين.

تركوا الشحناء يعوضكم ربكم المحبة والإخاء

تركوا محبة الدنيا يعوضكم الله بالرضا وسعادة الآخرة

اتركوا الربا يعوضكم الله الرزق الحلال

اتركوا الفاحشة يعوضكم اللذة الحلال
اتركوا كل ما يغضب الله يعوضكم الله بكل ما يرضيكم ويرضي الله

من وحي الهجرة تأييد الله – صلى الله عليه وسلم –

الخطبة الأولى

الحمد لله مقدر الأيام والشهور، ومصرف الأعوام والدهور، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ نعمه التي تقرّ بالشكر فلا تبور، وأستمنحه جل في عليائه التوفيق في كل الأمور، فهو سبحانه المؤمل لكشف كل كرب وجبر كل مكسور،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الشكور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، بعثه الله بالهدى والنور، فأشرقت شمس الحق في كل الربوع والدور، وزكت النفوس العليلة فغدت في سعادة وسرور، ورضوان وحبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ليوث الوغى والقدر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

نعيش معكم لنستلهم من وحي الهجرة المباركة الدروس والعبر ولنسقط أحداثها على واقع الأمة الأليم لعلنا نعود إلى جادة الطريق

فالهجرة لم تكن حدثاً عادياً بل كانت ملحمة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والطغيان

الهجرة كانت وما زالت سراجاً يضيء للأمة لتتكشف به الغمة

الهجرة كانت معونة وتأيداً من الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-

الهجرة كانت نصراً وانتصاراً وفتحاً مبيناً لإقامة المدينة الفاضلة، مدينة الإيمان، مدينة

الأمّن، مدينة الرحمة، مدينة الأخلاق.

هيا لنشرف الأذان ببعض صور التأيد وكيفية الوصول إلى تأييد الله تعالى لنا

في هجرة المصطفى مغزى لمذكر لا تجهلوا مجدكم يا قوم وادكروا

لو كان للمال أو للجاه قد خرجوا أو للرياسة أو للفخر ما انتصروا

الله يعلم أن القوم تحفزهم عقيدة ولها الأرواح قد نذروا

فبالعقيدة قام القوم واثقفوا وبالعقيدة يرمى القوس والوتر

وبالعقيدة ذل الشرك وارتفعت منارة بسنا التوحيد تفتخر

وبالعقيدة كان النصر وانهزمت جيوش كسرى فلا تاج ولا سرور

وبالعقيدة راج العلم وازدهرت رياضه فله الأزهار والثمر

ضعف العقيدة داء الشرق فانتبهوا قوا العقيدة فالإيمان يُحتضر الأساس

ما معنى التأييد؟

التأييد: من الأيد وهو القوة كأنه يأخذه معه بيده في الشيء الذي يقويه به كأخذ قوة المظاهرة من الظهر لأن الظهر موضع قوة الشيء في ذاته، واليد موضع قوة تناوله لغيره، قاله الحرالي^(١).

أنواع التأييد:

واعلم زادك الله علما: أن التأييد على نوعين:

أحدهما: ما يحصل من غير واسطة أسباب معتادة: كتأييد الله لنبه صلى الله عليه وسلم - بالمعجزات كانشقاق القمر ونصره بالرعب

والثاني: ما يحصل بواسطة أسباب معتادة الملائكة والمؤمنين

^١ - التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٨٩)

يقول الإمام الخازن في تفسيره: التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة وبأسباب ظاهرة معلومة فأما الذي يكون بالأسباب الباطنة فهو المراد بقوله { هو الذي أيدك بنصره }

لأن أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذي يكون بالأسباب الظاهرة فهو المراد بقوله { وبالمؤمنين } لأن أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب وهو الذي أقامهم لنصره ثم بين كيف أيده بالمؤمنين فقال تعالى : (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم)^(١)

آيات التأييد في القرآن الكريم

واعلم بارك الله فيك - أن آيات التأييد في القرآن الكريم تسع آيات نذكر منها

- ١ - أيد الله عيسى بروح القدس،: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } [المائدة: ١١٠]
- ٢ - الله أيد الرسول بنصره وبالمؤمنين: { وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } [الأنفال: ٦٢].

^١ - تفسير الخازن - ط دار الفكر (٣ / ٤٨)

٣ - الله أيد المؤمنين المستضعفين بنصره: ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) - [الأنفال ٨ / ٦٢].

٤ - الله هو الذي أيد المؤمنين من بني إسرائيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: ١٤].

٥ - الله هو من أنزل سكينته والرسول في الغار وأيده بجنود لا يراها الناس، {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠].

٦ - الله كتب في قلوب المؤمنين الإيمان وأيدهم بروح منه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢].

٧ - الله يؤيد بنصره من يشاء -: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٣].

صور تأييد الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم -

ومن أجل صور التأييد التي نسلط عليها الضوء في هذا الموضوع التأييد الإلهي للحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة المباركة و يتجلى ذلك في عدة نقاط:

أولاً: أيده الله تعالى نبيه - ﷺ - إذ جاءه جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى يخبره بالمؤامرة التي حاكها كفار مكة ضده جاء في الحديث (. فأتى جبريل عليه السلام رسول الله - ﷺ - فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله - ﷺ - مكانهم فقال لعلي بن أبي طالب، نم على فراشي، وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فثم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله - ﷺ - ينام في برده ذلك إذا نام (١)

وقد صور الله تعالى لنا ذلك المشهد بقوله تعالى **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠].**

ثانياً: خروج النبي ﷺ - من وسط تلك السيوف المشهورة ويحثو فوق تلك الجماجم التراب دليل على تأييد رب الأرباب لنبيه الأواب - ﷺ -

عن ابن إسحاق قال : وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام ، فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه ، دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فأمره أن يبيت على فراشه ، ويتسجى ببرده أخضر ، ففعل ، ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من

١ - الصحيح من أحاديث السيرة النبوية (ص: ١٤١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١١٢ .

تراب فجعل يذرها على رؤوسهم ، وأخذ الله عز وجل بأبصارهم عن نبيه وهو يقرأ : يس والقرآن الحكيم إلى قوله : فأغشيناهم فهم لا يبصرون (١).

أي سخرية هذه؟ وأي احتقار للقوم؟ شباب أقوياء وسيوفهم في أيديهم، يخرج عليهم رسول الله وحيدا، ولكنه في رعاية الله، ويضع التراب على رؤوسهم متحديا تلك السيوف التي ذبلت في أيديهم كأنها أغصان فصلت عن شجرتها، فلم تغن عنهم شيئا.

ثالثا: حماية الله تعالى لنبيه - ﷺ - وصاحبه أبي بكر - رضي الله عنه -:

وصل المشركون إلى الغار، ورأى سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - أقدامهم فقال: "يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا"، والرسول يهدئ من روع أبي بكر ويقول: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا" {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. سورة التوبة: الآية ٤٠.

لقد كان رسول الله في ثقة تامة بالله - عز وجل - وكيف لا وهو لم يهمل سببا من الأسباب، ولم يقصر في أمر يستطيعه، وأكثر من هذا فقد كان خروجه بأمر الله، والله - تبارك وتعالى - لا يضيع نبيه أبدا.

لهذا كان الرسول يخاطب أبا بكر وهو موقن أن الله لن يضيعهما ولا بد أن يرد عنهما عدوهما، وقد كان.

١ - ابن هشام (٢/ ٩١).

أخذ الله تعالى أبصارهم فأعماهما عن رؤية النبي - ﷺ - كما أعمى قلوبهم عن رؤية الهداية والنور الذي جاء به ﷺ -

رابعاً - سرقة بن مالك - رضي الله عنه - وتأيد الله تعالى لنبيه ﷺ بسراقة :

عن سرقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه قال: "جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله - ﷺ - وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذا أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سرقة إني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراهما محمداً وأصحابه، قال سرقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي - وهي من وراء أكمة - فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي، فركبتها، فرفعتها تقرب لي، حتى دنوت فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمت بها: أضرمهم أم لا؟ فخرج الذي أكره.

فركبت فرسي - وعصيت الأزام - تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله - ﷺ -، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله - ﷺ -، فقلت له:

إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من آدم، ثم مضى رسول الله - ﷺ - (١).

معجزة في خيمة أم معبد:

ومن تأييد الله تعالى لنبيه - ﷺ - شاة أم معبد: فقد اشتهر في كتب السيرة والحديث خبر نزول الرسول ﷺ وأصحابه بخيمة أم معبد بقديد طالين القرى، فاعتذرت لهم لعدم وجود طعام عندها إلا شاة هزيلة لا تدرّ لبنًا، فأخذ الشاة فمسح ضرعها بيده، ودعا الله، وحلب في إناء حتى علت الرغوة، وشرب الجميع، ولكن هذه الرواية طرقها ما بين ضعيفة وواهية. إلا طريقًا واحدة يرويها الصحابي قيس بن النعمان السكوني ونصها (لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلاً بأبي معبد فقال: والله مالنا شاة، وإن شاءنا لحوامل فما بقي لنا لبن. فقال رسول الله ﷺ: أحسبه - فما تلك الشاة؟ فأتى بها. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عسًا فسقاه، ثم شربوا، فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابي؟ قال: إنهم ليقولون. قال: أشهد أن ما جئت به حق. ثم قال: أتبعك. قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا. فاتّبعه بعد).. (٢)

كيف يؤيدنا الله تعالى: إن الناظر إلى أحوال الأمة وما يحاك ضدها وما يحدث لأبنائها في بورما وغيرها من بلدان العالم ليرى أننا بحاجة ماسة إلى أن نصصح المسار وأن نبحث عن مواطن الخلل في نفوسنا وفي مجتمعاتنا

١ - أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم: ٣٩٠٦،

٢ - رواه البزار بإسناد حسن وقال معقبًا: لا نعلم روى قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا، ولا نعلمه بهذا اللفظ إلا عنه وهو يخالف سائر الأحاديث في قصة أم معبد (كشف الأستار ٢/ ٣٠١) وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (٦/ ٥٨) وقال الحافظ ابن حجر: "أخرجها الطبراني من حديث قيس بن النعمان بسند صحيح وسياق أتم. (الإصابة ٥/ ٥٠٦).

وها أنا استلهم من وحي الهجرة أسباب التأييد والنصر وإليك بعض تلك الأسباب:

أولاً: الإيمان العميق:

أول شروط التأييد من الله تعالى أن يكون إيمانك عميق قد تخلل نياط قلوب و عروق دمك أن يخالط الإيمان بشاشة القلوب قال الله تعالى { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥]

وقال أيضاً: "حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرُّسل، المُتضمِّن لانقياد الجوارح"

قال السعدي - رحمه الله - هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.^(١)

^١ - تفسير السعدي (ص: ٥٧٣)

ثانيا: الولاء والبراء : هو موافقة العبد ربه فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة وليّ الله هو محبته لما يحب الله. ورضاه بما يرضي الله، وعمله بذلك كله، وميله إليه على وجه الملازمة له^(١).

تعريف البراء شرعا: هو موافقة العبد ربه فيما يسخطه ويكرهه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات والذوات، فسمة البراء الشرعي هو البغض لما يبغضه الله على وجه الملازمة، والاستمرار على ذلك^(٢).

واعلم بارك الله فيك أن الولاء و البراء اوثق عرى الإيمان و هو سبيل التأيد كما اخبرنا بذلك الغني الحميد قال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [المجادلة: ٢٢]

روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله».^(٣)

صور مشرقة من الولاء والبراء

أبو عبيدة بن الجراح يقتل والده يوم بدر:

^١ - المدخل (١٩١)

^٢ - المدخل (١٩١).

^٣ - أخرجه الطبراني (١١/ ٢١٥ ، رقم ١١٥٣٧).

عن ابن شاذب قال: جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية حين قتل أباه { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } إلى آخر الآية. (١)

عبد الله بن أبي بن سلول - رضي الله عنه - مع أبيه راس النفاق

عن جابر بن عبد الله: (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية؟! قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة) يعني: دعوى الجاهلية، فسمعها عبد الله بن أبي فأشعل نار الفتنة أول ما سمع بهذا الحديث فقال: قد فعلوها! فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم: (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

فلما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمروني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله! لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا). (٢)

١ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١ / ١٥٤) (٣٦٠)

٢ - أخرجه البخاري (٤ / ١٨٦١)، رقم (٤٦٢٢)، ومسلم (٤ / ١٩٩٨)، رقم (٢٥٨٤)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

ثالثا: الثقة بمعية الله تعالى:

الثقة بالله صفة من صفات الأنبياء؛ فهذا خليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- حينما ألقى في النار كان على ثقة عظيمة بالله؛ حيث قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" فكفاه الله شر ما أرادوا به من كيد، وحفظه من أن تصيبه النار بسوء، قال تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء ٦٩].

والثقة صفة من صفات الأولياء الصادقين؛ قال يحيى بن معاذ: "ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء" (١)
في الهجرة المباركة لما خاف الصديق على رسول الله من أذى قريش، وقال لرسول الله: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَيَّ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ"، رفض الرسول ﷺ هذه الرسالة السلبية وقال له في ثبات المؤمن وبقينه بربه: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا

سهرت أعين، ونامت عيون في أمور تكون أو لا تكون

١- "[شعب الإيمان (٢/ ٣٥٤) للبيهقي].

فادراً لهم ما استطعت عن النفس فحملانك الهموم جنون

إن رباً كفاك بالأمس ما كان سيكفيك في غدٍ ما يكون

فليعلم المسلم أن الصراع بين الحق والباطل: صراع قديم وممتد، وهو سنة إلهية نافذة قال عز وجل: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠]. ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١].

فألزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

رابعاً الصبر والثبات:

ومن مؤهلات النصر والتأييد الصبر والثبات وعدم التزعزع والشك والريب قال الله تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤]

قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

عَنْ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: «شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ، فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ، لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١)

١ - (أخرجه أحمد: ١٠٩/٥، (٢١٣٧١)، والبُخَارِي: ٤/٢٤٤ (٣٦١٢)، وأبو داود: ٢٦٤٩، والنسائي: ٨/٢٠٤).

خامسا: التضحية: واعلم زادك الله علما- أن من مؤهلات النصر والتأييد التضحية،
والهجرة النبوية المباركة كانت ملحمة من ملاحم التضحية بجميع أشكالها وألوانها
التضحية بالنفس وتمثل في نوم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- في فراش رسول
الله - ﷺ -

التضحية بالأهل وتمثل في أبي سلمة رضي الله عنه- عندما ترك ابنه وزوجته
التضحية بالوطن وتمثل في جميع الصحابة الذين غادروا ملاعب الصبا والديار
والأوطان

التضحية بالمال وتمثل في صهيب الرومي الذي ضحى بثروته من اجل الهجرة وكذا أبو
بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين كانت هذه إشارات و قطرات من وحي هجرة
سيد الكائنات ﷺ -

إن الله معنا

الخطبة الأولى

الحمد لله الأول الذي ليس له ابتداء، الآخر الذي ليس له انتهاء، الصمد الذي ليس له وزراء، الواحد الذي ليس له شركاء،

تكلم بكلام قديم أزلي في الأزل، وتفرد بالعز الذي لم يزل، وتنزه عن النقائص والعلل، وتقدر عن الفتور والخلل،

سبحانه قسم عطائه بين عباده، وأبرم قضائه فلا معارض، له في مراده، وسبقت عنايته وولايته لأهل وداده، وخصهم برعايته وكفايته وإسعاده.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير. سبحانه يقول بلسان الحال:

تعصي وتجهر بالعصيان إعلانا وأستر الذنب إنعاما وإحسانا

ولا أجزي مسيئا بالفعل ولا أجزي الذي تاه عصيانا وعدوانا

ومن أتى تائبًا بالذل منكسرًا نعطيهِ من فضلنا عفواً وغفرانا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

وعلى إله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد :

إخوة الإسلام نعيش في هذا اليوم الطيب الميمون مع المعية الربانية وأثرها في تحقيق الأمن والسلام النفسي للفرد والمجتمع

فالكون من أصغر ذرة إلى أعظم مجرة يعيش في معيته سبحانه وتعالى

إذا كان الناس يفتخرون بالمعيات

فهذا يفتخر ويقول أنا معي مالي

وهذا يفتخر ويقول أنا معي مناصبي

وأخر يقول أنا معي نسبي وحسبي

كل هذه المعيات قد تجلب العناء والشقاء والخوف والهم والحزن يقول الله تعالى {فَلَا

تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ

وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥]

إلا معية الله فإنها تجلب السعادة والرضا وتجلب الروح والفرح وتجلب العز والنصر

سر سعادة قلبك بأن تشعر أن الله راض عنك

اصبر قليلا، فبعد العسر تيسير وكل وقت له أمر وتدير

هل الحياة إلا معه؟؟

هل العيش إلا في رحابه؟

هل السعادة الحقيقية إلا بين يديه؟؟

هل النعيم إلا في طاعته والإقبال عليه؟؟

إذا كان أكثر الناس يتفاخرون بمعية العظماء والكبراء والمشاهير، يلوذون بهم ويحتمون،

وقد شغلتهم دنياهم عن ربهم، وغرهم سلطان البشر بمعية الناس عن معية رب الناس،

فإن أهل الإيمان العقلاء، يتعلقون بمعية ربهم ومولاهم، فهي عزهم وفخارهم، يعملون

لنيلها، ويرجون ثمارها، لقلوبهم ونفوسهم وحياتهم، ليسعدوا بكونه سبحانه معهم في

كل حال ومكان وزمان. فإن شعور المؤمن أنه في كنف الله، مصحوبا بمعيته وعنايته،

يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويجعله في أنسٍ دائم بربه، ونعيمٍ موصولٍ بقربه. يقول

الله تعالى في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " ([١])

اشدّد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركنُ إن خانتك أركانُ

من يتق الله يُحمد في عواقبه ويكفّ شرّ من عزّوا ومن هانوا

ومن استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلانُ

فمعية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف، قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

وقد أجمع السلف على إثبات معية الله تعالى لخلقه:

وهذه المعية أيها الإخوة حق على حقيقتها، لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أي مخلوق لمخلوق لقوله تعالى عن نفسه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥] وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] وكسائر صفاته الثابتة له حقيقة على وجه يليق به ولا تشبه صفات المخلوقين.

قال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة". ا.هـ.

أنواع المعية

١ - أخرجه: البخاري ١٤٧/٩ (٧٤٠٥)، ومسلم ٦٢/٨ (٢٦٧٥)

فالله - جل وعلا - فوق السماوات السبع، مُستَوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، ومعية الله لخلقه لا تُناقِضُ علُوّه، وعلُوّه واستواؤه على عرشه لا يُنافي معيَّته؛ لأن معية الله لخلقه تكون على معنيين، هما:

النوع الأول: معية عامة شاملة لجميع الخلق المؤمن والكافر: وهي بمعنى: أنه مع خلقه بعلمه، ومشيتته، وإحاطته، ونفوذ أمره، وقدرته، وقهره، وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يُعجزُه.

كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} . وَقَوْلُهُ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلُجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤] .

النوع الثاني: معية خاصة: وهي معيته لرسله - تعالى، وأوليائه بالنصر، والتأييد، والمحبة، والتوفيق، والإلهام؛ كقوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، وكقوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}، فالمراد بالمعية هنا: معية الحفظ، والنصر، والعصمة من الأعداء. (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٣)، أي إن الله مع الصابرين بعونه وتوفيقه وتسديده وقال سبحانه {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦] .

وقال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨] .

أثر المعية في تحقيق السلام النفسي:

عندما يستشعر المؤمن و المؤمنة أنه يعيش في معية الله تبارك وتعالى يسير في هذه الحياة وهو يردد كلام العارفين إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك ؟ وإذا تخلى الله عنك تخلى عنك أقرب الناس إليك، وإذا كان معك سخر لك ألد أعدائك، إذا

كان الله معك كل من في الأرض معك، ألقى محبتك في قلوب الخلق، وإذا كان الله عليك، ألقى البغض في قلوب الخلق، ومن هاب الله هابه كل شيء، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء ويردد بيقين الراسخين من نال معية الله ورضوانه فقد نال كل شيء، فإذا رضي الله عنه أَرْضَى الناس وآمنه من شرهم،

أيها المسلم إن إحساس المسلم واستشعاره لمعية الله تعالى يجعله يعيش في راحة وطمأنينة وسكينة فهو لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يسأل غير الله

لأن الله هو القوي فمن كان الله معه فمعه القوة التي لا تقهر، والفئة التي لا تغلب ولا تهزم، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل

معية الله تعالى لأنبيائه وأوليائه وأثرها على السلام والأمن النفسي:

معية الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: إخوة العقيدة: إن الذي يقرأ قصة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام - ليرى حقيقة المعية معية النصر والتمكين معية الأمان والسلام النفسي فإبراهيم عليه السلام كان يواجه أهل الكفر على اختلاف معتقداتهم فهو يواجه عبدة الأصنام والأوثان ويواجه عبدة الكواكب والنجوم وكل ثقة ويقين بمعية رب العالمين ولنأخذ مثالا على ذلك:

قصة تكسير الأصنام ومعية الله تعالى: عندما قام الخليل عليه السلام بتكسير تلك الأصنام ليلقن الكفار درسا عمليا أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر فهي لا تنفع ولا تدفع قرر أهل البغي والطغيان أن يجعلوا إبراهيم عليه السلام عبرة لكل معتبر لذا قرروا قتله بأبشع أنواع القتل ألا وهو الإحراق في النار فجمعوا له نار عظيمة بلغت عنان السماء وجاء وقت التنفيذ وقد بدأ الاستعداد بإحراق إبراهيم عليه السلام وحفروا حفرة عظيمة ملأوها بالحطب والخشب والأشجار وأشعلوا فيها النار وأحضروا المنجنيق ليقذفوا إبراهيم فيها فقيدوا يدها وقدماه واشتعلت النار وتصاعد اللهب إلى السماء، وصدر

أمرهم بإلقائه في النار وفي تلك اللحظة جاء جبريل عليه السلام ووقف عند رأس إبراهيم عليه السلام وسأله : يا إبراهيم .. ألك حاجة؟

قال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا ، لكنه فوض أمره من قلبه لخالقه الذي يراه فهو عالم به ، صابرا ثابتا واثقا أن الله هو الحق وأن ما دونه هو الباطل فما إن نطق بتلك الكلمات وقال حسبي الله ونعم الوكيل إذ صعدت كالبرق قبل نزوله في تلك النار فكانت قدرة القادر الذي يقول كن فيكون ..

فأمر سبحانه النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم فلم تمارس وظيفتها في الإحراق، بل أحرقت قيوده فقط ، وجلس إبراهيم وسطها وكأنه يجلس وسط حديقة غناء ، يسبح بحمد ربه .

ولما انطفأت فوجئوا بإبراهيم يخرج سليما كما دخل ووجهه يتلأأ بالنور وثيابه كما هي لم تحترق وليس عليه أي أثر للحريق ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فالحسارة للظالم المستبد والهلاك له، وهو قوله تعالى **{وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}** [الأنبياء:

[٧٠]

الله لا يضيع أوليائه:

في عصر الاضطراب النفسي وفي عصر كثرة في الأمراض النفسية الاكتئاب والقلق والأرق والضغط وغيرها من أمراض نفسية مصدرها الخوف من المستقبل والخوف على المستقبل يحتاج المسلم إلى معية الله تعالى وان الله لا يضيع أوليائه وأهل طاعته

يا ابن ادم إذا ضاقت عليك الدنيا فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا تخلي الناس عنك فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا نزلت بك شدة فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا مرضت فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا نمت على فراش الموت فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا دخل عليك ملك الموت فقل يا الله.

يا ابن ادم إذا سألت فسأل الله.
يا ابن ادم إذا توكلت فتوكل علي الله.
إذا أوصدت الأبواب أمام الطلاب وأسدلت الستور في وجه السائلين صاحوا يا الله
إذا بارت الحيل وضافت السبل وانتهت الآمال وتقطعت الحبال نادوا يا الله
إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت وضاقت عليك نفسك بما حملت فاهتف يا الله
ولقد ذكرت كوالح سود ووجه الدهر اغبر قاتم
فهتفت في الأسحار باسمك صارخا فإذا محيا كل فجر باسم
قال ابن القيم رحمه الله (إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله وحده تحمل الله
حوائجه كلها و حمل عنه كل ما أهمه و فرغ قلبه لمحبهه و لسانه لذكره و جوارحه
لطاعته، و إن أصبح و أمسى و الدنيا همه حمله الله همومها و غمومها و أنكادها و ووكله
إلى نفسه فشغل قلبه عن محبهه بمحبه الخلق و لسانه عن ذكره بذكرهم و جوارحه عن
طاعته بخدمتهم و أشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه و
يعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله و طاعته و محبهه بلى
بعبودية المخلوق و طاعته و محبهه)

فيامن تخاف على الحياة كن مع واهب الحياة
ويامن تخاف على مستقبلك ومستقبل أولادك كن مع الله واتق الله
ويامن تخاف الفقر والعيلة كن مع الرزاق تأتيك الأرزاق

هاجر -عليها السلام- واستشعارها لمعية الرزاق:

إخوة الإسلام: من أروع صور استشعار معية الله التي تورث الأمن النفسي والأمن
الروحي مشهد هاجر عليها السلام -عندما وضعها إبراهيم عليه السلام وسط صحراء
قحلاء جرداء لا زرع فيها ولا ماء بل لا أنيس ولا جليس وضعها وترك له حفنة من تمر
ستنفذ بعد أيام وجرعات من ماء لا تكفيها أياما

تركها وهو يعلم أن الله تعالى معها وأن الله تعالى لن يضيعها ترك المشهد ليحدثنا عن نفسه

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَا اتَّخَذَتِ النِّسَاءُ الْمُنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُتَعَفَّى أَثَرُهَا عَلَى سَارَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنَيْهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دُوحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جَرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْمَوْضِعِ، لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: **{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ**

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } [إبراهيم: ٣٧]، حَتَّى **{ يَشْكُرُونَ }** [إبراهيم: ٣٧] وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، - أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِي، رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا، وَسَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهْ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيُّضًا، ثُمَّ قَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ فَإِذَا بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ يَبْحَثُ بِعَقِبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ هَكَذَا، وَتَقُولُ بِيَدِهَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهِيَ تَغُورُ بِقَدْرِ مَا تَغْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ كَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ

وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ،^(١)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى..... أما بعد :

معية الله مع خليله وحبيه محمد ﷺ وأثرها على الجانب النفسي:

أيها الأحباب انظروا إلى أثر المعية مع خير البرية إمام الأتقياء و سيد الأصفياء كيف تجلت المعية الربانية في حمايته و نصرته صلى الله عليه وسلم {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠] سكينه نزلت على النفس فاستقرت واستراحت و اطمأنت لأن الله معنا

وجنود اخذوا بأبصار الكفار فلم يرو النبي المختار و هو في الغار صلوا على سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم

يقول عائض القرني: المختار في الغار ، أحاط به الكفار ، فقال الصديق هم على مسافة أشبار ، ونخشى من الدمار ، فقال الواثق بالقهار ، إن الله معنا ، وهو يسمعنا ، ويحمينا كما جمعنا .

هي الأيام والغير

أتىأس أن ترى فرجاً

وأمر الله ينتظر

فأين الله والقدر

^١ - البخاري (٣/ ١٤٧ و ٤/ ١٧٢)

قل لمن في حضيض اليأس سقطوا ، وعلى الشؤم هبطوا، وفي مسألة القدر غلطوا ،
اعلموا أنه ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ، كان بلال يسحب على الرمضاء ، ثم رفع على
الكعبة لرفع النداء ، وإسماع الأرض صوت السماء . كان يوسف مسجوناً في الدهليز، ثم
ملك مصر بعد العزيز ، كان عمر يرعى الغنم في مكة ، ثم نشر بالعدل مُلكه ، وطبعت
باسمه السَّكة ، وهو الذي قطع جبل الجور وفكَّه ، وسحق صرح الطغيان ودكَّه .
إن الله معنا و هو يسمعنا و يبصرنا فكن منه على حذر حتى لا تقع في الخطر و ينالك
الضرر

أَعْطِ الْمَعِيَّةَ حَقَّهَا وَالزَّمْ لَهَا حُسْنَ الْأَدَبِ

وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ عَبْدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَهُوَ رَبُّ

(لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا): كلمات قالها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي
الله عنه حين كان معه في الغار في رحلة الهجرة، فما أجملها من كلمات، جمعت من
معاني التأييد والمعية، والنصر والثبات، وسبب زوال الهم والغم الشيء الكثير.
(لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا): كلمات خرجت على وجه المواساة والتشيت في أوقات الخوف
والزلزلة من صاحب الدعوة نبي الإسلام ورسول الله إلى العالمين، إلى خير أصحابه
وأفضلهم على الإطلاق، وكذلك كل داعٍ يتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقتدي به
يقول لصاحبه وأخيه في طريق الدعوة: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا).

قال القرطبي رحمه الله: "هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه، روى أصبغ
وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك: "ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" هو الصديق، فحقق الله تعالى قوله له بكلامه، ووصف الصحبة في كتابه".
- فإلى كل مكروب ومحزون، ومهموم ومغموم من كيد الأعداء، ومكر الليل والنهار (لَا
تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)، فإن مكرهم إلى زوال وكيدهم لا يفلح.

الدعاء.....

حاجة الأمة إلى الهجرة في ذكرى الهجرة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الإفهام، وسما كماله فلا يحيط به الأوهام، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، الموصوف بالعلم والقدرة والكلام، سبحانه هو الله الواحد السلام، المؤمنون حبيب إليهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام، ويقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الإجرام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربي الله ثم استقام

الله ربي لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو .

يا من وجب الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقياه عجز الأنام عن امتداحك انه تتصاغر الأفكار دون مداه.

من كان يعرف انك الحق الذي بهر العقول فحسبه وكفاه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

لم يزل صلى عليه الله وسلم يقاتل في الله بعزم واهتمام، حتى انقشع عن سماء الحق تراكم الغمام، وظل في أفق الإيمان بدر التمام.

إذا أردت أن تفوز وترتقي درج العلى أو تنال منه رضاه

أدم الصلاة على محمد الذي لولاه ما فتح المكبر فاه

وله الوسيلة واللواء وكوثر يروى الورى وكذا يكون الجاه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان
إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

إخوة الإيمان اتباع النبي العدنان - ﷺ نحتفى وتحتفل الأمة الإسلامية بعام هجري جديد
وبهجرة النبي الحبيب ﷺ - ونقف في هذا اللقاء مع حاجة الأمة إلى الهجرة من جديد مع
الهجرة الحقيقية التي عليها مدار فلاح الفرد والمجتمع فأعيروني القلوب والأسماع.

أولاً: حاجتنا إلى الهجرة من أرض المعصية إلى أرض الطاعة:

إخوة الإيمان و الإسلام إننا بحاجة ماسة إلى أن نهجر من أرض المعصية إلى أرض
الطاعة إلى الله تعالى فهذه هي الهجرة الحقيقية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما، عن النبي - ﷺ -، قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) (١).

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري - رضي الله عنه - : أن نبي الله - ﷺ - ،
قال : ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض
، فدل على راهب ، فأتاه . فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ .

فقال : لا ، فقتله فكمل به مئة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم .

فقال : إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة ؟ .

فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ .

١ - «أخرجه: البخاري ٩ / ١ (١٠)، وأخرجه: مسلم ٤٧ / ١ (٦٤) (٤٠)»

انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب .

فقال ملائكة الرحمة: جاء تائباً ، مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له .

فقالوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)) . (١)

وَمِنْ ذَلِكَ: هَجْرُ أَمَاكِنِ الْمَعَاصِي؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْدُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨].

وَقَالَ رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ-: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢].

ثانيا: حاجتنا إلى الهجرة من أرض الغفلة إلى أرض اليقظة:

إخوة الإسلام: أرض الغفلة أرض مهلكة فهي تؤدي إلى الانغماس في الدنيا والشهوات ونسيان الآخرة فيجتهد الغافل في تعمير الدنيا الفانية وتخريب الآخرة الباقية يقول الله تعالى {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ} [الأنبياء: ١ - ٣]

١ - «أخرجه: البخاري ٤ / ٢١١ (٣٤٧٠)، ومسلم ٨ / ١٠٣ (٢٧٦٦) (٤٦) و (٤٧) و (٤٨)».

فالغافل يريد أن يعيش عاملاً على إشباع شهواته، حريصاً ألا يتعب جسمه إلا في شهوته ..
 حريصاً على ألا يفقد شيئاً من ماله إلا في ملذاته، حريصاً على ألا يفقد لحظة من عمره
 إلا وهو مستريح هادئ حتى ولو على حساب دينه، فهو يريد أن يعيش متمتعاً بحياته على
 أقصى درجة.

نهارك يا مغرور سهو وغفلةً وليك نومٌ والردى لك لازمٌ

وشغلك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وقد أخبر الله عن هذا الصنف بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)
 (يونس

وقد نقل ابن كثير رحمه الله أن أشعر الناس أبو العتاهية حيث قال:

الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحنُ

كيف نهاجر من أرض الغفلة إلى أرض اليقظة؟

أولاً: ذكر الله تعالى على كل حال: فذكر الله تعالى يقظة تجعل الإنسان في سكينته وأنس
 بالله تعالى

هاجر من أمام الشاشات والفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي إلى التلذذ بذكره
 سبحانه وتعالى عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ
 وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». (١)

١ - «أخرجه البخاري رقم (٦٤٠٧) في الدعوات: باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين: باب
 استحباب صلاة النافلة في بيته.»

ثانياً مجالس الذكر: هاجر من الجلوس على الطرقات والمقاهي إلى مجالس الذكر والعلم فهي العلاج الناجع لعلاج غفلة القلوب، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قَالُوا: وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذُّكْرِ. (١)

ثالثاً: قراءة القرآن:

هاجر من تصفح صفحات الجرائد والمجلات ومن تصفح مواقع الفيس بوك وتويتر إلى قراءة القرآن الكريم تحيى وتكن من أهل اليقظة والاعتبار قال خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ) وقال عثمان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله)

رابعا الإكثار من ذكر الموت: هاجر من أرض الغفلة عن الدار الآخرة والركون إلى الدنيا إلى أرض اليقظة بالإكثار من ذكر الموت ودواهيته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» يَعْنِي الْمَوْتَ (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ. (٢)

ثالثاً: حاجتنا إلى الهجرة من أرض البغضاء إلى أرض المحبة والوفاء

ومن أوجب الهجرات أن نهاجر من أرض القطيعة إلى أرض الصلة
أما آن لك يا قاطعا لرحمك أن تهاجر من تلك الأرض الخبيثة إلى أرض الصلة والمحبة والوفاء

١ - «الحميدي في المسند ٢ / ٤٨٩، الحديث (١١٥٨)، وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ٤٨٣، وأخرجه أبو داود في السنن ٥ /

١٨١، كتاب الأدب (٣٥)، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه. .

٢ - أخرجه: ابن ماجه (٤٢٥٨)، والترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي ٤ / ٤ وفي «الكبرى»، له (١٩٥٠)، وقال الترمذي: «حديث حسن

غريب».

يا قاطعا لرحمه هاجر إلى أرض الصلة ففيها البركة والصلة عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « قَالَ اللَّهُ أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُهُ ». أخرجه البخاري . (١)

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : أن النبي - ﷺ - قال: «من سره أن يبسط الله له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه». أخرجه البخاري . (٢)

يا عاقا لوالديه هاجر إلى أرض البر ففيها البركة والرضا

يا ظالما لجاره هاجر من أرض الشحناء إلى أرض المحبة والصفاء ففيها الراحة والهناء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلَا يُوْذِي جَارَهُ" أخرجه البخاري . (٣)

رابعا: حاجتنا إلى الهجرة من أرض الفرقة إلى أرض الاعتصام والوحدة

إخوة الإيمان أحباب الحبيب العدنان - ﷺ - وفي ذكرى الهجرة نحن بحاجة ماسة إلى الهجرة من أرض الفرقة والاختلاف والتناحر تلك الأرض السبخة التي لم تثمر ألا الضعف والهوان وتكالب الأعداء

أرض الفرقة أرض رفع فيها الشيطان رايته و باض و فرخ فيها كما نرى من تناحر مرير و من تشرذم مقيت فانقسمت الأمة إلى دويلات متناحرة يقتل فيها القوي الضعيف فانظر إلى حالنا في شتى بقاع و أصقاع المعمورة ترى فرقة تفت بالعضد و تمزق الكبد عَنْ أَبِي

١ - «أخرجه الحميدي (٥٩ و ٥٩٢). وابن أبي شيبة ٨ / ٣٣٨ (٢٥٣٤٦). وأحمد ٢ / ١٦٠ (٦٤٩٤). وأبو داود (٤٩٤١)»

٢ - «أخرجه البخاري (٧٢٨ / ٢)، رقم (١٩٦١)، ومسلم (٤ / ١٩٨٢)، رقم (٢٥٥٧)، وأبو داود (٢ / ١٣٢)، رقم (١٦٩٣) .

حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٥ / ٢٢٣٢)، رقم (٥٦٣٩)

٣ - «صحيح؛ أخرجه البخاري (٦١٣٦) ومسلم (٤٧)» .

سُفْيَانُ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ . » . رواه مسلم . (١)

((التحريش)) : الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم .

هيا لنهاجر إلى ارض الاعتصام لأن هذا هو أمر رب الأنام {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]

هيا لنهاجر إلى أرض الوحدة لننال القوة من القوي جل جلاله عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شَرِيحٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ ، فَاقْتُلُوهُ كَاتِبًا مَنْ كَانَ ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فارق الجماعة يرتكض " . (٢)

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

١ - « أخرجه أحمد (٣/ ٣١٣) . ومسلم (٨/ ١٣٨) »

٢ - « أخرجه مسلم في الإمارة (٢/ ١٤٧٩ رقم ٥٩) وأبو داود في السنة (٥/ ١٠٢ رقم ٤٧٦٢) والنسائي في تحريم الدم (٧/ ٩٣) وأحمد في "مسنده" (٤/ ٢٦١، ٣٤١، ٥/ ٢٣ - ٢٤) والطيالسي في "مسنده" (ص ١٧٠) -

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله،
وحبيبه وخليفه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين، أما بعد:

خامساً: حاجتنا إلى الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل:

الأمة أفراداً وجماعات بحاجة ماسة إلى الهجرة من أرض الظلم والجور والعدوان تلك
الأرض المسبوعة التي يفتك القوي فيها بالضعيف والكبير بالصغير التي يحكمها عالم
الغاب والتعدي على حقوق الآخرين وسلبها فهذا ظلم، والتعدي على حقوق الآخرين
وأن تسلب أموالهم فهذا أيضاً ظلم، ومن يظلم فقد ظلم نفسه

لقد أصبح القتل كشربة ماء والأجرام والعنف عادي في مجتمعنا وكأن سفك الدماء شيء
طبيعي ومسلم به وكأننا أصبحنا "خير أمة أخرجت للشر" وليس خير أمة أخرجت للناس
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

من المؤسف والمؤلم والمخزي أن نقتل بعضنا البعض بلا سبب ونتشاجر من أجل أشياء
تافهة فلا تضبطنا الأديان السماوية ولا التشريعات القانونية ولا الأخوة في الله ولا
الإنسانية

أتيت والناس فوضى لا تمرّ بهم إلا على صنم قد هام في صنم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة لكل طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته وقصر الروم من كبر أصم عم

يعذبان عباد الله في شبه ويذبحان كما ضحيت بالغنم

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم كالليث بالبهيم أو كالحوت بالبلم

هيا هيا لنخرج من تلك الصحراء المسبعة التي يسودها سواد الظلم إلى أرض العدل والرحمة

هيا لنهاجر ونهجر تلك العصبيات إلى عدل العدل جل جلاله

هيا لنهاجر من حيوانية الإنسان إلى ملائكية الإنسان

هاجر إلى أرض العدل فبالعدل قامت السماوات والأرض

هاجر إلى أرض العدل فالعدل سلطان الله في الأرض

هاجر يا من ظلمت نفسك إلى أرض العدل

هاجر يا من ظلمت أختك إلى أرض العدل

هاجر يا من ظلمت جارك إلى أرض العدل

وقد أمر الله به رسوله في قوله: ﴿وَأْمُرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ ، وأمر به جميع خلقه: ﴿إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ، وجعل في مقدمة السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا

ظلّ إلا ظلّه ((إمام عادل)) كما في الحديث ويقول عليه الصلاة والسلام ((إنّ المقسطين

عند الله على منابرٍ من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم

وأهلهم وما ولوا). (١)

١ - «أخرجه مسلم رقم (١٨٢٧) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، والنسائي ٨ / ٢٢١ في آداب القضاة، باب فضل الحاكم

العادل،»

ومتى هاجرت الأمة المسلمة من أرض الظلم إلى أرض العدل فإنها تستحق التأييد من الله والتمكين في الأرض إذا أقامت العدل، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة"

«الهجرة فريضة شرعية باقية إلى يوم القيامة»

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون الأخيار، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ما اختلف الليل والنهار، وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى المهاجرين والأنصار.

أما بعد: لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة نصراً للإسلام وأهله، وإيداناً للانتقال من حال إلى حال، ومن فترة إلى فترة، فبعدما كان المسلمون قلة مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، صار لهم في المدينة دولة وصول وجولة، وصاروا أهل جهاد وغزو وفتح ونصر، وتمت نعمة الله عليهم، حيث أمنوا في دارهم، وعبدوا ربهم، وقاموا بدينهم خير قيام.

إن هذه الهجرة لا ينبغي أن نسرد أحداثها، ولا أن نذكر تفاصيلها على أنها كانت حدثاً من الأحداث ثم انقضى ومر، كلا؛ إن الهجرة صفحة في سيرة نبينا ﷺ لها أحكام وآداب، وهي باقية لا تنقطع كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ «عن أبي هند البجلي، قال: كنا عند

معاوية وهو على سريريه وقد غمض عينيه، فتذاكرنا الهجرة، والقائل منا يقول: قد انقطعت، والقائل منا يقول: لم تنقطع، فاستنبه معاوية، فقال: ما كنتم فيه؟ فأخبرناه، وكان قليل الرد على النبي ﷺ، فقال: تذاكرنا عند رسول الله ﷺ، فقال: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها" (١).

وكل مسلم في أي أرض لا يستطيع أن يُظهر فيها شعائر دينه، ولا أن يعبد ربه حق العبادة، وهو بها ذليل مستضعف، فإنه يجب عليه أن يهاجر إلى إخوانه الذين يستعز ويستكثر بهم، ويجب عليه أن يهاجر إلى الأرض التي يعبد فيها ربه، ويقيم فيها شعائر دينه، ويأمن على نفسه وماله وعرضه.

وجوب الهجرة لمن ليس متمكنًا من إقامة دينه:

إخوة الإسلام: اعلّموا أن الهجرة ليست خاصة بفئة معينة، ولا يقوم من الناس معلومة، وإنما هي شريعة ماضية إلى يوم القيامة، ولذلك أثنى الله عز وجل على المهاجرين الذين يتركون الأوطان التي ألفوها، والبلاد التي نشأوا فيها، يخرجون منها طلبًا للهداية، وللصلاح، وللسداد، وللانتصار لدين الله عز وجل، يقول ربنا سبحانه في سورة البقرة:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨].

١ - «أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٩ / ٨٠، وأبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في "الكبرى" (٨٧١١)، والدارمي ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٠، وأبو يعلى (٧٣٧١)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٦٣٤)، والطبراني في "الكبير" ١٩ / (٩٠٧)، وفي "مسند الشاميين" (١٠٦٤) و (١٠٦٥)، والبيهقي في "السنن" ٩ / ١٧ من طرق عن حريز بن عثمان، به. وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وقرن بهما معاوية، سلف في مسند ابن عوف برقم (١٦٧١)، وإسناده حسن.

ويقول في سورة الأنفال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: ٧٢].

ويقول في سورة التوبة: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ٢٠].

وفي سورة النساء نجد أن الله عز وجل يعد هؤلاء المهاجرين بسعة الأرزاق، وسلامة الأبدان، وطمأنينة القلوب، فيقول الله سبحانه: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١٠٠]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٧٤].

أيها الإخوة الأكارم : إن هذا المعنى الذي تضمنته هذه الآيات المباركات، والذي أمر به رسول الله ﷺ

عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ". (١).

والحديث دليل على وجوب الهجرة من ديار المشركين من غير مكة وهو مذهب الجمهور لحديث جرير، ولما أخرجه النسائي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه مرفوعاً:

١ - «وأخرجه الترمذي في "جامعه" (١٦٩٦)، وفي "العلل الكبير" ٢ / ٦٨٦، والطبراني في "الكبير" (٢٢٦٤)، وابن حزم في "المحلى" ١٠ / ٣٦٩ و ١١ / ١٩٩، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٨ / ١٣١ و ٩ / ١٤٢، وفي "شعب الإيمان" (٨٩٢٩)»

"لا يقبلُ اللهُ منْ مشركٍ عملاً بعدَ ما أسلمَ «أو يفارقُ المشركينَ»، ولعمومِ قوله تعالى:
{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} (١)

قال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلاً هي القصد إلى حيث كان . وقد حكى في البحر أن الهجرة عن دار الكفر واجبة إجماعاً حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الإمام بقوته لسلطانه . (٢).

من هذه الأقوال المستندة للأدلة الشرعية يتضح لنا وجوب الهجرة في مثل هذه الحالة وجوباً عينياً لا مربية فيه ألبتة .

الحالة الثانية: أن لا يستطيع إظهار دينه في دار الكفر ، ولا يمكنه الهجرة .

فقد اتفق أهل العلم أيضاً في مثل هذه الحالة على عدم الهجرة ولا يعلم في ذلك مخالف لقوله تعالى {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} وعدم الاستطاعة هنا إما أن تكون لمرض ، أو إكراه على الإقامة في دار الكفر أو ضعف كالنساء ، والولدان . أو غير ذلك من أنواع العجز المسقط لحكم وجوب الهجرة .

وهذا المعنى نحن المسلمون اليوم بحاجة إلى تأكيده ومعرفته، فإن كثيراً من المسلمين ممن يقيمون في ديار الكفر، أو الأرض التي تكون الغلبة فيها للكفار والشرعية السائدة هي شريعة الكفر، والأرض التي لا يسمع فيها أذان، ولا يسمع فيها قرآن، ولا يؤمر فيها بمعروف، ولا ينهى فيها عن منكر، وتمارس فيها الفواحش جهاراً نهاراً في الشوارع

١ - «تحفة الأحوذى» (٥ / ١٧٨)

٢ - «فتح الباري» لابن حجر (٦ / ٣٩ ط السلفية)

والطرقا، وأعني بذلك بلاد أوروبا وأمريكا وما أشبه ذلك، فكثير من المسلمين هنالك -نسأل الله السلامة العافية- رضي بأن يعطي الدنية في دينه، وأن يرضى بالذل، وأن يعيش في ذلك الجو المأفون والمليء بالموبقات والفواحش والكبائر والذنوب والمعاصي، والتي لا يسمع فيها لأمر ولا لناهي، فهو قد رضي بأن يقيم في تلك الأرض من أجل دراهم معدودة أو من أجل رغد عيش يطلبه أو نحو ذلك من الأسباب.

إن هؤلاء توعدهم الله عز وجل في القرآن، فقال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: ٩٧].

ثم استثنى ربنا جل جلاله برحمته وعدله وفضله من ألجأتهم الضرورة، ومن أحاطت بهم الحاجة الملحة، فقال سبحانه: **{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** [النساء: ٩٨ - ٩٩].

فهؤلاء ممن أقاموا؛ لأنهم لا يجدون داراً يلجأون إليها، ولا بلداً يهاجرون إليها، أو كانوا مستضعفين لكونهم نساء أو أطفالاً، فهؤلاء عسى الله أن يعفو عنهم.

يقول الضحاك بن قيس رحمه الله ورضي عنه في هذه الآية: نزلت هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهрани المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع. (١)

فالهجرة الباقية إلى قيام الساعة الواجبة على كل عبد في كل زمان ومكان هي: هجرة الذنوب والسيئات والعادات الجاهلية والمحرمات، والأخلاق الرذيلة والشبهات، فقد

١ - «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٢ / ٣٨٩)

روى مسلم والبخاري - واللفظ له - في "صحيحيهما" من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) (١).

«عن ابن السعدي، أن النبي ﷺ، قال: " لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل ". فقال معاوية، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن النبي ﷺ قال: " إن الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة، حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت، طبع على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل " » (٢)

قال العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - في كتابه شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال: "الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلهما: هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان" اهـ. (٣)

فحريُّ بنا أن نسارع إلى هذه الهجرة التي ترضي الله - سبحانه وتعالى -، فنهاجر من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، ونهاجر من الابتداع إلى السنة والاتباع، ونهاجر من فعل المحرمات إلى أداء الواجبات، ومن الاستهانة بالمكروهات إلى الإكثار من المستحبات، ونهاجر من تسويد صحائف أعمالنا بالذنوب والسيئات إلى تبييضها بالحسنات وفعل

١ - «رواه الإمام أحمد ٢/ ٢٠٩، والبخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).»

٢ - «المسند ٣/ ٢٠٦ (١٦٧١). وحسن المحققون إسناده. وذكره الألباني في الصحيحة ٤/ ٢٤٠ (١٦٧٤) وصحَّح إسناده، ووثق رجاله.»

٣ - شرح رياض الصالحين (ص: ٤٥)

فهذه الهجرة دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، ودليل على محبة ومحبّة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ودليل على صلاح العبد واستقامته، وبهذه الهجرة تكون العبودية الكاملة لله -عز وجل-، والانقياد له، وبها ينال العبد الكرامة والفوز بالجنة، لسان حاله ومقاله: **(إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (العنكبوت: ٢٦). (١)

الحديث الأول متفق عليه من حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا هَجْرَةَ وَلَا كُنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» (١)

والحديث الثاني رواه ابن خزيمة في "صحيحه" بسند صحيح، والإمام أحمد في "المسند" عن أبي هند البجلي، قال: كنا عند معاوية -وهو على سريرته، وقد غمض عينيه- فتذاكرنا الهجرة، والقائل منا يقول: قد انقطعت، والقائل منا يقول: لم تنقطع، فاستنبه معاوية، فقال: ما كنتم فيه؟ فأخبرناه، وكان قليل الرد على النبي -ﷺ- فقال: تذاكرنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها). (٣)

٢- «مسلم (٢/ ٩٨٦ - ٩٨٧ رقم ١٣٥٣)، البخاري (٣/ ٢١٣ - ٢١٤ رقم ١٣٤٩)»
 ٣- «أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٩/ ٨٠، وأبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في "الكبرى" (٨٧١١)، والدارمي ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠، وأبو يعلى (٧٣٧١)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢٦٣٤)، والطبراني في "الكبير" ١٩/ (٩٠٧)، وفي "مسند الشاميين" (١٠٦٤) و(١٠٦٥)، والبيهقي في "السنن" ٩/ ١٧ من طرق عن حريز بن عثمان، به.

وقد وجه العلماء هذا التعارض بتوجيهات يلتئم معها مفهوم الحديثين ليصبحا كأنهما حديث واحد، ويفيدان حكماً واحداً من غير تنافر، ولا تعارض، ووجه ذلك:

كما قال الإمام البيهقي في "السنن الصغرى": وأما قول النبي - ﷺ -: (لا هجرة بعد الفتح) فإنما أراد لا هجرة وجوباً على من أسلم من أهل مكة بعد فتحها؛ فإنها قد صارت دار إسلام وأمن، وهكذا غير أهل مكة إذا صارت دارهم دار إسلام، أو لم يفتنوا عن دينهم في مقامهم، فلا يجب عليهم الهجرة، فإذا فتنوا ولم يقدرُوا على إظهار دينهم وجبت عليهم الهجرة. (١)

وقال البغوي في "شرح السنة": يحتمل الجمع بينهما بأن قوله: (لا هجرة بعد الفتح) أي: من مكة إلى المدينة، وقوله: (لا تنقطع) أي: من دار الكفر إلى دار الإسلام في حق من أسلم أي - ولم يأمن على ديانتة -. (٢)

أحبتني الكرام: وبهذين النقلين عن الإمامين البيهقي والبغوي يتبين أن الحديث الأول متعلق برفع وجوب الهجرة من مكة بعد فتحها، وقد أَمِنَ المسلمون على دينهم فيها، بعد أن كانوا يؤذون فيها، ويفتنون في دينهم، وكانت الهجرة حينئذٍ فرضاً متعيناً على كل مسلم أن يخرج من مكة إلى المدينة، فلما فُتحت مكة، رُفِعَ فرض الهجرة من مكة، وبقي لمن فاته فضيلة الهجرة أن يستفرغ جهده في مقاتلة الكفار، وإخلاص العمل لله تعالى، وهذا ظاهر من كلام عائشة - رضي الله عنها - عند البخاري، لما سألها عبيد بن عمير عن الهجرة فقالت: (لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله ورسوله؛ مخافة

وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وقرن بهما معاوية، سلف في مسند ابن عوف برقم

(١٦٧١)، وإسناده حسن.

١ - «السنن الكبير» للبيهقي (١٨ / ٥٣ ت التركي)

٢ - «إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع» (١٤ / ٤٢٧)

أن يُفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء؛ ولكن جهاد ونية). (١)

وأما الحديث الثاني: فهو متعلق بمشروعية الهجرة عموماً، وأنها باقية ومستمرة في حق المسلمين إلى قيام الساعة، وحكمها باق في حق من أسلم، ولم يأمن على دينه ونفسه، فيجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام التي يقدر فيها على ممارسة شعائر الإسلام وتكاليفه، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمَ، فَأَعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ، وَقَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَايَا نَارَاهُمَا» (٢)

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

عباد الله: وإليكم عباد الله أنواع الجهرة الباقية إلى قيام الساعة فأعبروني القلوب و
الأسماع:

أولاً: هجرة جسدية من كل بلد تعذر فيه توحيد الله وإقامة شرعه.

١ - «رواه البخاري ٨ / ٢٠ في المغازي، باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة زمن الفتح، وفي الجهاد، باب لا هجرة بعد الفتح، وفي فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ومسلم رقم (١٨٦٤) في الإمارة، باب المتابعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى "لا هجرة بعد الفتح"»

٢ - «أخرجه أبو داود (٣/ ٤٥، رقم ٢٦٤٥)، والترمذي (٤/ ١٥٥، رقم ١٦٠٤)، والطبراني (٢/ ٣٠٣، رقم ٢٢٦٤)، والبيهقي (٨/ ١٣١، رقم ١٦٢٤٨)».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». (١)

ثانيا: هجرة قلبية إلى الله بتوحيده وإخلاص عبادته:

قال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

قال الله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

عن البراء بن عازب: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. متفق عليه. (٢)

ثالثا: هجرة عملية بترك ما نهى الله ورسوله عنه:

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».. (٣)

قال الله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) (٤).

١ - «رواه البخاري ١ / ٦٥ و ٦٦ في الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، وفي بدء الخلق، باب قول الله تعالى: {وبث فيها من كل دابة}»

٢ - «أخرجه البخاري (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٧١٠)».

٣ - «وأخرجه مسلم "٢٢٦٨" في الفتن وأشرط الساعة، باب: فضل العبادة في الهرج، وأحمد "٢٥ / ٥"».

٤ - «رواه الإمام أحمد ٢ / ٢٠٩، والبخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)».

عن صالح بن بشير بن فديك: جَاءَ فُديكُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ يَرْسُولُ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَهَاجِرْ هَلَكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَفُديكُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَاهْجِرِ الشُّوْءَ وَاسْكُنْ مِنْ أَرْضِ قَوْمِكَ حَيْثُ شِئْتَ تَكُنْ مُهَاجِرًا. (١)

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ جَافِيٌّ جَرِيءٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ الْهِجْرَةُ إِلَيْكَ حَيْثُ كُنْتَ أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ أَوْ لِقَوْمٍ خَاصَّةٍ أَمْ إِذَا مِتَّ انْقَطَعَتْ؟ قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْهِجْرَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ فَانْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مِتَّ بِالْحَضَرِ» (٢)

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: (وَيَحَكَ، إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا). قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا).» (٣)

رابعاً: هجرة أهل الفواحش وأماكنها:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» (٤)

١ - «مرسل: أخرجه الطبراني في الأوسط (٦ / ٣) ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٢١٣) وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٢ / ٣٣٢) والطحاوي في المشكل (٧ / ٤٩) والبيهقي في الكبرى (٩ / ١٧) كلهم من طريق فديك بن سليمان به.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١١ / ٢٠٢) من طريق الزهري به.

وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن صالح بن بشير أرسله ولم يقل عن فديك. مجمع الزوائد (٥ / ٤٦٤).

٢ - أخرجه أحمد ٢ / ٢٢٤ (٧٠٩٥) و"النسائي" في "الكبرى" ٥٨٤٢

٣ - «وأخرجه البخاري (١٤٥٢) و (٣٩٢٣) و (٦١٦٥)، ومسلم (١٨٦٥) (٨٧)، وأبو داود (٢٤٧٧)، والنسائي في "المجتبى"

٧ / ١٤٣ - ١٤٤، وفي "الكبرى" (٨٦٩٩)،

٤ - «أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وإسناده حسن، وكذا أخرجه أحمد (٣ / ٣٨).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِجَابَةِ طَعَامِ الْفَاسِقِينَ».^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ».^(٢)

^١ - «أخرجه الطبراني في الكبير (١٨ / ١٦٨) رقم (٣٧٦)، وفي الأوسط (٤٤١)، والبيهقي في الشعب (٥٨٠٣)، وضعفه الألباني

في ضعيف الجامع (٦٠٢٩)، والضعيفة (٥٢٣١)».

^٢ - «حسن: رواه الترمذي (٢٨٠١)» «ورواه الإمام أحمد (١٤٦٥١)» «رواه النسائي (٤٠٠) وابن خزيمة (٢٤٩) والحاكم (١)

الهجرة والثقة بنصر الله تعالى

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل القرآن هداية للمقبلين، وجعل تلاوته بخضوع تهل دمع الخاشعين، وأنزل فيه من الوعيد ما يهز به أركان الظالمين، وأخبر فيه أن الموت نهاية لعالمين، وأنها بعد الموت للحساب مبعوثين وأنها سنحاسب عما كنا فاعلين، وسنقف بذل وخضوع بين يدي رب العالمين، [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] [الفجر: ٢٣] [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ] [إبراهيم: ٤٩] ليس هناك فرق بين ملك معظم وإنسان مهين، هذا جزاء من أخلص العمل لله رب العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه من إله عظيم أعز الحق وأخرس المبطلين سبحانه عدد

ما دعاه عباده المساكين سبحانه عدد ما انهمرت دموع المنيين سبحانه جواد كريم قوي متين

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمداً رسول الله ما جرا أثواب الحرير وما مشى التاج من فوق الجبين مرصعاً القميص مرقعاً

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) } [آل عمران/ ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) } [النساء/ ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب / ٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ - وشر الأمور محدثاتها،
وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إخوة الإسلام: في زمان الانهزامية النفسية وفي زمان التبعية الفكرية والاجتماعية في
زمان تسلط الأعداء على الأمة الإسلامية لا يرفع المسلم طرفه في أي قطر من الأقطار إلا
ورأى مآسي فيرتد الطرف إليه خاسئاً وهو حسير فقد كثير من أبناء الأمة الأمل في النهضة
والعودة إلى مجدنا المفقود و شرفنا المسلوب نقف اليوم مع ثقة النبي صلى الله عليه
وسلم بربه عز وجل و كيف ربى أصحابه و امته على مبدأ الثقة بالله تعالى

👉 فما هي الثقة بالله؟

الثقة بالله هي: أن تعلق قلبك بالله وحده في تحصيل ما ينفعك ودفع ما يضرّك، وأن تقطع
تعلّقك بالمخلوقين، فهم لا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

هي التسليم والانقياد المطلق بالجوارح كلها لله جل وعلا.

الثقة بالله، أن تكون أوثّقَ بما عند الله منك مما في يدك أو في يد غيرك.

الثقة هي الاطمئنان القلبي الذي لا يخالطه شك.

الثقة هي التسليم المطلق لله جل وعلا، فهو الأعلّم بما يصلحنا وهو الأعلّم بما ينفعنا وما

يضرنا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الثقة بالله هي - كما قال شقيق البلخي رحمه الله تعالى - : "أن لا تسعى في طمع، ولا تتكلم في طمع، ولا ترجو دون الله سواه، ولا تخاف دون الله سواه، ولا تخشى من شيء سواه، ولا يحرك من جوارحك شيئاً دون الله؛ يعني في طاعته واجتناب معصيته".
وقال بعض السلف: "صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شيء".

الثقة بالله هي التي لَقَّنها الله عز وجل أم موسى بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

إذ لو لا ثقتها بربها لما ألقت ولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وينطلق به إلى ما شاء الله، لكنه أصبح في اليَمِّ في حماية الملك جل وعلا ورعايته، وما كان جزاء هذه الثقة العظيمة، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

ولربِّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله فيها المخرجُ
نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنْتُ أظنُّها لا تُفرج

قال آخر:

يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ أبشر بخير فإن الكاشف الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيأسنَّ فإن الكافي الله

إذا ابتليت فتق بالله وارض به فإن الذي يكشف البلوى هو الله

الله يُحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الصانع الله

والله ما لك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

مَنْ وثق بالله، نَجَّاهُ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ أَهَمَّهُ؛ قال أبو العالية: "إن الله - تعالى - قضى على نفسه أَنْ مَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنْ عَذَابِهِ أَجَارَهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام: الثقة بالله، وَمَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ فكن واثقاً بالله، متوكلاً عليه، معتصماً به.

الله ما عظم الثقة بالله:

لما أتاه أصحابه ﷺ يشتكون إليه ما أصابهم من أذى ومن تضيق من كفار مكة قبل الهجرة قال قوله واثق بالله تعالى الوائق بنصره جل جلاله فعن خباب قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ أَلَا يَعْنِي: تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ فَقَالَ: "قَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ بِنِصْفَيْنِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشْطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا

الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَبُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" (١)

النبي ﷺ خشي على هذا الرجل المضطهد المقهور وعلى غيره أن يُصاب أو يُبتلى بمرض اليأس والقنوط، فأوقد صلى الله عليه وسلم في نفسه شعلة الأمل، وبث فيه روح الأمل، وعلمه من تلك المدرسة العظيمة، وبشره بأن الله سيظهر هذا الدين، فتدين به العباد، وتُفتح به البلاد حتى يبلغ ما أراد له الله أن يبلغ،

وقد اشتدّ أذى المشركين لرسول الله - ﷺ - ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله - ﷺ - يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

👉 الثقة بالله يوم الهجرة:

أيها الإخوة الأكارم الأجلاء: و من مواطن الثقة بالله و بنصره ثقته يوم أن أخرجه أهل مكة ثاني اثنين فقد رأى رسول الله صلى ﷺ الله عليه و سلم في ذلك الإخراج فتحا و نصرا قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ﷺ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا (٢).

١ - أخرجه البخاري (٣٦١٢) و (٦٩٤٣)، والنسائي ٨/ ٢٠٤، وابن حبان (٦٦٩٨)، والطبراني (٣٦٣٨)، والبيهقي في

"الدلائل" ٣١٥/٦

٢ - أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، وأحمد (١١)

فقد رصدت قريش جائزة كبرى لمن يأتي بالنبي و صاحبه فعن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم المذليجي، عن أبيه مالك بن جعشم، عن أخيه سراقه بن مالك قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجراً جعلت قريش لمن رده عليهم مائة من الإبل قال: فبينما أنا جالس إذ جاء رجل منّا فقال: والله لقد رأيت ركبا ثلاثة مروا عليّ أنفاً إنّي لأراه محمداً وأصحابه قال: فأومأت إليه بعينيّ أن اسكت ثم قلت: إنّما هم بنو فلان يبعون ضالة لهم قال: لعله قال: فمكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي فأمرت برسي إلى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فأخرجت من وراء حجر ثم أخذت قداحي لأستقسم بها ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج الذي أكره لا يضره قال: وكنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ المائة، فركبت في أثره فبينما فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قال: قلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره فبينما فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قال: فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج الذي أكره لا يضره قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فلما بدا لي القوم فرأيتهم وفي رواية معمر: حتى إذا دنوت سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت ويكثر الالتفات ساحت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها فزجرتها فتمعضت فلم تكد تخرج فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عثان ساطع من الدخان. وفي سياق محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة فناديت: أنا سراقه بن مالك بن جعشم أنظروني أكلمكم فوالله لا أريكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: قل له: ما تبغي منّا؟ قال: فقال لي ذلك أبو بكر: قال: قلت: تكتب لي كتاباً يكون لي آية بيني وبينك قال: اكتب له يا أبا بكر قال: فكتب لي كتاباً في عظم أو في رق أو في خرقة ثم ألقاه إليّ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت^(١)

(١) - أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم: ٣٩٠٦، فتح الباري: ٧ / ٢٣٨،

ومسلم في الزهد باب حديث الهجرة: ٢٠٠٩

عن الحسن أن رسول الله - ﷺ - قال لسراقة بن مالك: (كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟)

قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها، وكان سراقة رجلاً أذب^(١) كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته، ثم أركب سراقة، وطيف به المدينة، والناس حوله، وهو يرفع عقيرته مردداً قول الفاروق: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابياً من بني مدلج^(٢) الله أكبر صدق رسول الله ﷺ فهذا من دلائل نبوته وصدق صلى الله عليه وسلم - والله أكبر فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

👉 الثقة بالله في يوم الخندق:

فحين أغارت قريش على المسلمين في المدينة في غزوة الأحزاب فحاصروا المسلمين واشتد الكرب حتى غمز المنافقون المسلمين، وطعنوا في وعد رسول الله بالتمكين فقالوا: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته، لكن المؤمنين كان لهم موقف آخر سطره القرآن وأشاد به، فقال الله عز وجل: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)** (الأحزاب: ٢٢).

وكان النبي في هذا الوقت العصيب يبشرهم بأمر عظيم! قَالَ: حَدَّثَنَا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْجَبَلِ

(١) - التزيب في الإنسان: كثير الشعر وطوله

(٢) - السيرة النبوية لأبي شعبة (١ / ٤٩٥).

صَخْرَةً عَظِيمَةً شَدِيدَةً، لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ»^(١)

والنبي يبشر ويرفع من عزائم الصحابة وكان أحدهم من شدة الجوع يرفع عن بطنه الحجر
 فرفع رسول الله عن بطنه الشريف حجرين!

👉 **لَيْتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ "أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي
 يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ، تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعْفَةُ النَّاسِ، وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ.
 أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟"

قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا.

قَالَ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيْتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى
 تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جَوَارٍ أَحَدٍ، وَلِكَيْفَتَحَنَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ" قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ
 هُرْمُزٍ؟

قَالَ: "نَعَمْ، كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ، وَلِكَيْبَذَلَنَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"

^١ - رواه النسائي في الكبرى (٨٨٥٨) وأحمد (٣٠٣ / ٤)

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: "فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جَوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ قَالَهَا" (١)

عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند النبي - ﷺ - إذ أتاه رجل فشكا إليه فاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي بن حاتم: هل رأيت الحيرة؟ فقلت: لم أرها، وقد أنبت عنها. قال: فإن طالت بك حياة: لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله. قلت: - فيما بيني وبين نفسي - فأين دُعَارُ (٢) طيء الذين سَعَرُوا البلاد؟. ولئن طالت بك حياة: لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز!! قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة: لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله. وكنت في من افتتح كنوز كسرى بن هرمز. ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم - ﷺ - يخرج ملء كفه (٣) إنه يقين بما أخبر به الرسول - ﷺ -.

والرسول - ﷺ - أخبرنا بأن الإسلام سيتنصر مهما فعل أعداء الإسلام، فلا يجوز أن يصاب المسلم بالهزيمة النفسية، ويقعد عن نصره دين الله، فكن على يقين كامل بأن الله سينصر دينه، ولكن عليك بالأخذ بكل الأسباب الممكنة.

١ - السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٥٧٧ - ٥٨٠

٢ - دعار: جمع داعر، والداعر: الخبيث المفسد، والمراد هنا قطاع الطريق (النهاية في غريب الحديث والأثر مادة

٣ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ح رقم ٣٥٩٥ وانظر: (فتح الباري ٦ / ٦١٠)

كُنْ وَاثِقًا بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرَ دِينِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَدْ وَعَدَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٢].

فَإِذَا كُنْتَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ، وَاثِقًا بِوَعْدِهِ، فَلَا تَهِنْ وَلَا تَحْزَنْ؛ قَالَ -تعالى-: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

الخطب الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:
ولقد تربي المسلمون على هذه الصفة ففتحوا البلاد وصرخوا الأمصار لا يهابون إلا
العزیز الجبار

👉 **ثقة قتيبة بن مسلم:** أثناء التوجه لفتح الصين توغل قتيبة بن مسلم في أماكن مجهولة
بجراً عجيبة، فقالوا له كيف يتوغل في هذه الأماكن؟

ه فقال: بثقتي في الله، فقالوا له: أما تخشى الموت؟، فقال إذا انتهت المدة لم تنفع العدة،
فقالوا له: "هذا عزم لا يفله إلا الموت".

👉 **أقسم بالله أنتم المنصورون:** وهذا ابن تيمية -رحمه الله- وأثناء خروجه في الجيش
الإسلامي مجاهداً مذكراً بالله، فقال: أقسم بالله أنتم المنصورون، فقالوا: قل إن شاء الله.
فقال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.

👉 **بالثقة بالماء سار الجيش على الماء:** إخوة الإسلام إن الثقة بالله هي التي جعلت النار
برداً وسلاماً على إبراهيم عليه الصلاة والسلام والثقة بالله هي التي شقت البحر لموسى

الكليم عليه السلام و الثقة بالله هي التي جعلت الصحابة يمشون فوق موج البحار عَنْ أَبِي السَّلِيلِ ضُرَيْبِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ مُرَافِقًا لِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ حِينَ بُعِثَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ فَسَلَكْنَا مَفَازَةً فَعَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا حَتَّى خَشِينَا عَلَى أَنْفُسِنَا الْهَلَكَ وَمَا نَذَرِي مَا مَسَافَةٌ الْأَرْضِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَنَزَلَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ اسْقِنَا، قَالَ: فَإِذَا نَحْنُ بِسَحَابَةٍ كَأَنَّهَا جَنَاحُ طَائِرٍ قَدْ أَظَلَّتْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى خَلِيجٍ مِنَ الْبَحْرِ مَا خِصَصَ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا خِصَصَ بَعْدَهُ، فَالْتَمَسْنَا سُفُنًا فَلَمْ نَجِدْ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: يَا حَلِيمُ يَا عَلِيمُ يَا عَظِيمُ أَجْرِنَا، ثُمَّ أَخَذَ بَعِنَانٍ فَرَسَهُ ثُمَّ قَالَ: جُوزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَشِينَا عَلَى الْمَاءِ فَوَاللَّهِ مَا ابْتَلَتْ قَدَمٌ وَلَا خُفٌ بَعِيرٍ وَلَا حَافِرٌ دَابَّةً، وَكَانَ الْجَيْشُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَلَمَّا جُزْنَا قَالَ: هَلْ تَفْقِدُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَاتَيْنَا الْبَحْرَيْنِ فَافْتَتَحَهَا وَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالِ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَكُنْتُ فِي مَرَضٍ وَغَسَلَهُ وَكَفَّنَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ، فَلَمَّا دَفَنَاهُ تَلَاوَمْنَا فِي دَفْنِهِ، وَقَالُوا: يَنْبُشُهُ كَلْبٌ أَوْ سَبْعٌ، فَكَشَفْنَا عَنْهُ التُّرَابَ فَلَمْ نَجِدْهُ فِي قَبْرِهِ

يقول عفيف بن المنذر وكان شاهدا معهم:

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعانا الذي شق البحار فجاءنا بأعظم من فلق البحار الأوائل» (١)

👉 **خالد بن الوليد يشرب السم ثقة بالله:** عن سيف الله خالد: "إِنَّ خَالِدًا حَاصِرَ حِصْنًا مَنِيعًا لِلرُّومِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ التَّسْلِيمَ، فَقَالُوا لَهُ: لَا نُسَلِّمُ حَتَّى تَشْرَبَ السُّمَّ، فَشَرِبَ قَدْحَيْنِ مِنْهُ وَلَمْ يُوجِعْهُ مُصْرَانٌ وَاحِدٌ مِنْ مُصَارِينَهُ" (٢)

١- «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» (٢/ ٢٢١):

٢- رواه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٠٩ / ٧١٨٦)

👉 **نحن أمة لا تموت** ولو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم اجتاحت التتار بغداد، يومها كانوا كما اليوم في حلب الفيحاء، يمارسون تدمير المدن، وخراب العمران، يومها عملوا في الأمة ما لم يعمله أحد قبلهم، أسقطوا الخلافة، وعطلوا الصلوات، وألقوا الكتب في نهر دجلة، حتى اسود ماؤه من كثرة ما سال من مداد الكتب، حينها قال المؤرخ ابن الأثير: "ليت أمة لم تلدني، ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا".

ولو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم اجتاحت القرامطة مكة، وذبحوا الطائفين حول بيت الله، واقتلع زعيمهم يومها الحجر الأسود من الكعبة، ووقف يصرخ بأعلى صوته في ساحة الكعبة.... أين الطير الأبابل؟ أين الحجارة من سجل؟، لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت في الجزائر على أيدي الفرنسيين، ولماتت في البوسنة على أيدي الصرب

ولماتت في الشيشان على أيدي الروس، ولماتت في بغداد، وفي حلب، لكنها أمة لا تموت لأنها أمة الاستخلاف في الأرض والتمكين.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ" (١) قال أبو الفتح البستي:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

١ - أخرجه أحمد ٤/٦، والطبراني ٢٠/٦٠١، وابن منده في "الإيمان" ١٠٨٤ م

أخذ الحذر والحيلة من أعداء الأمة الهجرة النبوية أنموذجا (١)

الخطبة الأولى

اعلم علمني الله وإياك: أن اخذ الحذر والحيلة من الأمور التي أوجبها الله تعالى علينا في كتابه وحذرنا من إغفالها لو أنك تسير في طريق وجاءك خبر أن في منعطف هذا الطريق عدو يريد قتلك أو سلب مالك ماذا أنت فاعل تجاه هذا الخبر وذلك العدو؟

أكنت تتغافل عن ذلك العدو ولا تأخذ الحذر منه أم أنك ستأخذ العدة له وتكون على أتم استعداد لمهاجمته قبل أن يهاجمك ؟

إن إجابة العقلاء على ذلك السؤال تكون بالفعل قيل القول وأخذ الحذر والحيلة من ذلك العدو المتربص بهم ، فما بالك إذا كان الذي أخبر بذلك العليم الخبير - جل جلاله- و البشير النذير -صلى الله عليه وسلم - كما أوضحت في أسباب كتابة هذا الكتاب، والله تعالى أمرنا أن نأخذ الحذر والحيلة من اليهود والنصارى ومن شابههم فقال في محكم التنزيل وهو اصدق القائلين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)) (النساء)

يقول العلامة السعدي -رحمه الله - يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب،

١ - هذه الخطبة مستلة من كتابي فكر المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال

وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله

ولهذا قال: **{ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ }** أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم **{ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا }** وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: **{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }**

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: **{ وَإِنَّ مِنْكُمْ }** أي: أيها المؤمنون **{ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ }** أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح وقيل معناه: ليبطئن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين أحدهما: قوله **{ مِنْكُمْ }** والخطاب للمؤمنين

والثاني: قوله في آخر الآية: **{ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ }** فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد، وضعفاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد كما قال تعالى: **{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا }** إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: **{ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ }** أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم. **{ قَالَ }** ذلك المتخلف **{ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا }** رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والخسران، ويحصل له فيها عظيم الثواب ورضا الكريم الوهاب وأما القعود فإنه وإن استراح

قليلًا فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين ثم قال: { وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ } أي: نصر وغنيمة { لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } .

أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين وبألمون بفقدائها، ويسعون جميعاً في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة (١)

ويقول الشيخ سيد طنطاوي - رحمه الله - والمعنى : استعدوا - أيها المؤمنون - لأعدائكم ، وكونوا على يقظة منهم ، وكونوا متأهبين للقائهم دائماً بالإيمان القوى ، وبالسلاح الذي يفل سلاحهم هذا ، وللاستاذ الإمام محمد عبده كلام حسن في هذا المعنى ، فقد قال - رحمه الله - ما ملخصه : " الحذر : الاحتراس والاستعداد لالتقاء شر العدو ، وذلك بأن نعرف حال العدو ومبلغ استعداده وقوته ومعرفة أرضه وبلاده وفي أمثال العرب (قتل أرض جاهلها) . ويدخل في الحذر والاستعداد معرفة الأسلحة وكيفية استعمالها فكل ذلك وغيره يدخل تحت الأمر بأخذ الحذر) وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عارفين بأرض عدوهم ، وكان للنبي ﷺ جواسيس يأتونه بأخبار مكة ، ولما أخبروه بنقض قريش للعهد استعد لفتحها ، وقال أبو بكر لخالد يوم حرب اليمامة (حاربهم بمثل ما يحاربونك به : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح) . وهذه كلمة جليلة فالقول وعمل النبي ﷺ وأصحابه، كل ذلك دال على أن الاستعداد يختلف باختلاف حال العدو وقوته.

(١) - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٨٦)

فأنت ترى أن هذه الجملة الكريمة { **خُذُوا حِذْرَكُمْ** } دعوة للمؤمنين في كل زمان ومكان إلى حسن الاستعداد لمجابهة أعدائهم بشتى الأساليب وبمختلف الوسائل التي تجعل الأمة الإسلامية يرهبها أعداؤها سواء أكانوا في داخلها أم في خارجه وقوله { **فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا** } [النساء: ٧١] تفريع على أخذ الحذر؛ لأنهم إذا أخذوا حذرهم ، عرفوا كيف يتخيرون أسلوب القتال المناسب لحال أعدائهم وقوله { **فانفروا** } من النفر وهو الخروج إلى عمل من الأعمال بسرعة . ومنه قوله - تعالى - { **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** } والمراد بقوله { **فانفروا** } هنا : أي اخرجوا إلى قتال أعدائكم بهمة ونشاط ويقال : نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا إذا نهضوا لقتال عدوهم واستنفر الإمام الناس إذا حضهم على جهاد أعدائهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " وإذا استنفرتم فانفروا " والنفير . اسم للقوم الذين ينفرون . وقوله { **ثُبَاتٍ** } جمع ثبة وهى الجماعة والعصبة من الفرسان . مأخوذة من ثبا يثبوا أي اجتمع .

والمعنى . عليكم -أيها المؤمنون - أن تكونوا دائما على استعداد للقاء أعدائكم ، ولا تغفلوا عن كيدهم . فإذا ما حان الوقت لقتالهم فاخرجوا إليهم مسرعين جماعة في إثر جماعة؛ أو فاخرجوا إليهم مجتمعين في جيش واحد، فإن قتالكم لأعداكم أحيانا يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة، وأحيانا يتطلب خروجكم مجتمعين، فاسلكوا في قتالكم لأعدائكم الطريقة المناسبة لدرهمم والتغلب عليهم .

وقوله { **ثَبَاتٍ** } منصوب على الحال من الضمير في قوله { **انفروا** } وكذلك قوله { **جَمِيعًا** } أي انفروا متفرقين أو انفروا مجتمعين أتى ، ليكون نفوركهم على حسب ما تقتضيه طبيعة المعركة^(١)

{ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }** [النساء: ١٠١-١٠٢]]

يقول الشيخ القطان: إذا كنت أيها الرسول في جماعتك وقامت صلاة الجماعة فلا تنسوا الحذر من الأعداء دع طائفة منهم تصلي معك فيما تقف الطائفة الأخرى قبالة العدو يحرسون إخوانهم المصلين . وعلى المصلين أن يكونوا يقظين ويحملوا أسلحتهم ولا يتركوها وقت الصلاة، يفعلون ذلك استعداداً لمواجهة وحيلة من الغدر

{ **فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ** } إذا سجدوا المصلون معك فليكن الذين يحرسونكم من خلفكم ، لأن الساجد أحوج ما يكون للحراسة حين السجود . فإذا انقضت الركعة الأولى تقوم الجماعة التي صلت وتقف مكان الجماعة الحارسة، وعند ذلك تأتي الجماعة الأخيرة فتصلي معك ركعة كذلك .

وهنا يكون الإمام قد أتم صلاته فيسلم وعندئذ تأتي الطائفة الأولى فتصلي الركعة الثانية وتسلم، بينما تحرسها الجماعة الثانية ، ثم تجيء الجماعة الثانية فتصلي الركعة

(١) - الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٩٩٥)

الثانية وتسلم . بذلك يكون الجميع قد صلّوا بإمامة الرسول . وهكذا يفعل كل إمام وقائد عند الخطر ﴿

واحذروا أيها المؤمنون فإن أعداءكم يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم أثناء صلاتكم، فيحملوا عليكم حملة واحدة علّهم يصيبون منكم غرة فيقتلون وينهبون ﴿

ولا إثم عليكم في وضع أسلحتكم إذا أصابكم أذى من مطرٍ أو مرضٍ من جراح ، لكن عليكم في جميع الأحوال ألا تغفلوا . إن عدوّكم لا يغفل عنكم ولا يرحمكم ﴿

(إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) بما هداكم إليه من أسباب النصر ، بأخذ الأهبة والحذر والاعتصام بالصبر والصلاة ، ﴿

وقد قال بالصلاة على الصفة أوردناها عدد كبير من فقهاء الصحابة منهم: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري. ومن فقهاء الأمصار: مالك، والشافعي وغيرهما. وفي كتب الفقه خلاف كبير في صفة هذه الصلاة لا مجال لذكره هنا^(١)

ولنأخذ مثالا من السيرة المطهرة على الحذر والحيلة من العدو فيها هو رسول الله ﷺ في حادث الهجرة يأخذ بالأسباب ولا يتواكل لان الكون مبنى على سنن ونواميس لا بد لمن أراد التمكين أن يأخذ بها ، فتعالى أخي لنشاهد هذا المشهد الرائع من سيرة الرسول ﷺ

👉 **أولاً: التوقيت المناسب للخروج:** غادر رسول الله ﷺ بيته في ليلة سبع وعشرين من

شهر صفر، وأتى دار رفيقه أبي بكر رضي الله عنه، ثم غادراها من باب خلفي، ليخرجها من مكة على عجل، وقبل أن يطلع الفجر وهذا مما يشير إلى التخطيط الدقيق واختيار الوقت المناسب.. فالليل كما هو معلوم ستار آمن، يمكن التحرك فيه بكثير

(١) - تفسير القطان - (ج ١ / ص ٣٣٣

من الاطمئنان، مما يقلل من احتمالات رؤيتهما. هذا إلى جانب أن قيادة قريش كانت في هذا الوقت متجمعة حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم معتقدة أن النبي ﷺ بداخله، فكل تفكيرها وتدبيرها، كان مركزاً على هذا المكان، دون سواه، مما سهل مهمة الخروج لركب الهجرة في مثل هذا الوقت دون أن تعترضه عيون قريش، التي باتت ترقب سيدنا علياً رضي الله عنه، ظناً منها أنه النبي ﷺ.

وكون هذا التحرك تم قبل الفجر، ربما كان على تقدير أن قريشاً لن تكشف حقيقة الأمر إلا بعد طلوع الفجر، بعد قيام علي رضي الله عنه عن فراش رسول الله ﷺ، وهذا ما حدث فعلاً. يقول ابن إسحاق : (فلم يبرحوا حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش) وبالتالي تكون الفرصة قد فاتت على قريش، وأن رسول الله ﷺ وصاحبه قد وصلا إلى الغار بسلام.

أما خروجهم من الباب الخلفي، فهو من باب الاحتياط إذ هناك احتمال أن يكون بيت أبي بكر رضي الله عنه مراقباً، وهو احتمال كبير للعلاقة الحميمة التي كانت تربط أبا بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت المراقبة قائمة من بيت مجاور أو من مكان قريب، فستكون لباب البيت بالذات، يُرصد من خلاله الداخلون والخارجون. وفي الخروج من مخرج سري، بعيد عن المراقبة، مراعاة للمحافظة الدائمة على السرية، ووضع الاحتمالات الكثيرة احتياطاً لتخطيط العدو ومراقبته

👉 **ثانياً: الخروج إلى الغار سيراً على الأقدام:** لقد خرج رسول الله ﷺ وصاحبه أبو

بكر من بيت الصديق سيراً على الأقدام، حتى دخلا الغار، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حملة على كاهله، وجعل يشدد به، حتى أتى به الغار فأنزله، وفي ذلك اعتبارات أمنية ظاهرة، فسيرهم على الأقدام يجعل أثرهم أقل وضوحاً مما لو كانا راكبين، إضافة إلى أن

الركوب على الدواب في مثل هذا الوقت من الليل ملفت للنظر، وربما تنبهت قيادة قريش للأمر، فتفسد الخطة، كما أن حركة الرواحل في الغالب يصدر عنها صوت، مما يجعل الركب عرضة لإثارة فضول قريش فتسأل الركب، أو تستوقفه لتستوضح أمره، بعكس السير على الأقدام فلا يحدث صوتاً، وبخاصة إذا كان السير على أطراف الأصابع، كما كان يسير الرسول ﷺ، وهذا السير يزيد من فرص نجاح المهمة.

👉 **ثالثاً: التمويه في الخروج إلى الغار:** يقع غار (ثور) جنوبي مكة المكرمة، بينما يقع الطريق المؤدي إلى المدينة شمال مكة المكرمة، وهنا تبدو دقة التخطيط، والاحتياط الأمني. قال المبار كفوري: (ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشاً ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيس المتجه شمالاً، فقد سلك الطريق الذي يضاده تماماً، وهو الطريق الواقع جنوبي مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبلاً يعرف بجبل ثور)

👉 **ثانياً: التجسس ورصد تحركات قيادة قريش:** كلما كانت القيادة أعلم بواقع العدو، وأدرى بأسراره، ولها في صفوفه من ينقل لها تخطيطهم، كلما كان ذلك أنجح لها في تنفيذ خططها ومخططاتها (.. لذا أمر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى، بما يكون في ذلك اليوم من الخبر).. وقد قام عبد الله بهذا الدور خير قيام، يقول ابن حبان: (...بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها، فلا يسمع أمراً يكاد به، إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام)

تتضح من النص عدة أمور لها أهميتها هنا : الصفات التي يمتاز بها عبد الله، فهو ثقف، أي حاذق فطن، ولقن، أي سريع الفهم، وهذه من السمات المطلوب توفرها

فيمَن يقوم بمثل هذه المهمة فالذكاء يساعده على حسن التصرف حيال المواقف الحرجة، التي قد تصادفه إبان القيام بمهمته، كما يساعده في استخدام الوسيلة المثلى في الحصول على المعلومة دون زيادة أو نقص، مما يجعل المعلومة التي يأتي بها متماز بقدر كبير من الصحة. ذهابه إليهم ليلاً سرّاً، وعودته عند السحر، يبعده عن خطر مراقبة قيادة قريش، لأن الظلام كما هو معلوم ساتر مناسب لمن يقوم بمثل هذه المهمة الحساسة، فدخول مكة سحرّاً، يبعد عنه شبهة الاتصال بالنبي ﷺ، فيصبح وكأنه بائ بمكة لا بالغار، وهذا قمة في الحيلة والحذر ودقة التخطيط، والمعلومات التي كان يأتي بها تجعل الرسول ﷺ وصاحبه على دراية تامة بما تفعله وستفعله قريش، الأمر الذي يجعل تحرك الركب من الغار مبنياً على الحقائق الصحيحة لا على الظن والحدس.

أقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

👉 **ثالثاً: إعفاء الأثر: لابد أن مجيء وذهاب عبد الله بن أبي بكر، سيخلف وراءه آثار أقدامه، الأمر الذي ربما قاد قريشاً إلى مكان ركب الهجرة، وبخاصة أن أسماء كانت هي الأخرى تأتي يومياً إلى الغار لتحضير الطعام وحتى يستبعد هذا الاحتمال كان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يتبع أثرهما بالغنم كي يعني الأثر (ونلاحظ أن إزالة الأثر عن طريق الغنم تُعد أنسب وسيلة، لأن آثار الغنم في تلك الجبال، أمر مألوف لقريش، فلا يُثير شكاً ولا ريبة.**

👉 **رابعاً: الإمداد بالتموين في الغار:**

إن الإقامة في الغار ثلاثة أيام، تحتاج لزاد معد وجاهز، لأن أي محاولة لإشعال نار لإعداد الطعام تعتبر قرينة قوية، ربما قادت قريش إلى الغار، فالنار ينبعث منها الدخان نهارًا، والضوء ليلاً، وهذا يشكل خطورة كبيرة، وبخاصة في ذلك الزمان الذي يمتاز فيه العرب بدقة الملاحظة، لذا نجد أن طعامهما كان يأتيهما معدًا جاهزًا من بيت أبي بكر الصديق، تحضره أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.. يقول ابن إسحاق :

(وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما). كما أن عامر بن فُهَيْرَة كان يحلب لهما اللبن من غنم أبي بكر رضي الله عنه.. تقول عائشة رضي الله عنها : (...ويعرعى عليهما عامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر مَنَحَةً من غنم، فَيُرِيحُهَا عليهما، حين تَذْهَبُ ساعة من العِشَاءِ، فيبيتان في رِسلٍ وهو لبنٌ مَنَحَتِهِمَا وَرَضِيْفُهُمَا)

👉 **خامسًا: الإقامة في الغار ثلاثة أيام :** قال ابن الأثير : (فأقاما في الغار ثلاثًا) (وهذا تصرف أمني اقتضته ظروف الزمان، فالخروج إلى أي مكان في الأيام الأولى يجعلهما عرضة للوقوع في قبضة العدو، كما أن المدة الزمنية هذه، ربما كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعلومات المقدمة من عبد الله بن أبي بكر، التي تشير إلى خفة الطلب عليهما بعد هذه الأيام الثلاثة، كما أن الاستمرار أكثر من ذلك قد يلفت النظر من قِبَل قيادة قريش، حين يتكرر المرور عليهما والذهاب إليهما، من قِبَل أسماء وعبد الله وعامر بن فهيرة أضف إلى ذلك أن هذه المدة تعد كافية لتدرك قريش أن محمدًا ﷺ قد أفلت منهم، وأنها كافية لابتعاده عنهم مسافة تمكنه من الوصول إلى مأمن، أو الالتحاق بقبيلة أخرى، فيدب اليأس في نفوسهم، ويتراخون عن مطاردته، وبالتالي تسنح الفرصة للإفلات منهم.

👉 **الحذر أثناء السير على طريق الهجرة :** لصاحب السير على طريق الهجرة، العديد من تدابير الحذر والحيلة، ومن ذلك :

👉 **أولاً: التمويه في التحرك من الغار:** أول ما سلك بهم عبد الله بن أريقط، بعد

الخروج من الغار، أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم غرباً نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألّفه الناس، اتجه شمالاً على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً وما ذلك إلا إمعاناً في التمويه، ومزياداً من الحيلة والحذر.

👉 **ثانياً: السرعة في السير عقب الخروج من الغار:** الظروف التي تم فيها التحرك من

الغار، كانت تتطلب الإسراع في السير، وقطع المسافة بين مكة والمدينة في أقصر زمن ممكن، فعيون قريش منتشرة، والمطاردة لم تنته بعد، لذا أسرع النبي صلى الله عليه وسلم عقب خروجه من الغار، واستحث رواحله لقطع أكبر مسافة ممكنة في أقل زمن ممكن.. روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (أسرنا ليلتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عندها)

فالسير المتواصل ليوم وليلة، يباعد بين ركب الهجرة ومكة، مما يزيد من فرص نجاح الخطة، كما أن الليل يعد من أنسب الأوقات للسفر في الصحراء، إضافة إلى كونه ساتراً يخفي ركب الهجرة المبارك.

👉 **ثالثاً: حادثة سراقة وتدخل العناية الإلهية:** بعد كل التحولات والتخطيط الدقيق

المحكم، تمكنت قريش من تلقي معلومة تفيد أن ركب الهجرة يجد في السير تجاه المدينة بطريق الساحل المهجور. قال سراقة: (فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدَلِج، أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا، ونحن جلوس، فقال: يا سراقة! إنني رأيتُ أنفاً أسوداً بالساحل، أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلتُ له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتُ فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا، ثم

لبثتُ في المجلس ساعةً، ثم قمتُ فدخلتُ، فأمرتُ جاريتي أن تخرجَ بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحسبها عليّ، وأخذتُ رُمحي فخرجتُ به من ظهر البيت، فحططتُ برُجّه الأرض، وخفضتُ عاليه، حتى أتيتُ فرسي فركبتها، فرفعتُا تقربُ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي فخررتُ عنها، فقامتُ فأهويت يدي إلى كِنانتي فاستخرجتُ منها الأزام، فاستقسمتُ بها أضربهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي وعصيت الأزام تقربُ بي حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضتُ، فلم تكُ تخرجُ يديها، فلما استوت قائمةً إذ لَأثر يديها غبار ساطع في السماء مثلُ الدخان، فاستقسمتُ بالأزام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتُهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم، أن سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديّة، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع، فلم يرزاني، ولم يسألاني، إلا أن قال : (أَخَفِ عَنَّا)، فسألتُه أن يكتب لي كتابَ أمن، فأمر عامر ابن فهيرة، فكتب في رُقعةٍ من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ)

👉 **وهنا تبرز عدة جوانب، منها:** - الحس الأمني لسراقة، الذي ظهر من خلال رده على الرجل، موهمًا إياه أن هذا الركب ليس هو محمدًا وأصحابه، إنما هم فلان وفلان، وبالتالي فوت الفرصة على الرجل صاحب الخبر وعلى الحاضرين. وزيادة في إحكام خطته لم يذهب سراقة من فوره، وإنما مكث ساعة في المجلس حتى لا يشير شك الحضور.. ولم يكتف بذلك، بل زاد في الاحتياط الأمني، حيث خرج من الباب الخلفي لبيته، وأمر بحبس فرسه على مسافة من بيته، حتى لا يراه أحد وهو يركب الفرس أمام بيته، فيفسد عليه خطته، وبالتالي قد يخسر الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمد ﷺ وصاحبه.. ومن هنا تظهر خطورة هذا الرجل الذي يجمع مع هذا

الحس الأمني، القدرة العالية على تتبع الأثر، بل هو الذي اعتمدت عليه قريش في اقتفاء أثر الرسول ﷺ وأصحابه، حتى وصل إلى الغار.. وشخص بهذه المواصفات، كان يمكن أن يشكل خطورة كبيرة على ركب الهجرة المبارك، خاصة وأنه حاول استغلال تلك الصفات حتى كان قاب قوسين أو أدنى من اللحاق بركب النبوة، ولكن تدخلت العناية الإلهية، فحالت بينه وبين النيل من الركب المأمون.

كما تظهر أيضًا مدى حنكة وحكمة المصطفى ﷺ في استغلال عدوه كي يصبح عونًا له في صد الطلب عنهما، وذلك من قوله لسراقة : (أَخْفِ عَنَّا)، فرجع سراقة، فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول : قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتهم ما هاهنا.. وكان أول النهار جاهدًا عليهما، وآخره حارسًا لهما^(١)

الدعاء.....

(١) - انظر كتاب (في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

صفات المهاجرين والأنصار (١)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل القرآن هدايةً للمقبلين، وجعل تلاوته بخضوع تهل دمع الخاشعين، وأنزل فيه من الوعيد ما يهز به أركان الظالمين، وأخبر فيه أن الموت نهايةً لعالمين، وأننا بعد الموت للحساب مبعوثين وأننا سنحاسب عما كنا فاعلين، وستقف بذل وخضوع بين يدي رب العالمين، [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] [الفجر: ٢٣] [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ] [إبراهيم: ٤٩] ليس هناك فرق بين ملك معظم وإنسان مهين، هذا جزاء من أخلص العمل لله رب العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه من إله عظيم أعز الحق وأخرس المبطلين سبحانه عدد

ما دعاه عباده المساكين سبحانه عدد ما انهمرت دموع المنيين سبحانه جواد كريم قوي متين

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمدًا رسول الله ما جرا أثواب الحرير وما مشى التاج من فوق الجبين مرصعًا القميص مرقعًا

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/ ١٠٢] }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/ ١] }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }
(٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب / ٦٩-٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد : أيها الإخوة الأحاب أحاب النبي الأواب : نتكلم في هذا اللقاء عن الصفات و المؤهلات التي أهلت المجاهرين و الأنصار إلى تلك المنزلة العالية و إلى ذلك السبق و الفوز به فهيا لتتعرف عن صفاتهم كما أخبرنا ربنا سبحانه و تعالى

👉 -الإخلاص:

معاصر الموحدين : إن من اهم صفاتهم التي أهلتهم إلى تلك المكانة أنهم لم يريدوا بذلك دنيا فانية و إنما اردوا بذلك وجه الله الكريم جل جلاله قال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؛ قوله تعالى: يدلُّ على أنَّهم لم يخرجوا من ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، وأموالهم إلا أن يكونوا مخلصين لله، مبتغين مرضاته، ورضوانه.

في هجرة المصطفى مغزى لمدكر لا تجهلوا مجدكم يا قوم وادكروا

لو كان للمال أو للجاه قد خرجوا أو للرياسة أو للفخر ما انتصروا

الله يعلم أن القوم تحفزهم عقيدة ولها الأرواح قد نذروا

فبالعقيدة قام القوم واثقفوا وبالعقيدة يرمى القوس و الوتر

وبالعقيدة ذل الشرك وارتفعت منارة بسنا التوحيد تفتخر

وبالعقيدة كان النَّصرَ وانهزمت جيوشُ كِسرى فلا تاجٌ ولا سُرُورٌ
وبالعقيدة راجَّ العِلْمُ وازدهرت رياضُهُ فله الأزهارُ والثمرُ
ضَعُفُ العقيدة داءُ الشرِّ فانتبهوا قوُّوا العقيدةَ فالإيمانُ يُخْتَصِرُ الأساسَ
👉 - الصَّبْرُ: ومن صفات المهاجرين، وأخلاقهم المتميِّزة؛ الَّتِي أَثْنَى اللهُ عليهم بها الصَّبْرُ،
فقد صبر هؤلاء الكرام على إيذاء المشركين من أهليهم وأقاربهم و صبروا على ترك
أوطانهم وأموالهم كل ذلك الصبر من أجل إعلاء كلمة التوحيد و نشر دينه و التمكين
لشرعه الحنيف قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَلَا جُرْ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿
[النحل: ٤١، ٤٢]

تا لله ما الطغيان يهزم دعوةً يومًا وفي التاريخ برُّ يميني
ضع في يديَّ القيد ألهب أضلعي بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعةً أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يديَّ ربِّي .. وربِّي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي .. وأموت مبتسمًا ليحيى ديني
، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]

و لقد علم النبي ﷺ أصحابه كيف يصبرون في مختلف الأمور وضروبها، فقد علمهم
الصبر من أجل هذا الدين، والتضحية في سبيله).

والصحابه رضي الله عنهم لهم مواقف كثيرة جدا، لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم رضي الله عنهم باعوا أنفسهم وأموالهم وحياتهم لله؛ ابتغاء مرضاته، وخوفا من عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد؛ فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد اتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً؛ فإنه قد هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه؛ فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ) (١)

👉 **الصدق:** ومن الصفات وخاللهم الحميدة التي أثنى الله - سبحانه وتعالى - بها على المهاجرين الصدق، فكانوا صدقين مع الله ورسوله وصادقين مع أنفسهم قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. قال البغوي في تفسيره قوله: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار، والأموال، والعشائر، وخرجوا حباً لله، ولرسوله (ص)، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة، حتى ذكر لنا: أَنَّ الرَّجُلَ كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحصيرة في الشتاء، ما له من دثار غيرها.

١ - رواه ابن ماجه (١٥٠) واللفظ له، وأحمد (٣٨٣٢). صححه ابن حبان في ((صحيحه)) (٧٠٨٣)، والذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (٢١٧/١)، وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٨٦٣)، وصححه إسناده أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (٣١٩/٥)، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (٣٨٣٢).

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: "هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه"، قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره. ثم قال له: "أسلم". فأسلم. رواه أحمد. (١)

نعم.. أتى بأبيه مع كبر سنه؛ لأن محبة رسول الله ﷺ وتعظيمه أكبر من محبته وتعظيمه لأبيه؛ وهذه لا تدل على شيء كدلاليتها على صدق المحبة وقوة الاتباع. أما خبر سعد بن الربيع - رضي الله عنه - فعجيب، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صغصة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَنْظُرْ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَخَرَجَ يَطُوفُ فِي الْقَتْلَى حَتَّى وَجَدَ سَعْدًا جَرِيحًا قَدْ أَثْبَتَ بِأَخِرِ رَمَقٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ لَهُ أَمِنْ الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قَالَ: فَإِنِّي فِي الْأَمْوَاتِ أَبْلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ سَعْدًا يَقُولُ لَكَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلَغَ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدًا يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ، وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ "" (٢)، ثم لم يبرح أن مات، فجاء أبي بن كعب - رضي الله عنه - النبي - ﷺ - فأخبره الخبر، فقال - ﷺ - : ((رحمه الله، نصح لله والرسول حيًا وميتًا)).

١ - «المسند ٦ / ٣٤٩، وابن حبان ١٦ / ١٨٧ (٧٢٠٨) وحسن المحقق إسناده. ومن طريق محمد بن إسحاق أخرجه الطبراني ٢٤ / ٨٨ (٢٣٦)، والحاكم ٣ / ٤٦، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. قال الهيثمي ٦ / ١٧٦: رواه أحمد والطبراني، وزاد: فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليلة. ورجالهما ثقات.»

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرک (٣: ٢٠١) في مناقب سعد بن الربيع، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، ونقله الصالحي في السيرة الشامية (٤: ٣٢٦) وعزاه للحاكم والبيهقي، ومن طريق ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٣: ٣٨-٣٩)، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤: ٣٩).

جاء رجلٌ من الأعرابِ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأَمَنَ به واتَّبَعَهُ، فقال: أَهاجِرُ معكَ، فأوصى به بعضُ أصحابِهِ، فلمَّا كانت غزوةُ خَيْبَرَ، غَنِمَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شيئاً فقسَّمَهُ، وقَسَمَ للأعرابيِّ، فأعطى أصحابَهُ ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظَهْرَهُم، فلمَّا جاء دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمُ قَسَمِهِ لك رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأخذه فجاء به إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: ما هذا يا رسولَ اللهِ؟ قال: "قِسْمُ قَسَمَتُهُ لك"، قال: ما على هذا اتَّبَعْتُكَ، ولكن اتَّبَعْتُكَ على أن أُرْمَى ها هنا - وأشار إلى حَلْقِهِ - بِهِمْ، فأموتَ، فأدْخَلَ الجَنَّةَ، فقال: "إن تصدَّقَ اللهُ يصدِّقَكَ"، ثم نهَضَ إلى قتالِ العدوِّ، فَأُتِيَ به إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مقتولٌ، فقال: "أهو هو؟" قالوا: نَعَمْ، قال: "صدقَ اللهُ فصدَّقه"، فكفَّنَه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في جُبيته، ثم قدَّمه فصَلَّى عليه، وكان من دعائه له: "اللهمَّ هذا عبدُكَ خَرَجَ مهاجِراً في سبيلِكَ، قُتِلَ شهيداً، وأنا عليه شهيدٌ" (١)

👉 **-الجهاد والتَّضحية:** أيها الكرماء الأجلاء عباد الله: ومن تلك المؤهلات انهم جيل التَّضحية الفداء فقد ضحوا بكل غال و نفيس من اجل دينهم استهانوا بالدنيا ومتعها الزائفة و علموا انها درا غرور و كانت اعينهم على جنة عالية قطوفها دانية قال الله تعالى في وصفهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]. تركزت دعوة الرُّسل على التَّضحية، والفداء؛ إذ إنَّها تواجه عناداً، وتكذيباً وعداءً مستحكماً، وهذا لا بدَّ من مواجهته بصلافة عودٍ، وقوَّة إيمانٍ، ورسوخ عقيدةٍ، وعظيم بذلٍ، والحياة في ظلِّ العقيدة حياة جهادٍ وكفاحٍ، ومنذ مطلع الدَّعوة كان نزول جبريل بالوحي إيذاناً لرسول الله ﷺ

١ - «المصنف في الدلائل ٤ / ٢٢٢، وعبد الرزاق (٩٥٩٧). وأخرجه النسائي (١٩٥٢) من طريق ابن جريج به. وصححه الألباني

في صحيح النسائي (١٨٤٥).

بأيذاء قومه؛ حيث قال له ورقة بن نوفل: «هذا الناموس الذي أنزل على موسى. يا ليتني فيها جدعاً! يا ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟» فقال ورقة: «نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك؛ أنصرك نصراً مؤزراً»^(١).

وقد اشتمل حدث الهجرة على أنواع من التّضحية، والفداء، وبذل النفس، والمال في سبيل الله.

ولعلّ الملاحظة الجديرة بالتأمل في هذا المجال: أنّ التّضحية ملازمة للجهاد في سبيل الله؛ إذ لا جهاد دون تضحية.

كان صهيب الرومي رضي الله عنه ممن شرح الله صدورهم للإسلام، وكان يعيش في مكة وبارك الله له في ماله، عندما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، فأتبعه نفر من قريش فقالوا له: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا، فبلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك؟! والله لا يكون ذلك، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركامكم رجالاً، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي من يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دلتكم على مالي وخليتم سبيلي قالوا: نعم، ففعل.

فلما قدم على النبي - ﷺ - قال " ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع"، ونزل قوله تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٢٠٧) {^(٢).

أقول قول هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

^١ - «المسند ٦/ ٢٣٢، والبخاري ١٢/ ٣٥١ (٦٩٨٢)، وينظر ١/ ٢٢ (٣)، ومسلم ١/ ١٣٩، ١٤٢ (١٦٠)».

(٢) - حديث صحيح أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٣/ ٢٢٨) والحاكم في "المستدرک" (٣/ ٣٩٨) وقال عقبه:

"صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وانظر "أسباب النزول" للواحدي (ص ٣٩)، و "فقه السيرة" (ص ١٦٦).

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

👉 **-نصرهم لله ورسوله ﷺ:** معاشر الموحدين و من الصفات المميزة لجبل النصر جيل المهاجرين و الأنصار انهم نصروا قضيتهم بكل ما أعطوا من قوة لم يدخروا جهدا بل بذلوا كل ما يملكون لنصرة دينه الله و نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] .

امتدح الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة المهاجرين، بأنهم ينصرون الله ورسوله؛ ذلك لأنهم ما خرجوا من بين الكفار مراغمين لهم، مهاجرين إلى المدينة إلا لنصرة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم ونصر الله شرط لتحقيق النصر، والتثبيت. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] .

قال سيد قطب: وكيف ينصر المؤمنون الله؛ حتى يقوموا بالشرط، وينالوا ما شرط لهم من النصر، والتثبيت؟ إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً شركاً ظاهراً، أو خفياً، وألا تستبقي فيها معه أحداً، ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها، ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها، ونزواتها، وحركاتها، وسكناتها، وسرها وعلاقتها، ونشاطها كله، وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس. وإن لله شريعة، ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد، وموازين، وقيم، وتصوّر خاص للوجود كله، وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته، ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهنا نصر الله في واقع الحياة.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: عندما تعرض كفار قريش لرسول الله ﷺ وهو قائم يصلي حيث جاءه عقبة ابن أبي معيط فوضع رداءه في عنقه وجذبه إليه بشدة يريد خنقه، فقد روى البخاري من حديث عروة بن الزبير، قال: "سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي ﷺ - قال: بينا النبي ﷺ - يُصَلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ - قال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ... ﴾ [غافر: ٢٨] الآية" (١).

فانظر كيف ضحى بنفسه ليدافع عن النبي ﷺ، وكيف كان رضي الله عنه لا يهاب العواقب في سبيل الدفاع عنه ونصرته رضي الله عنه، لذلك استحق هذه المنزلة العالية رضي الله عنه.

ومن الذين تشرفوا بالدفاع عن النبي ﷺ الصحابيَّة المقاتلة: أم عماره نسيبة بنت كعب رضي الله عنها حيث شهدت أم عمارة غزوة أحد مع زوجها وولديها، فقد خرجت تسقى الجيش وتداوي الجرحى، ولكن لما انكشف المسلمون وظهر عليهم المشركون، أخذت سيفها وربطت وسطها وقاتلت قتال الأبطال وأبليت بلاء حسناً في الدفاع عن رسول الله ﷺ حتى جرحت اثني عشر جرحاً: وسمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان". (٢)

وقد وصف ابن سعد شدة بلاءها يوم أحد فقال: « وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وأنها لحاجة ثوبها على وسطها، حتى خرجت ثلاثة عشر جرحاً، وكانت تقول: إني

١ - "صحيح البخاري" (٥ / ٤٦).

٢ - «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» (ص ٣٥٢):

لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها، فدواته سنة، ثم نادى
منادى رسول الله: إلى حمراء الأسد، فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم.
(١)

فانظر إلى شجاعتها وقوة بأسها كيف وقفت أمام ابن قمئة الذي كان من فرسان العرب
عندما جاء يتوعد رسول الله ﷺ، ويبحث عنه يريد قتلة واستئصال شوكته.

الدعاء

١ - «مغازي الواقدي» (١ / ٢٧٠)

صفات المهاجرين والأنصار (٢)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام،
الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام، القدوس الذي تنزه عن
أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام الغني عن جميع المخلوقات فالكل
مفتقر إليه وهو الغني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال
أين كان فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء
قدير

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحيب

صلوا على خير الأنام محمد إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى عليه قاعد يغفر له قبل القيام وللمتاب يجدد

وكذلك إن صلى عليه وهو قائما يغفر له قبل القعود ويرشد

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان
إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

👉 **التوكل على الله عز وجل:** أيها الكرماء الأجلاء عباد الله: ما زلنا نتكلم عن صفات
المهاجرين والأنصار التي أهلتهم لتلك المنزلة والمكانة السامية فيها لنعيش مع تلك
الصفات كأنها رأي العين ومن تلك الصفات التوكل والاعتماد على الله جل جلاله قال
تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَا لَآخِرَةً
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل: ٤١ - ٤٢] يمتدح
الله - سبحانه وتعالى - المهاجرين، بأنهم يتوكلون على الله لا على غيره، والتوكل على
الله خاصية الإيمان، وعلامته، وهو منطق الإيمان، ومقتضاه.

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها
إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - حين أُلقي في النار، وقالها محمد - صلى الله عليه
وسلم - حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ» (١)

وقد كان التوكل على الله ديدن الصحابة جميعاً؛ ففي يوم مؤتة وعندما نزل الجيش
بأرض معان وصلتهم المعلومات الاستخبارية بأن الروم قد جمعوا لهم مئتي ألف مقاتل،
وكان عدد الصحابة حينئذ ثلاثة آلاف مجاهد، فلما سمعوا بالخبر وتشاوروا كان رأي عبد
الله بن رواحة أن يتقدم الجيش طلباً للشهادة في سبيل الله أو النصر.

١ - «أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب الذين قال لهم الناس - رقم الحديث (٤٥٦٣).»

ثم كان رأي الأغلبية هو التوكل على الله حق التوكل، والعمل برأي عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه -، وإنفاذ المهمة ومواجهة جيش الروم في عملية فدائية لم يعرف التاريخ مثلها نظيراً.

وكانت نتيجة توكلهم على الله أن ثبت الله قلوبهم، وجعلهم يربعون جيش الروم في مناوشات من أشرس المناوشات التاريخية، والتي ضرب فيها المسلمون أبسل أشكال الشجاعة، وقد استطاع جيش المسلمين الصغير بفضل توكله على الله من خرق صفوف جيش الروم وإثخان الجراح فيهم، ثم انسحبوا بذلك منقطع النظير بقيادة خالد بن الوليد - رضي الله عنه -.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿[إبراهيم: ١١] وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام مثلاً يُقتدى به على مرّ الدهور في ترجمة التوكل في واقع الحياة في حادثة الهجرة، ولحسن توكلهم على الله - سبحانه وتعالى - أثنى عليهم، وجزاهم أحسن الجزاء.

"خالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه ولم يضره" (١).

وعلى هذا، فإن صحت تلك القصة (٢) فشرب خالد بن الوليد للسم كان ثقةً منه بالله، وتوكلاً عليه؛ بغرض نصره دين الله، وإرهاب الكفار، وتقوية إيمان المسلمين، وهذا إما أن يكون من كراماته - رضي الله عنه - أو لَعَلَّهُ كَانَ عِنْدَ خَالِدٍ فِي ذَلِكَ عَهْدٌ - أي من رسول الله صلى الله عليه وسلم - عَمَلٌ بِهِ. كما ذكر ابن حجر في الفتح

👉 **الرَّجَاءُ:** ومن صفات المهاجرين الحميدة؛ التي مدحهم الله بها: الرَّجَاءُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وإنما قال: وقد مدحهم؛ لأنه ﴿يَرْجُونَ﴾ يعلم أحدٌ في هذه الدنيا: أنه صائرٌ إلى الجنة، ولو بلغ في طاعة الله كلَّ مبلغٍ لأمرين: أحدهما: أنه لا يدري بما يُختم له، والثاني: لئلا يتكل على عمله، فهو لاء قد غفر الله لهم، ومع ذلك يرجون رحمة الله، وذلك زيادة إيمانٍ منهم.

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي دون عفوك سلماً

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّي وتكرما

١ - النبوات " لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٨٠٦).

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح (١٤ / ٥٦٨) عند الأثر (٣٨٩٢٧)، وأبو نعيم الأصبهاني في "دلائل النبوة" بسند صحيح (٢ / ٤٥١) عند الأثر (٣٨٠)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦ / ١٧٢)، وذكرها الذهبي في ترجمة خالد رضي الله عنه (١ / ٣٧٦)، وكذا ابن كثير في "البداية والنهاية" (٦ / ٣٨٢)، وغيرهم كثير.

فإن تنتقم مني فلست بآيسٍ ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

👉 **اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ**: ومما يدلُّ على أنَّ الهجرة لها مكانةٌ عظيمةٌ في القرآن الكريم: أنَّ الله - سبحانه وتعالى - وصف المهاجرين، وأنصارهم بأنَّهم يتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]

فالمهاجرون، والأنصار، هم الذين يتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ؛ في أقواله، وأعماله؛ بل في ساعة العسرة، ممَّا يدلُّ على أنَّهم يستحقُّون بذلك الدرجة العظمى، والتَّوبَةَ من الله عزَّ وجلَّ. وقد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنَّهم خرجوا إليها في شدَّةٍ من الأمر، في سَنَةٍ مُجْدِبَةٍ، وحرٍّ شديدٍ، وعُسْرٍ في الرِّزَادِ، والماء.

قال قتادة: «خرجوا إلى الشَّام عام تبوك في لَهَبَانِ الحرِّ، على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهدٌ شديدٌ، حتَّى لقد ذُكِرَ لنا: أنَّ الرجلين كانا يشقان التَّمْرَةَ بينهما، وكان النَّفَرُ يتداولون التَّمْرَةَ بينهما؛ يَمْصُهَا هذا، ثمَّ يشرب عليها، ثمَّ يَمْصُهَا هذا، ثمَّ يشرب عليها، فتاب الله عليهم، وأقفلهم من غزوتهم»^(١).

إِنَّ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ ﷺ يدلُّ على حقيقة الإيمان، وحقيقة الدِّين، ويفرِّقُ تفريقًا حاسمًا بين الإيمان، والكفر في جلاءٍ، كما أنَّه دليلٌ على حبِّ الله، وحبِّ الله ليس دعوى باللسان، ولا هيأماً بالوجدان، إلا أنَّ يُصَاحِبَهُ الاتِّبَاعُ لرسول الله ﷺ، والسَّيرُ على هدايه، وتحقيق منهجه في الحياة. إنَّ الإيمان ليس كلماتٍ تُقال، ولا مشاعرٍ تُجيش، ولا شعائر تُقام، ولكنَّه طاعةُ الله، والرَّسُولِ، وعملٌ بمنهج الله؛ الَّذِي يَحْمِلُهُ الرَّسُولُ ﷺ. قال تعالى:

^١ - «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٤ / ٢٢٨)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

قال ابن كثير في تفسيره للآية: «هذه الآية الكريمة، حكمة على كل من ادعى محبة الله؛ وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدین النبوي، في جميع أقواله، وأعماله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (١)

اقتداء الصحابة الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم سطرته كتب علماء الإسلام بصحة الأسانيد والامتون وتناقلها الناس عبر القرون، ومن هذه النماذج الكريمة:

لما رأى الصحابة في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب، لبسوا خواتيم من ذهب، فلما خلعه خلعوا خواتيمهم، فعن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتماً من ذهب، وكان يلبسه فيجعل فصه في كفه، فصنع الناس خواتيم، ثم إنه جلس على المنبر فزعه، فقال: (إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل) فرمى به ثم قال: (والله لا ألبسه أبداً) فنبذ الناس خواتيمهم. (٢)

حينما خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه في الصلاة خلع الصحابة نعالهم؛ تأسيًا ومُتَابَعَةً لَهُ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى يَسَارِهِ، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته، قال: (ما حملكم على إلقاء نعالكم؟) قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن جبريل

١ - [البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)].

٢ - «مسلم (٣/ ١٦٥٥ رقم ٢٠٩١)، البخاري (١٠/ ٣١٥ رقم ٥٨٦٥)، وانظر (٥٨٦٦، ٥٨٦٧، ٦٦٥١، ٥٨٧٦، ٥٨٧٣،

أتاني فأخبرني أن فيها قذراً)، أو قال: (أذى)، وقال: (إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليَنْظُرْ فإن رأى في نعليه قذراً أو أذى فليَمْسَحْه وليُصَلِّ فيهما). (١)

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً، أما بعد:

🍌 حق السبق في الإيمان والعمل:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الرّازي: والسّبق موجبٌ للفضيلة؛ فإقدامهم على هذه الأفعال يُوجبُ اقتداء غيرهم بهم. قال عليه السلام: «من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً، فله أجرها، وأجر من عمل بها، إلى يوم القيامة» (٢).

فدواعي النَّاسِ تقوى بما يرون من أمثالهم، في أحوال الدِّين، والدُّنيا، وثبت بهذا: أنَّ المهاجرين هم رؤساء المسلمين وسادتهم.

وهكذا اختار الله - سبحانه وتعالى - السَّابِقِينَ من المهاجرين، من تلك العناصر الفريدة النَّادرة، التي تحتمل الضغوط، والفتنة، والأذى، والجوع، والغربة، والعذاب، والموت في أشجع الصُّور في بعض الأحيان؛ ليكونوا هم القاعدة الصُّلبة لهذا الدِّين في مكَّة، ثمَّ

١ - «أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٧٩٧٤)، وأحمد في المسند ١٧ / ٢٤٣ (١١١٥٣)، وابن خزيمة في صحيحه ٢ / ١٠٧ (١٠١٧)».

٢ - [أحمد (٣٥٨ - ٣٥٧ / ٤) ومسلم (١٠١٧) والترمذي (٢٦٧٥) والنسائي (٧٧ - ٧٥ / ٥) وابن ماجه (٢٠٣)].

ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين بعد ذلك في المدينة، مع السابقين من الأنصار الذين وإن كانوا لم يصطلوا بها في أول الأمر كما اصطلاها المهاجرون، إلا أن بيعتهم لرسول الله ﷺ (بيعة العقبة)، قد دلت على أن عنصرهم ذو طبيعة أصيلة مكافئة لطبيعة هذا الدين.

وبالمهاجرين، والأنصار تكونت للإسلام قاعدة صلبة من أصلب العناصر عوداً في المجتمع العربي، فأما العناصر التي لم تحتمل هذه الضغوط؛ فقد فُتنت عن دينها، وارتدت إلى الجاهلية مرة أخرى، وكان هذا النوع قليلاً، فقد كان الأمر كله معروفاً مكشوفاً من قبل، فلم يكن يقدم ابتداء على الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام، وقطع الطريق الشائك الخطر المرهوب إلا العناصر المختارة الممتازة الفريدة التكوين. وبذلك أيضاً تتضح لنا منزلة المهاجرين، وعلو طبقتهم في الفضل؛ حيث أنفقوا، وقاتلوا؛ والعقيدة مطاردة، والأنصار قلّة، وليس في الأفق ظلّ منفعة، ولا سلطان، ولا رخاء، مما يدلّ على أنهم لا يستوون مع غيرهم من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد تلك الظروف الصعبة. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقد تحدّث ابن كثير عن آية سورة التوبة؛ التي بينت فضل السابقين من المهاجرين، والأنصار، فقال: فقد أخبر الله العظيم: أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فإيا ويل من أبغضهم، أو سبهم أو أبغض، أو سب بعضهم، ولا سيما سيّد الصّحابة بعد الرّسول ﷺ؛ وخيرهم، وأفضلهم، أعني: الصّديق الأكبر، والخليفة الأعظم، أبا بكر بن أبي قحافة؛ فإن الطّائفة المخدولة من الرّافضة

يعادون أفضل الصّحابة، ويغضونهم، ويسبّونهم، عياداً بالله من ذلك! وهذا يدلُّ على أنَّ عقولهم معكوسةٌ، وقلوبهم منكوسةٌ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبّون من رضي الله عنهم؟! وأمّا أهل السنّة فإنّهم يترضّون عمّن رضي الله عنهم، ويسبّون من سبّه الله ورسولّه، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متّبعون، لا مبتدعون، ويقتدون، ولا يتبدعون؛ ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون.

ومسارعة أبي بكر معروفة، ومواقفه مشهودة ومشهورة، ففي صحيح مسلم، أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا! قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا! قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا! فقال - صلى الله عليه وسلم -: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنّة" (١)

ولا يخفى على أحد منا خبر أبي بكر مع عمر - رضي الله عنه - لما دعا النبي ﷺ إلى الصدقة، فعمر - رضي الله عنه - أراد أن يسبق أبا بكر فذهب إلى أهله فجاء بشطر ماله وزور في نفسه أن يسبق أبا بكر في هذه المرة، فجاء بالمال بين يدي رسول الله ﷺ، فسأله ﷺ: كم تركت لأهلك؟ فقال: تركت لهم مثله، يعني: أنه جاء بشطر ماله، ثم جاء أبو بكر - رضي الله عنه - ووضع المال بين يدي رسول الله ﷺ، فسأله ﷺ: عما ترك لأهلك؟ فقال: تركت لهم الله ورسوله، فعمر - رضي الله عنه - قال: لا أنافس أبا بكر بعد اليوم (٢) فكانوا يتنافسون، يتسارعون، يتسابقون في الخيرات.

١ - «صحيح مسلم (٢) / ٧١٣ رقم (١٠٢٨)».

٢ - مسند الفاروق لابن كثير (١) / ٢٦٤.

يقول محارب بن دثار: صحبنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود إلى بيت المقدس، فكان يفضلنا بكثرة الصلاة وطول الصمت والسخاء^(١)

وقال حوشب لمالك بن دينار: رأيت كأن منادياً ينادي الرحيل، الرحيل، فما ارتحل إلا محمد بن واسع، ومحمد بن واسع كان من الزهاد العباد من السلف^(٢)، فبكى مالك بن دينار - رحمه الله^(٣)

معاشر المسلمين: المسابقة إلى الخيرات خلق عظيم، ومسلك كريم لا يتصف به إلا الجادون المشمرون، والمسارة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق به ولا يهدى إليه إلا من وهبه الله علو همة، وقوة عزيمة، مع سلامة قلب، ورجاحة عقل، وانشراح صدر.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: "المؤمنون في دار الدنيا في سفر جهاد يجاهدون فيه النفوس والهوى، فإذا انقضى سفر الجهاد عادوا إلى وطنهم الأول الذي كانوا فيه في صلب أبيهم، وقد تكفل الله تعالى للمجاهد في سبيله أن يرده إلى وطنه بما نال من أجر أو غنime". اهـ.

وقال وهيب بن الورد: "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل".

^١ - سير أعلام النبلاء (٥ / ١٩٦).

^٢ - المصدر السابق (٦ / ١٢١).

الإيثار في ضوء هجرة النبي المختار

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عم بيره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، الواحد الأحد القدوس الصمد الأول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول، الحي العليم القدير السميع البصير المتكلم بكلام قديم لا يتغير ولا يتبدل، أحمدته على ما أنعم وأكرم وتفضل

واشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء

قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

الذي أوحى إليه الكتاب ونزل، ونهج للمتقين طريق الهداية وسهل

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان

إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد

أمة الإسلام: نعيش في هذا اليوم الطيب الميمون الأغرم مع فضيلة من الفضائل الغائبة عنا في عصر المدينة وفي عصر يسمى بعصر العلم و لكن قد غابت عن سمائه فضيلة من أجل الفضائل التي تكسوا المجتمع بكساء الألفة و المودة و الرحمة أتدرون ما هي تلك الفضيلة؟

إنها فضيلة الإيثار.

فمن منا يعرف معنى الإيثار؟

ومن منا يعرف فضله؟ ومن منا يعرف مجالاته؟

هيا أعيروني القلوب والأسماع لنعيش في بستان الإيثار.

العنصر الأول: تعريف الإيثار:

معنى الإيثار اصطلاحاً: (الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوة).

وقال ابن مسكويه: (الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه)

• وقال بعضهم: الإيثار لا يكون عن اختيار، إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك، ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب ذي معرفة.

فضل الإيثار:

إخوة الإسلام : اعلّموا أن الإيثار خلق إسلامي رفيع دعا إليه ربنا - سبحانه و تعالى - و
 حث و اثنى على أهله في غير ما آية من كتابه فقال الله تعالى مادحا أوليائه: ﴿وَالَّذِينَ
 تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قال الطبري: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهُوَ يَصِفُ الْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. مِنْ قَبْلِ
 الْمُهَاجِرِينَ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. يَقُولُ: وَيُعْطُونَ الْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالَهُمْ إِيثَارًا لَهُمْ بِهَا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ. يَقُولُ: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ إِلَى مَا آتَوْا بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وقال ابن كثير: أي: يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويدؤون بالناس قبلهم في
 حال احتياجهم إلى ذلك.

ويقول ابن تيمية: (وأما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فإنه
 ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يحب
 مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة).

أحباب رسول الله ولن تصلوا إلى ذروة الإيمان إلا عن طريق سلم الإيثار قال العزيز
 الغفار: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل
 عمران: ٩٢].

يقول السعدي: يعني: (لن تنالوا وتدرکوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق
 الموصل إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها. فإن النفقة من
 الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم

الأخلاق، ورحمتها ورقتها، ومن أدل الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها، فمن أثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالاً وأخلاقاً، لا تحصل بدون هذه الحالة).

والله تعالى أعد النعيم المقيم و الدرجات العلى لمن اتصف بالإيثار فقال الرحيم الرحمن: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٦ - ٩]

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

قال الفخر الرازي: (والمعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مأكلاً هنيئاً وحريراً فيه ملبس بهي).^(١)

ولقد رغب نبينا - صلى الله عليه وسلم - في الإيثار وحث أصحابه و مدح أهله فيها هو -بابي هو وأمي - صلى الله عليه وسلم يمد الأشعريين - عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الأشعريين إذا أرمَلوا في الغزو أو قُلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم)).

يقول الإمام العيني: (فيه منقبة عظيمة للأشعريين من إيثارهم ومواساتهم بشهادة سيدنا رسول الله وأعظم ما شرفوا به كونه أضافهم إليه.... وفيه فضيلة الإيثار والمواساة).

^١ - تفسير الرازي (١٦ / ٢٢٧)

وقال أبو العباس القرطبي: (هذا الحديث يدل على أن الغالب على الأشعرين الإيثار، والمواساة عند الحاجة، كما دلَّ الحديث المتقدم على أن الغالب عليهم القراءة والعبادة، فثبت لهم بشهادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنَّهم علماء عاملون، كرماء مؤثرون).

و الإيثار سبيل البركة في الطعام كما خبرنا نبينا الهمام - صلى الله عليه وسلم - عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْارْبَعَةِ، وَطَعَامُ الْارْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ " (١)

إيثار الأنصار رضي الله عنهم أجمعين:

أقبل المهاجرون إلى المدينة لا يملكون من أمر الدنيا شيئاً، قد تركوا أموالهم وما يملكون خلف ظهورهم وأقبلوا على ما عند الله عز وجل يرجون رحمته ويخافون عذابه، فاستقبلهم الأنصار الذين تبوءوا الدار، وأكرمهم أيما إكرام ولم يخلوا عليهم بشيء من حطام الدنيا بل قاسموهم الأموال والزوجات... في صورة يعجز عن وصفها اللسان، ويضعف عن تعبيرها البيان:

• فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم فقالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أبذل في كثير منهم لقد أشركونا في المهناً وكفونا المؤنة ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا ما دعوتهم الله لهم وأثنتهم به عليهم)). (٢)

^١ - أخرجه أحمد ٣/٣٠١، ومسلم ٢٠٥٩، والترمذي ١٨٢٠ في الأطعمة: باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين،

^٢ - رواه الضياء في (المختارة) (٢٩٠/٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وصحَّحه سند البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٣٢٥/٧).

• وهذا عبد الرحمن بن عوف ((لما قدم المدينة آخى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصاريّ وعند الأنصاريّ امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك دلّوني على السّوق...)). (١)

إيثار... حتى عند الموت:

أُسَدٌ وَلَكِنْ يُوَثِّرُونَ بِزَادِهِمْ وَالْأُسَدُ لَيْسَ تَدِينُ بِالْإِثَارِ

يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وَجُوهِهِمْ كَتَزَيَّنُّ الْهَالَاتُ بِالْأَقْمَارِ

أمة الإسلام:

لقد ضرب صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهم - أروع الأمثلة في مواطن لا يتخيلها إنسان بل هي أروع من الخيال انه الإيثار عند الموت لتترككم مع المشهد و هو يلهب مشاعرنا.

• يقول حذيفة العدويّ، انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم. فإذا رجل يقول آه. فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قد مات.

رحمة الله عليهم أجمعين (٢)

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه أن يمنّ علينا بالاستجابة له ولرسوله، وبالثبات على ما يرضيه إلى أن نلقاه تعالى، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

^١ - رواه البخاري (٢٠٤٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

^٢ - إحياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٤٢، ط الدار البيضاء.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلوات الله وسلامه على خاتم المرسلين أحمدته سبحانه وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحابه إلى يوم الدين.

ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم:

• عن أبي هريرة- رضي الله عنه - ((أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضم- أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعل يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ضحك الله الليلة- أو عجب من فعالكما- فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. (١)

إيثار منبعه الإيمان:

المال للرجل الكريم ذرائعٌ يبغي بهن جلائل الأخطار

والناس شتى في الخلال وخيرهم من كان ذا فضلٍ وذا إيثار

١ - أخرجه البخاري ٣٧٩٨ في مناقب الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ، وأخرجه مسلم ٢٠٥٤ في الأشربة:

باب إكرام الضيف وفضل إثارة،

❦ إيثار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لم يكن الإيثار في يوم من الأيام مقصوراً على الرجال وإنما يوجد الإيثار حيث يوجد الإيمان لذا ضربت السيدة عائشة - رضي الله عنها أروع الأمثلة في الإيثار ولندركم بطرف من إيثارها.

❦ إيثارها - رضي الله عنها - عمر - رضي الله عنه - على نفسها:

• لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال لابنه عبدالله: (اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي. قالت كنت أريده لنفسه فلوثرته اليوم على نفسي. فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال:

ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني، ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين). (١)
 إيثارها الفقير على نفسها - ودخل عليها مسكين فسألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا: شاة وكفنها. فدعنتي عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك). (٢)

❦ من إيثار السلف:

^١ - رواه البخاري (١٣٩٢).

^٢ - رواه مالك في ((الموطأ)) (٩٩٧/٢)، وكفنها: أي ما يغطيها من الرغفان.

- عن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيّف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرّيّ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرّغفان، وأطفئوا السّراج، وجلسوا للطّعام، فلمّا رفع فإذا الطّعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً، إثارة لصاحبه على نفسه
- قال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوباً فمات فيه
- فجدير بنا في وقتنا الحاضر أن نتأسى بأخلاق الجناب النبوي في نواحي الحياة كافة: مادياً ومعنوياً، سيما في قيمة الإيثار، حيث يظهر أثرها أكثر وأكثر في الشدائد والمحن والأزمات، كما هو الحال لواقعنا المعاش.
- ويأتي الإيثار على قمة الفضائل والقيم؛ يقول الشيخ محمد الغزالي: "والإخاء الحق لا ينبت في البيئات الخسيسة، فحيث يشيع الجهل والنقص والجبن والبخل والجشع لا يمكن أن يصبح إخاء أو تترعرع محبة، ولولا أن أصحاب رسول الله - ﷺ - جُبلوا على شمائل نقية واجتمعوا على مبادئ رضية، ما سجلت لهم الدنيا هذا التآخي الوثيق في ذات الله" (١)

الدعاء.....

١ - [خلق المسلم، ص ٣٩].

الإنتاج العلمي للمؤلف / الشيخ السيد مراد سلامة

- ١- الدر المختار من استفسارات الصحابة عن غريب قول النبي المختار
- ٢- اللامبالاة في حياة الفرد والأسرة والمجتمع (المظاهر - الأسباب - الآثار - العلاج)
- ٣- نبع الإيمان بخطب محبة وحقوق الاوطان
- ٤- حرص السلف على العمل والكسب الحلال وتفريط الخلف
- ٥- أخطاؤنا في تربية الأبناء
- ٦- الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود
- ٧- رسالة عاجلة إلى من فاته الحج
- ٨- الشيطان كأنك تراه
- ٩- هزة غزة (هزة إيمان واعتقاد وعزة)
- ١٠- تشنيف الأذان بما ورد في فضل وآداب وأحكام الأذان

- ١١- تحفة الواعظ للخطب والمواعظ ألف قصة وقصة - مرتبة على العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات
- ١٢- بيت المقدس بين وحشية الغاصبين ورحمة الفاتحين
- ١٣- اللآلئ الحسان من أوصاف شهر رمضان
- ١٤- الدرر السنية من فتاوى الأضحية (١٣٠ سؤال وجواب)
- ١٥- المسك الأذفر للدرس و المواعظ و المنبر
- ١٦- القصص المليح لجلسة صلاة التراويح
- ١٧- فيض الرحمن دروس وخواطر شهر رمضان
- ١٨- حرص السلف على اغتنام الأوقات وتفريط الخلف
- ١٩- حرص السلف على قيام الليل و تفريط الخلف
- ٢٠- حرص السلف على الصلاة وتفريط الخلف
- ٢١- حرص السلف على طلب العلم وتعليمه و تفريط الخلف
- ٢٢- حرص السلف على الغيرة على دينهم وأعراضهم وتفريط الخلف
- ٢٣- حرص السلف على المحاسبة وتفريط الخلف
- ٢٤- صور مشرقة من حياة الأطفال
- ٢٥- مجازر في تاريخ الأمة الإسلامية (دماء وأشلاء .. عويل وبكاء)
- ٢٦- فتح الكريم الوهاب بتراجم العلماء العزاب
- ٢٧- الدر المختار من الأحاديث الواردة في البحار
- ٢٨- حرص السلف على النصح لولاة الأمور وتفريط الخلف
- ٢٩- المواعظ العصرية للدروس الرمضانية
- ٣٠- العشریات المرادية من الخطب المنبرية

- ٣١- أخطاء ومخالفات في الطرق والمواصلات رؤية شرعية
- ٣٢- فيض العزيز الغفار في بيان حقوق و أحكام الجار
- ٣٣- طقوس و شعائر و أعياد شيعية في ميزان الشريعة الإسلامية
- ٣٤- موسوعة القصص المنبرية الجزء الأول
- ٣٥- موسوعة القصص المنبرية الجزء الثاني
- ٣٦- الخطب و المواعظ الباهرة في ذكر الموت و أهوال المقبرة
- ٣٧- حرص السلف على الاتباع و تفريط الخلف
- ٣٨- حرص السلف على القرآن الكريم تلاوة و عملا و تفريط الخلف
- ٣٩- حرص السلف على بر الوالدين و تفريط الخلف
- ٤٠- حرص السلف على تقوية روابط الأخوة و الحب في الله و تفريط الخلف
- ٤١- حرص السلف على إقامة العدل في الأرض و تفريط الخلف
- ٤٢- أسباب غلاء الأسعار و قلة البركة من منظور الشرع ..
- ٤٣- الأربعون التيسيرية من سنة خير البرية ..
- ٤٤- الأربعون السماوية من أحاديث صفوة البشرية
- ٤٥- تحفة الملهوف بأحاديث الخسوف والكسوف
- ٤٦- رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم
- ٤٧- فتح الكبير المتعال بالأحاديث الطوال
- ٤٨- متن الأربعين الشتوية من أحاديث خير البرية
- ٤٩- النسوة يسألن والنبي يجيب
- ٥٠- الخطب المرادية عن شمائل خير البرية
- ٥١- الإذاعة بذكر أربعين حديثا في السمع و الطاعة

- ٥٢- درر الحكم، والأمثال لرسائل الجوال
- ٥٣- مؤذنو رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٥٤- صور مشرقة من الثبات على الإيمان للعبارة والعظة
- ٥٥- مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح
- ٥٦- الأربعون البرزخية
- ٥٧- الأربعون البلدانية
- ٥٨- الأربعون الرمضانية من أحاديث خير البرية
- ٥٩- الأربعون النبوية لمغفرة خطايا الإنسانية
- ٦٠- الأربعون النورانية في وصف صفوة البشرية
- ٦١- التسعون العلية من أسماء الذات الإلهية
- ٦٢- المشكاة في بيان آداب وأحكام اصطحاب الأطفال إلى الصلاة
- ٦٣- الدرر البهية من المقدمات المنبرية
- ٦٤- النسمات المباركات من مقدمات المناسبات
- ٦٥- متن الأربعين المرادية إياكم واختراق المنهيات
- ٦٦- متن الأربعين من أهوال يوم الدين
- ٦٧- الأماليح لجلسة صلاة التراويح
- ٦٨- قرة العينين بفتاوى أبي همام بالحرمين
- ٦٩- تحفة الأنام بفتاوى شهر رجب الحرام
- ٧٠- السراج الوهاج من عبر ودروس الإسراء والمعراج
- ٧١- إشراق المصابيح لجلسة صلاة التراويح
- ٧٢- الأربعون الكتابية

- ٧٣- مفاتيح النجاح العشرة
- ٧٤- العناية الربانية بصفوة البشرية
- ٧٥- مجازر من تاريخ سوريا دماء وأشلاء
- ٧٦- المباهلة في الإسلام
- ٧٧- الفتاوى العصرية في المسائل الجنسية
- ٧٨- أريج العطر في بيان أحكام زكاة الفطر
- ٧٩- الكنوز الرمضانية
- ٨٠- تحفة الداعية والإمام بدروس سيرة خير الأنام
- ٨١- حرص السلف على الزهد في الدنيا وإفراط الخلف في الحرص عليها
- ٨٢- الدرر الغراء من وصايا الآباء للأبناء
- ٨٣- صور من وصايا الأنبياء والخلفاء والعلماء والآباء والصحابة والتابعين
- عند موت
- ٨٤- فكر المؤامرة عقيدة و حقيقة لا خيال
- ٨٥- أنبياء وعلماء وقضاة خلف القضبان
- ٨٦- ريب المنون في ذكر من مات بالطاعون من الصحابة والعلماء والقضاة
- والخلفاء والأمرء والشعراء
- ٨٧- البدر الأتم في ذكر أربعين حديثاً قال فيها الصحابة الله ورسوله أعلم
- ٨٨- تبصرة الموحدين بخيانات ومخططات الشيعة على الإسلام والمسلمين
- ٨٩- الدرر البهية من الفتاوى الرمضانية
- ٩٠- الفتح الرباني لمنهج الإمام الرمضاني
- ١٠٠- الدرر البهية من آداب وأحكام التحية

- ١٠١- نفح الريح لجلسة صلاة التراويح
- ١٠٢- الكوكب الوهاج من خطب الإسراء و المعراج
- ١٠٣- فتح الجليل بذكر الأحاديث التي ذكر فيها النخيل ..
- ١٠٤- تذكرة النبلاء بمحبة الوطن عند الشعراء
- ١٠٥- مجازر في تاريخ غزة
- ١٠٦- فتاوى الأئمة الأعلام في بيان حقيقة وعقيدة الرافضة اللثام
- ١٠٧- الأربعون النبوية في حرمة الدماء البشرية
- ١٠٨- إرواء المشتاق من خطب الأخلاق
- ١٠٩- ري الظمان من دروس العصر في رمضان
- ١١٠- أي بنيتي تلك هي وصيتي
- ١١٢- تذكرة النبلاء بفضائل سيناء
- ١١٣- التربية الجنسية في الإسلام

فهرس الهجرة

- المقدمة ٣
- ١- عام الحزن دروس وعبر ٥
- ٢- رحلة النبي ﷺ إلى الطائف بين المحنة واللطائف ١٥
- ٣- أسباب الهجرة النبوية ٢٢
- ٤- إسلام الأنصار واستجابتهم لله ولرسوله ٣٤
- ٥- بيعة العقبة الثانية ٤٥
- ٦- أول سفير في الإسلام ٥٦
- ٧- هجرة المسلمين إلى المدينة ٧٠
- ٨- هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٧

- ٩- عمل النبي بتجارة أيام المواسم قبل الهجرة..... ٨٣
- ١٠- المؤمرة الكبرى في دار الندوة..... ٨٩
- ١١- ليلة الهجرة والعناية الربانية..... ٩٧
- ١٢- دور الشباب في هجرة النبي الأواب صلى الله عليه وسلم..... ١٠٥
- ١٣- (من وحي الهجرة) الرفيق قبل الطريق..... ١١٦
- ١٤- أسس بناء المدينة الفاضلة من خلال الهجرة النبوية..... ١٢٧
- ١٥- بناء المسجد النبوي..... ١٣٧
- ١٦- خطبة الاتحاد قوة [المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أنموذجا]..... ١٤٥
- ١٧- في ظلال الهجرة النبوية تذكرة الأحباب بوجوب الأخذ بالأسباب..... ١٦٠
- ١٨- العشر الأخلاقية من هجرة خير البرية صلى الله عليه وسلم..... ١٦٨
- ١٩- هجرة القلوب إلى علام الغيوب..... ١٧٨
- ٢٠- السنن الربانية والكونية في هجرة خير البرية..... ١٩٦
- ٢١- الإيجابية والوطنية في هجرة خير البرية..... ٢١٠
- ٢٢- من وحي الهجرة محبة الأوطان..... ٢٢٨
- ٢٣- من وحي الهجرة «إنزال الله الطمأنينة والسكينة على قلب المؤمن في الشدائد...» ٢٣٨

٢٤- النبي صلى الله عليه وسلم وأم

معبد..... ٢٤٥

٢٥- من وحي الهجرة {من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه}

..... ٢٥٣

٢٦- من وحي الهجرة تأييد الله - صلى الله عليه وسلم -

..... ٢٦٣

٢٧- إن الله معنا..... ٢٧٧

٢٨- حاجة الأمة إلى الهجرة في ذكرى الهجرة..... ٢٨٧

٢٩- «الهجرة فريضة شرعية باقية إلى يوم القيام»..... ٢٩٦

٣٠- الهجرة والثقة بنصر الله تعالى..... ٣٠٨

٣١- أخذ الحذر والحيطه من أعداء الأمة الهجرة النبوية أنموذجاً..... ٣٢٠

٣٢- صفات المهاجرين والأنصار (١)..... ٣٣٣

٣٣- صفات المهاجرين والأنصار (٢)..... ٣٤٣

٣٤- الإيثار في ضوء هجرة النبي المختار..... ٣٥٢

الإنتاج العلمي للمؤلف / الشيخ السيد مراد سلامة..... ٢٦٢

الفهرس..... ٣٦٨